الطبعة الثانية

نور الحياة

سلسلة دراسات في كلمة الله

الكتاب الثاني

عـــن المسيـــح

يسوع المسيح الشفيع الكامل

... ومقالات أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

اســـــم الكتـــاب : نور الحياة
الكتـــاب الثانـــي : عن المسيح
المـــــــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان
gamilnsoliman@yahoo.com
الطبعـــــــــــة : الأولي ٢٠٠٧
الثانية ٢٠١١
الناشـــــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي
ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤
المطبعـــــــــــة : مدارس الأحد، ٧٠ شارع روض الفرج
رقم الإيـــــــداع : ١٥٣٦٩ / ٢٠٠٧
الترقـــيم الـــدولـــي : 1 - 29 – 5334 – 977

صاحب القداسة والغبطة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ (١١٧)

المحتويـــات

١ – الميلاد ٩

+ ظلال الصليب على أحداث الميلاد ١٠

٢ – ما قبل الصليب ٢١

+ المسيح يعلم عن التوبة ٢٠
+ إقامة لعازر من الموت .. إعلان مبكر عن قيامة الحياة ٤٠
+ الحديث الأخير والصلاة الأخيرة ٤٧

٣ – الصليب ٥٧

+ المسيح فصحنا ٥٨
+ المسيح رئيس الكهنة العظيم والذبيحة الكاملة ٦٦
+ نعم... جاء ليموت كي يهبنا الحياة ٨٠

٤ – القيامة والصعود ٨٩

+ القيامة والخلاص ٩٠
+ القيامة والحياة الأبدية ٩٧
+ المهام الأخيرة ١٠٥
+ الصعود الإلهي بين عمل المسيح وحياة المؤمنين ١١٧

٥ – **ما بعد القيامة والصعود** ١٢٧

+ يسوع المسيح الشفيع الكامل ١٢٨

٦ – **شمس البر** ١٣٧

+ المسيح نور العالم ١٣٨
+ المسيح كلي الوجود ١٤٧
+ المسيح كلي المعرفة ١٥٤
+ المسيح كلي القدرة ١٧٠

٧ – **قضية المسيح** ١٨٧

+ شهادة صحفي على صدق كلمة الله ١٨٨

كلمة الى القارئ

هذا هو **الكتاب الثاني** من سلسلة الدراسات في كلمة الله "**نـــور الحيـــاة**" وموضوعه "**شخص المسيح المبارك**"، وكـــان الكتـــاب الأول "**في الـــسلوك المسيحي** " الذي صدر في يونيو ٢٠٠٧. وقد رتبنا مقالات الكتاب كما اتبعنا في الكتاب الأول بحيث تكوّن معاً بناءً متكاملاً ينتقل بالقارئ من مقالٍ إلى آخر في سياق يتصاعد منطقياً. وقد اتبعنا أيسر السبل وهو الترتيب الزمني للأحداث في حياة الرب بدءاً من الميلاد **فالصليب والقيامة والصعود**، وكيـــف كـــان **الصليب** هو القاسم المشترك في هذه كلها منعكساً على أحداث الميلاد وحاضراً في كلمات وأحداث حياة الرب قبل أن يرتفع عليه بالفعل، وكيف التحمت به **القيامة** وأظهرت وجهه المجيد حيث استبقى الرب القائم من المـــوت جـــراح الصليب في جسده ودخل بها إلى مجده ليبدأ الرب عمله الخلاصي الدائم شفيعاً كاملاً فريداً، وختمنا بما أعلنه الرب وما شهدت به أعماله والنبوات أنه **نـــور العالم، كلي المعرفة، كلي القدرة، وكلي الوجود** بوصفه الإلـــه الظـــاهر في الجسد.

وإني أناشد القارئ أن يتابع بروح الخشوع والحب ما تناوله الكتاب عـــن شخص الرب الذي أنار الحياة : الذي به وحده الخلاص وجدّة الحياة وبلـــوغ الحياة الأبدية... كما أني أحث القارئ أن لا يعبر على آيات الكتاب ســـريعاً وإنما يجتهد في فهمها وحفظها واللهج فيها لتصير جزءاً من مفردات كلماتـــه، وقانوناً لحياته اليومية.

وبنفاد الطبعة الأولى (٢٠٠٧) من هذا الكتاب، يتاح لنا أن نقدم للقاريء هذه **الطبعة الثانية** التي خضعت لمراجعة دقيقة من كل الجوانب، كما أضيفت **مقالات أخرى**.

* * *

وربنا نفسه يسوع المسيح والله أبونا الذي أحبنا وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاءً صالحاً بالنعمة، يستخدم هذا الكتاب لمجد اسمه واقتناء ملكوته، بصلوات أبينا **قداسة البابا الأنبا شنوده الثالث**، وصلوات كل المنتظرين مجيء الرب. وإني أتوسل إلي الله المحب أن يعوض كل من له تعب في إعداد هذا الكتاب بالأجر السمائي.

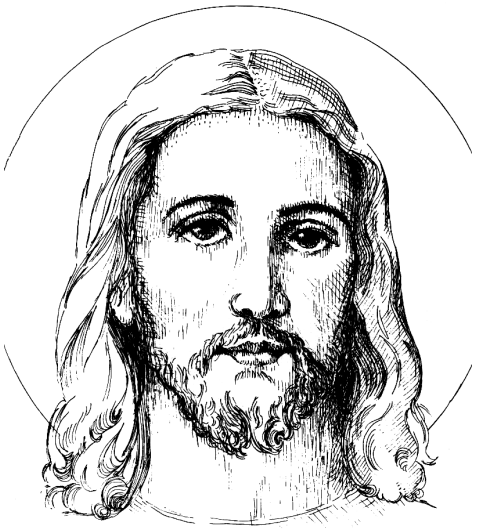

١

الميـــــلاد

+ ظلال الصليب على أحداث الميلاد

ظلال الصليب على أحداث الميلاد

إذا كان هدف التجسد المباشر هو الفداء والخلاص، الذى يمر بالصليب والموت "أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس. **وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب"** (**فى٢: ٧، ٨**)، إلا أن ظل الصليب لم يبدُ فى الأفق فقط بعد ما بدأ الرب خدمته، وإنما لازمه حتى من قبل مولده، وكان رفيق ميلاده وملابساته الكثيرة بما يشى أن الصليب لم يدخل حياة الرب مصادفة، ولا التقى به الرب لأول مرة يوم جمعة قرب نهاية أيامه على الأرض، ولكنه كان محور حياته منذ تجسده وحتى وضع ذاته فوق الجلجثة لأجل أحبائه.

وها هى بعض المشاهد التى تكشف عن حضور الصليب منذ بدء التجسد ومع أحداث الميلاد وما تلاها.

المشهد الأول : بشارة الملاك للعذراء (لو١: ٢٦-٣٨)

ها هو **الملاك جبرائيل** يبشر **العذراء** بالحبل الإلهى .. ويعلن اسمه "**يسوع**" مشيرا إلى هدف مجيئه الفدائى. وهو يفسر ذلك بكلمات واضحة فى ظهوره **ليوسف** خطيب مريم "**لأنه يخلص شعبه من خطاياهم**" (مت١: ٢١). فالتجسد مرتبط عضويا بالخلاص أى بالصليب والموت، ومنذ اليوم الأول.

المشهد الثانى : حلم يوسف (مت ١: ٢٠-٢٣)

لم يكن **يوسف** حاضرا بشارة الملاك للعذراء، ولم يرافقها - كما يبدو - فى رحلتها إلى الجبال لزيارة **أليصابات** بعد أن عرفت من الملاك أن الرب قد تحنن عليها واستجاب لطلبتها هى **وزكريا**، وأنعم عليها بالحمل بعد فقدان الأمل، ولم يسمع يوسف كلمات **أليصابات** وهى تهتف ممتلئة من الروح القدس "مباركة أنتِ فى النساء ومباركة هى **ثمرة بطنك**. فمن أين لى هذا أن تأتى **أم ربى إلى**. فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب"(لو١: ٤٢-٤٥)، كما لم يسمع **العذراء** وهى تنشد تسبحتها الفريدة "تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله **مخلصى** لأنه نظر إلى اتضاع أمته **فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى**..." (لو١: ٤٦-٤٨)، ولو كان قد سمع لانفتح ذهنه وآمن هو الآخر وابتهج بقدوم المخلص ولبارك على الدور الذى كرّسه له الرب رفيقا لفخر النساء وحارسا للعائلة المقدسة وراعيا للطفل الإله فى سنواته الأولى. ولكنه لم يكن يعرف. وعندما عادت مريم بعد شهور ثلاثة من زيارتها لأليصابات - بعد ولادتها ليوحنا - لاحظ آثار الحمل. ومن جانبها لم تجتهد العذراء لكى تفسّر له الأمر وتخرجه من حيرته، ولكنها تركت الأمر للروح ليشهد لها.

وقد اختلطت على يوسف الأمور، وانتابته الشكوك. ولكن لأنه كان بارا فهو لم يشأ التشهير بها، بل أراد أن يترك أمرها لله ويخليها سرا (مت١: ١٩).

وهنا تدخلت عناية الله لإنقاذه مما هو فيه، وظهر له ملاك الرب فى حلم وفسرت له كلماته كل شئ (مت١: ٢٠-٢٣): فهو - **أولاً**- ناداه قائلا "**يا يوسف ابن داود**" لكى يبين له النسب الملكى للمخلص كما أشارت النبوات، وأنه إذا كان ابن الله بالطبيعة فهو بالجسد **ابن داود ابن إبراهيم** (مت١: ١)، أو كما كتب لوقا أنه "**ابن آدم ابن الله**" (لو٣: ٣٨)؛ وهو أشار - **ثانياً** - إلى أن "الذى حُبل به فيها هو **من الروح القدس**"؛ ثم أعلن بوضوح - **ثالثاً** - عن هدف مجئ الرب الخلاصى "وتدعو اسمه **يسوع** لأنه **يخلص** شعبه من خطاياهم"(مت١: ٢١).

وهكذا، وهو لم يولد بعد، عرف العالم اسم مخلصه. ومن قبل ميلاده كان صليبه فى انتظاره لكى يتمم مهمته لفداء الإنسان وتخليصه من موت الخطية.

المشهد الثالث : نبوءة زكريا (لو١: ٦٧-٧٩)

فى اليوم الثامن لميلاد **يوحنا** جاء ذووه إلى الهيكل ليختنوا الصبى ويعلنوا اسمه. وكان **زكريا الكاهن** لم يزل صامتا منذ أن ظهر له جبرائيل الملاك قبل أكثر من تسعة أشهر يبشره بميلاد يوحنا. ولم يصدق **زكريا** وقتها فسمع من الملاك حكم الله بأن يظل صامتا إلى اليوم الذى يتم فيه هذا الوعد "لأنك لم تصدق كلامى **الذى سيتم فى وقته**" (لو١: ٢٠).

ولما أومأوا إلى **زكريا** عن الاسم الذى يريده لابنه، طلب لوحاً وكتب الاسم (**يوحنا**) الذى سمعه من الملاك. وفى الحال انحلّت عقدة لسانه وتكلم وبارك الله. وتهلّل بالروح وتنبأ قائلا عن ميلاد المخلص الموعود به: "مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد **وصنع فداءً لشعبه** وأقام لنا **قرن خلاص فى بيت داود فتاه** - كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر - **خلاص من أعدائنا ومن أيدى جميع مبغضينا ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده**

المقدس. القسم الذى حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا أننا بلا خوف – **مُنقَذين من أيدى أعدائنا**– نعبده بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا"(لو١: ٦٨-٧٥).

فها هو الفم ينطلق – بإلهام الروح القدس الذى امتلأ به – ليبشر **بالمخلص** الآتى من بيت داود تحقيقا لعهد الله ووعده. ورغم أن المناسبة تخصّ ختان ابنه يوحنا الموعود به بعد العقم الطويل ولكن الكلام الأول فى النبوءة اختُصَّ بـــه الذى من أجله وُلد يوحنا ـــ الملاك الذى يهيئ الطريق قدام مخلـــص العـــالم (مل٣: ١، مت١١: ١٠، مر١: ٢، لو٧: ٢٧). وهذا إلهام مباشـــر مـــن الله **لزكريا**، كما كان إلهاما **لأليصابات** قبل ثلاثة شهور – فى لقائها بالقديـــسة **مريم** – أن تصرخ بصوت عظيم وهى ممتلئة من الروح القدس قائلة "مباركـــة أنتِ فى النساء **ومباركة هى ثمرة بطنك** فمن أين لى هذا أن تـــأتى **أم ربى إلىّ**" (لو١: ٤٢-٤٤).

ولما وجه **زكريا** نبوءته نحو ابنه **يوحنا** كشف عن ارتباط دوره بالمخلص ليهيئ له شعبا مستعدا قائلا له "وأنت أيها الصبى نبى العلىّ تدعى **لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه لتعطى شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم بأحشاء رحمة إلهنا التى بها افتقدنا المشرق من العلاء ليضىء على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت لكى يهدى أقدامنا فى طريق السلام**" (لوا: ٧٦-٧٩).

وفى النبوءة إشارات واضحة إلى المخلص المزمع أن يأتى إلى العالم – تعبيرا عن محبة الله ورحمته للإنسان – ليصنع صلحا وغفرانا وسلاما، وينقله من الظلمـــة إلى النور ومن الموت إلى الحياة الأبدية.

المشهد الرابع : ولادة الرب فى مذود (لو٢: ١-٧)

إن المرء لا يستطيع أن يكتم دهشته لملابسات ميلاد الرب التى أدت أن يـــتم

ذلك فى مذود لبهائم الحقل والمستخدمة في الانتقال، من اضطرار مريم – وهى حبلى – أن تصعد مع خطيبها من ناصرة الجليل إلى بيت لحم اليهودية لتنفيذ أمر أغسطس قيصر بالاكتتاب العام كلٌ فى مدينته الأصلية.. "**وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد**" (لو٢: ٦). وبسبب التحركات البشرية الكثيفة المرتبطة بالتعداد العام لم تجد مريم مكانا لكى تلد الابن الموعود به إلا فى مذود! "**إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل**" (لو٢: ٧).

ونحن لا نريد أمام هذا المشهد أن ننحصر فقط فى هذه القدرة المذهلة لابن الله على الاتضاع المقترنة بميلاده فى مذود للحيوانات، وإنما نلفت النظر أيضاً أنه فى ميلاد الرب فى حظيرة للبهائم إشارة يسهل التقاطها عن كون المسيح يُعدّ منذ يوم ميلاده للذبح كسائر الخراف والأبقار التى أحاطت به. وهكذا أشار إليه يوحنا المعمدان بعد ثلاثين سنة وهو يقدمه إلى العالم "هوذا **حمل الله** الذى يرفع خطية العالم" (يو١: ٢٩، ٣٥).

المشهد الخامس : بشارة الرعاة (لو٢: ٨-١٤)

فى يوم ميلاد الرب اختار الله جمعا من **الرعاة** (من ناحية كجماعة أمينة ساهرة على رعيتها، ومن ناحية لعلاقتها بتربية الخراف والماشية وإعدادها للذبح) ليختصهم ببشارة غير مسبوقة. وإذ يضئ حولهم مجد الرب، يبشرهم ملاكه بفرح عظيم لهم ولكل الشعب مخبرا " أنه ولد لكم **اليوم** فى مدينة داود **مخلص هو المسيح الرب**" (لو٢: ١١) فمصدر الفرح العظيم أن الذى ولد هو **مخلص كل العالم**. ويكمل المشهد الباهر بظهور جوقة من الجند السمائى أحاطت بالملاك المبشر تسبح الله قائلة "**المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة**" (لو٢: ١٤). فمن خلال الصليب والموت يتمجد الله

بتحقيق الخلاص وينعم الناس بالسلام والفرح وبلوغ الحياة الأبدية.

واكتمل للرعاة البسطاء ما لم يتحقق لغيرهم. فبذهابهم إلى بيت لحم أتيح لهم أن يروا يسوع الطفل مع مريم ويوسف، وأن يشهدوا أمام الجميع ببشارة السماء التى اختُصوا بها ورجعوا "وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم" (لو٢: ٢٠).

المشهد السادس : تسمية الرب يوم ختانه (مت١: ٢٥، لو٢: ٢١)

من جديد تتأكد رسالة المسيح الخلاصية يوم ختانه بعد ثمانية أيام من ميلاده، فقد دعا يوسف اسمه **يسوع (أى مخلص)** "كما تَسمَّى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن" (لو٢: ٢١).

المشهد السابع : تقديم يسوع إلى الهيكل (لو٢: ٢٢-٢٤)

بعد أربعين يوماً من ميلاد الرب (بعد تمام أيام تطهير العذراء حسب شريعة موسى) صعدت به مريم ويوسف معها إلى أورشليم ليقدماه للرب (لو٢: ٢٢) "كما هو مكتوب فى ناموس الرب أن كل ذكر فاتح رحم يُدعى **قدوساً للرب**" (لو٢: ٢٣). فلأن الرب أنقذ أبكار بنى إسرائيل من الهلاك برش دم خروف الفصح على أبواب بيوتهم (خر١٢) كان الأمر الإلهى "قدّس لى كل بكر.. **إنه لى**"(خر١٣: ٢) وهكذا قُدّم الإله المتجسد كأحد أبكار بنى إسرائيل متمما للشريعة.

ها هو الطفل يسوع وهو لم يبلغ من العمر إلا أربعين يوما يُقَدّم طبقا للشريعة. لكن هذه بالفعل كانت إرساليته أن يكون فيما لأبيه (لو٢: ٤٩) فهو لم يترل من السماء ليعمل مشيئته بل مشيئة الآب الذى أرسله (يو٦:

٣٨)، كما كُتب عنه أنه "**وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب**" (فى٢: ٨).

وفى تقديم الطفل البكر يسوع إلى الهيكل لم يدرك أكثر الحاضرين أن هذا الذى خضع للناموس هو الذى – بذبيحة نفسه – سيفتدى كل الذين تحت الناموس لينالوا التبنى ويصيروا أولاد الله (يو١: ١٢، غل٤: ٥، عب٩: ٢٦) وليكون هو من ثَمَّ "بكراً بين إخوة كثيرين" (رو٨: ٩).

المشهد الثامن : شهادة سمعان الشيخ وحنه النبية (لو٢: ٢٥-٣٨)

لسمعان الشيخ قصة سجلها التقليد المتواتر. فقد كان واحداً من السبعين من علماء الكتاب المقدس الذين اضطلعوا بترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية. وقد توقف **سمعان** أمام الآية ١٤ من الأصحاح السابع من سفر إشعياء "ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: **ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل**". وحيرَّته كلمة "العذراء" وأحس أنها خارج السياق وربما كان الأوفق "الفتاة" مثلا. ولأنه كان بارا تقيا، مشتاقا أن يرى خلاصا يعزى إسرائيل بعد المذلة، فقد افتقدته نعمة الله وأخرجته من حيرته "وأُعلم بوحى من الروح القدس أنه **لا يرى الموت قبل أن يعاين المسيح الرب** (مولودا من عذراء)" (لو٢: ٢٦).

وعاش **سمعان الشيخ** طويلا ينتظر الوعد، حتى كان ذلك اليوم الذى "دخل بالطفل يسوع أبواه ليصنعا عنه حسب عادة الناموس" فساقه الروح إلى الهيكل، وفى جرأة الحب حمل **سمعان** الطفل على ذراعيه وبارك الله قائلا أن "إطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام لأن عينى قد أبصرتا **خلاصك** الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب نور إعلان للأمم ومجدا لشعبك إسرائيل" (لو٢:٢٧-٣٢).

وكان **يوسف ومريم** يتعجبان مما قيل فى الطفل **فسمعان** يتكلم عن خلاص ليس فقط لإسرائيل ولكن لكل الأمم والشعوب.

وواصل **سمعان** شهادته وعينه بالروح القدس على صليب الجلجثة قائلا لمريم "ها إن هذا (يسوع) **قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم**، وأنتِ أيضاً **يجوز فى نفسك سيف** لتعلن أفكار من قلوب كثيرة" (لو٢: ٣٤، ٣٥).

فالصليب سيقسم إسرائيل (والعالم كله) إلى جماعتين: **الرافضين** المقاومين للرب ومصيرهم السقوط والدينونة، **والمؤمنين** الذين سيقبلون الرب مخلصا ويملكون معه إلى أبد الآبدين. أما بالنسبة للأم العذراء فإن صليب المسيح وموته سيكون سيفا يخترق أحشاءها ويدميها، ولكن يعزيها أن هذا هو الثمن الغالى لخلاصها هى وخلاص العالم كله.

فى الهيكل أيضاً كانت **حنة بنت فنوئيل النبية** العابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا، والتى مد الله فى أيامها لتتجاوز المائة عام لكى تكون من شهود ميلاد مخلص العالم ولتقدم هى أيضاً شهادتها "فهى فى تلك الساعة وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين **فداءً** فى أورشليم"(لو٢: ٣٨). فها هى أيضاً تخاطب فى الطفل يسوع **الفادى** المنتظر.

المشهد التاسع : المجوس يقدمون هداياهم (مت٢: ١-١٢)

فى هذا المشهد يشرك الرب الأمم فى الابتهاج بمقدمه والاحتفاء به باعتبارهم شركاء أيضاً فى الخلاص. وقد استخدم الرب علم هؤلاء **المجوس** بالنجوم لكى يكشف لهم عن الحدث العظيم القادم ويدفعهم للارتحال غربا من بلاد فارس إلى أورشليم ليعبرّوا عن ولائهم للطفل يسوع ويسجدوا له. وقد أرسل الله النجم المنير الذى رأوه فى بلادهم ليتقدمهم فى مسيرهم، التى

استغرقت شهورا، وليتوقف عند موقع الصبى [مما يوحى أنه نجم جديد (أو جوقة ملائكية باهرة) عينه الله لمهمة خاصة وليستخدم مسارا معاكسا للقوانين الفلكية وبعدها ينتهى دوره] ومن ثم "أتوا إلى البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه فخروا وسجدوا له. ثم فتحوا كنوزهم وقدموا هدايا **ذهبا ولبانا ومراً**" (مت٢: ١١). وهكذا – من حيث لا يعلمون – قد تموا النبوات التى أشارت قبل قرون إلى هداياهم التى ألهمهم الروح اختيارها "تغطيك كثرة الجمال. بُكْرَان مديان وعيفة كلها تأتى من شبا تحمل **ذهبا ولبانا**" (إش٦٠: ٦) "ويسجد له **كل الملوك**. كل الأمم تتعبد له.. ويعيش ويعطيه من **ذهب** شبا" (مز٧٢: ١٠-١٥).

وإذا كان مناسبا أن يختار أحدهم هدية ذهبية لطفل، فكيف يجوز أن يقدم له لبانا أو مرا حتى ولو فى إناء من الذهب. ولكن الروح أراد للأمم أيضاً أن تسهم فى إلقاء الضوء على عمل الطفل الإله عندما يحين الزمان.

ففى **الذهب** إشارة واضحة إلى كونه ملكاً سليل ملوك بالجسد "يسوع الناصرى **ملك اليهود** (مت٢٧: ٣٧، مر١٥: ٢٦، لو٢٣: ٣٨، يو١٩: ١٩) "أوصنا مبارك الآتى باسم الرب أوصنا **ملك إسرائيل**" (لو١٩: ٣٨، يو١٢: ١٣). ولكنه قبل ذلك وبعده هو **ملك الملوك** (١تى٦: ١٥، رؤ١٧: ١٤، ١٩: ١٦) الذى تجثو باسمه كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (فى٢: ١٠)، وإن كان فى سبيل تحقيق الفداء قد تخلى عن كل مجده الملكى وبقيت الرموز: فقبل ارتفاعه عرّوه وألبسوه **ثوباً أرجوانياً**، ووضعوا على رأسه **تاجاً من الشوك** وجعلوا فى يده **قصبة** بديل الصولجان (مت٢٧: ٢٨، ٢٩، مر١٥: ١٧، يو١٩: ٢) وكان عرشه **صليباً** خشبياً حمله على كاهله قبل أن يُعلق عليه.

أما **اللبان** فيشير إلى عمله **ككاهن فريد بلا خطية** اجتمع فيه **الذبيحة** "وليس بدم تيوس وعجول بل **بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً**"

(عب٩: ١٢)، **والكاهن "كاهن عظيم على بيت الله"** (عب١٠: ٢١)، **ومقدمو الذبيحة** – الذين حمل هو نفسه خطاياهم فى جسده على الخشبة (١بط٢: ٢٤)، **ومن تُرفَع إليه الذبيحة** فهو رغم الإخلاء يظل وهو على الصليب الله الأبدى الظاهر فى الجسد.

ويبقى **المرّ** ويرمز إلى كأس **الألم** التى شربها الرب حتى الموت. وقد ذاق الرب المر عذاباً ومعاناة وانسحاقا، ورفض تجرعه ماديا وهو على الصليب (مت ٢٧: ٣٤، مر١٥: ٢٣) ليظل فى كامل وعيه وهو يتألم حباً من أجل خلاص العالم كما أن للمر علاقة **بالموت** فهو يدخل ضمن مواد الحنوط التى حملتها المريمات لتكفين جسد الرب بعد موته.

وهكذا تكلمت هدايا المجوس للطفل عن ذبيحته وموته وتحقيقه الخلاص كملك منتصر.

المشهد العاشر : قتل الأطفال (مت٢: ١٦-١٨)

بعد أن قدم المجوس هداياهم، أوحى إليهم فى حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس وأن يسلكوا طريقا أخرى إلى بلادهم. كما ظهر الرب ليوسف – بعد انصرافهم – وطلب إليه أن يأخذ الصبى وأمه ويهرب إلى مصر اتقاءً لغضب هيرودس الساعى وراء يسوع ليهلكه. وتحت جنح الليل قام يوسف وأخذ الصبى وأمه وهربوا إلى مصر. أما هيرودس وقد أعماه الغضب، بعد أن أهمله المجوس و لم يعودوا إليه، فقد أرسل جنوده الذين قتلوا جميع الأطفال الذكور فى بيت لحم وما حولها من سن سنتين فأقل. **فكانوا باكورة الشهداء من أجل المسيح الذين نثروا الدم على لوحة الميلاد، ليكون الصليب "علامة ابن الإنسان"** (مت٢٤: ٣٠) **منذ البداية وإلى الأبد.** وإن كان الرب قد نجا من هذه المذبحة طفلا، فلم يكن ذلك هروبا من الموت وتخليا عن شركاء طفولته، وإنما لأن ساعة موته لم تكن قد جاءت

بعد. وإذا كان الأطفال قد ذاقوا الموت من أجله فهو فيما بعد قد مات لأجلهم ولأجل الجميع(٢كو٥: ١٤) ليكون لموتهم المبكر الدامى معنى، فلا يكون مجرد خاتمة أليمة وإنما بداية لحياتهم الأبدية.

o o o

هكذا بدا **الصليب** حاضرا منذ **تجسد الرب** وخلال أحداث **ميلاده:** فى بشارة الملاك للعذراء وكلماته ليوسف وإعلانه المبارك للرعاة، وميلاد يسوع فى مذود، وشهادات مريم العذراء وزكريا الكاهن وسمعان الشيخ وحنة النبية، وفى هدايا المجوس الملهمة، وأخيرا فى شهادة الأطفال المخضبة بالدم.

إن كلمة السر فى حياة المخلص هى الصليب: لم يغب عن عينيه منذ ميلاده وخلال سنى خدمته وحتى ارتفاعه عليه فوق الجلجثة.

وفى احتفالنا دوماً بذكرى ميلاده ليتنا لا نسمح لأنوار الميلاد وتسابيحه وهداياه أن تحجب صليبه عن عيوننا، **فمولود المذود هو قبل كل شئ وبعده مخلص العالم.** وليكن احتفالنا تجديدا لإيماننا وتوبتنا وعبادتنا وحبنا لمن أحبنا ومات لأجلنا.

ما قبل الصليب

+ المسيح يعلّم عن التوبة

+ إقامة لعازر من الموت ... إعلان مبكر عن قيامة الحياة

+ الحديث الأخير والصلاة الأخيرة

المسيح يعلّم عن التوبة *

المرادف اليوناني في العهد الجديد لكلمة "**التوبة**" هو كلمة "Metanoia ميطانوا أو ميطانيا". ومعناها الحرفي: تغيير الذهن. أما معناها الاصطلاحي – في كلمات قليلة – فهو **تحوُّل الفكر والقلب والباطن وتغيير اتجاه الحياة وأهدافها نحو الله والأبدية**. وسيتم التوسع في هذه المعاني خلال السطور التالية.

مرادفات أخرى للتوبة في العهد الجديد

لم ترد كلمة **التوبة** كثيراً في الأناجيل بصورة مباشرة للتعبير عن معناها، ولكن ذُكرت أيضاً مواقف أخرى تعبِّر عنها بشكلٍ ما مثل:

- **البيع** (لمحبة اقتناء المال والأشياء)

"إن أردتَ أن تكون كاملاً، اذهب **بِـعْ** كل ما لك... وتعالَ **اتبعني**

* هذا المقال يقتصر على تعاليم المسيح عن التوبة كما جاءت في الأناجيل، ولا يقصد تناول موضوع"التوبة" بصورة عامة وما يتعلق بها من آفاق قد تتجاوز المقصود هنا.

حاملاً الصليب" (مت ١٩:٢١، مر ١٠:٢١).

o الترك (للحياة القديمة والخطايا المحبوبة)

"فللوقت **تركا** الشباك **وتبعاه**" (مت ٤:٢٠، مر ١:١٨): **بطرس وأندراوس**

"فللوقت **تركا** السفينة وأباهما **وتبعاه** (وذهبا وراءه)" (مت ٤:٢٢، مر ١:٢٠): **يعقوب ويوحنا**

"**فترك** كل شيء وقام **وتبعه**" (مت ٩:٩، لو ٥:٢٨): **لاوي**

"**فتركت** المرأة جرَّتها" (يو ٤:٢٨): **السامرية**

"كل واحد منكم **لا يترك** جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو ١٤:٣٣).

o إنكار الذات وإهلاك النفس وبغضتها وحَمْل الصليب (الخروج من الذات إلى الله وتحمُّل التبعة):

"إن أراد أحد (مَن أراد) أن يأتي ورائي، **فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني**" (لو ٩:٢٣)؛

"فإن مَن أراد أن يخلِّص نفسه يهلكها ومَن **يهلك نفسه** من أجلي (ومن أجل الإنجيل) يجدها (فهو - أو فهذا – يخلِّصها" (مت ١٦:٢٥، مر ٨:٣٥، لو ٩:٢٤).

"مَن يحب نفسه يهلكها، **ومَن** يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية" (يو ١٢:٢٥)؛

وتقترن كل الحالات السابقة بتبعية المسيح، والتي تعتبر كلها شروطاً

لتبعيته:

"**اتبعني**" (مت ٩:٩، لو ٢٧:٥): **لاوي**

"**هلمَّ ورائي...**" (مت ١٩:٤، مر ١٧:١): **التلاميذ الصيادون**

"ومَن لا يأخذ صليبه **ويتبعني** فلا يستحقني" (مت ٣٨:١٠)؛

"ومَن لا يحمل صليبه **ويأتي ورائي** فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو ٢٧:١٤)؛

"**تعالوا إليَّ** يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت ٢٨:١١).

○ **الرجوع أو التحوُّل** (عن طريق الخطية، أو الموقف الخطأ، والسير في الحياة الجديدة):

"إن لم **ترجعوا** (تتحوَّلوا وتتغيَّروا) **وتصيروا مثل الأولاد**، فلن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ٣:١٨)؛

"لكي يُبصروا مبصرين ولا ينظروا، ويسمعوا سامعين ولا يفهموا، لئلا **يرجعوا** فتُغفر لهم خطاياهم" (مر ١٢:٤)؛

"لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وآذانهم قد ثَقُلَ سماعها. وغمضوا عيونهم، لئلا يُبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم، **ويرجعوا** فأشفيهم" (مت ١٥:١٣)؛

"سمعان سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكي يُغربلكم كالحنطة! ولكني طلبتُ من أجلك لكي لا يفنى إيمانك. وأنت متى **رجعتَ** ثبِّتْ إخوتك" (لو ٣١:٢٢و٣٢).

○ **القلع والقطع** (للأعضاء المعثرة أي التوبة عن خطايا بعينها)

"إن كانت عينك اليُمنى تُعثرك **فاقلعها** وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك

أحد أعضائك (أن تدخل الحياة أعور) ولا يُلقى جسدك كله في جهنم (ولك عينان). وإن كانت يدك اليُمنى (أو رجلك) تُعثرك **فاقطعها** وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك (أن تدخل الحياة أعرج أو أجدع) ولا يُلقى جسدك كله في جهنم" (مت ٥:٢٩و٣٠؛ ١٨:٨و٩)؛

"وإن أعثرتك رجلك **فاقطعها**. خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتُطرح في جهنم في النار التي لا تُطفأ" (مر ٩:٤٣-٤٨).

o النزع والإخراج (للعيوب)

"يا مرائي **أخرج** أولاً الخشبة من عينك" (مت ٧:٥، لو ٦:٤٢).

o الخلع (للثوب – أعمال الجسد – الإنسان العتيق) **ولِبْس لباس العُرس** (بر المسيح) (مت ٢٢:١١و١٢):

"إذ **خلعتم** الإنسان العتيق" (كو ٣:٩)؛

"أن **تخلعوا**... الإنسان العتيق الفاسد، **وتلبسوا** الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أف ٤:٢٢و٢٤).

o الندم (عن حياة الخطية)

"لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به، وأما العشارون والزواني فآمنوا به. وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به" (مت ٢١:٣٢).

وقد تضمنت الأناجيل نماذج شهيرة للتائبين، تلقي مواقفها الضوء على جوانب التوبة مثل: **زكا العشَّار** (لو ١٩:١-١٠)، **المرأة الخاطئة** (لو ٧:٣٦-

٥٠)، **المرأة الزانية** (يو ٨:٣-١١)، **الابن الضال** (لو ١٥:١١-٣٢)، **العشَّار**، رفيق الفرِّيسي (لو ١٨:٩-١٤)، **المرأة السامرية** (يو ٤:١-٤٢)، وغيرهم.

المسيح يدعو إلى التوبة كمدخل للحياة الجديدة واقتناء الملكوت

"جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كَمَل الزمان واقترب ملكوت الله، **فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**" (مر ١:١٤و١٥)؛

"روح الرب عليَّ، لأنه مسحني **لأُبشِّر المساكين** (المهمَّشين والمنبوذين والمُذلِّين والمحتاجين)، أرسلني **لأشفي المنكسري القلوب** (النفوس الكسيرة والمحطمة)، **لأُنادي للمأسورين بالإطلاق** (من سجن الخطية) **وللعُمْي بالبصر** (الحياة في النور)، **وأُرسل** المنسحقين في الحرية (من ذل الخطية)، وأكرز بسنة الرب المقبولة... إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم" (لو ٤:١٨-٢١).

فالتوبة التي يدعونا الرب إليها هي المدخل الطبيعي، إذاً، للشفاء من الخطية والتخبُّط في الظلام، والتمتُّع بالحياة الجديدة في النور والحرية وامتدادها بالإيمان بالمسيح إلى الملكوت الأبدي.

المسيح يناوئ الخطية ولكن قلبه مفعم بالحب والرحمة للخطاة، ويدرك حاجتهم إليه، ويؤكِّد أنه جاء ليموت لأجل خلاصهم

إنه **السامري الصالح** الذي لَمَّا جاء إلى الجريح "**تحنَّن** (أظهر محبته)، فتقدَّم وضمد جراحاته، وصبَّ عليها زيتاً وخمراً (شفاه من الخطية)، وأركبه على دابَّته (فضَّله عن نفسه)، وأتى به إلى فندق (هيَّأ له رعاية الكنيسة) واعتنى به (كل الأيام)" (لو ١٠:٣٣و٣٤):

"إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه"

(مت ٩:١٠)؛

"هذا يقبل خطاة ويأكل معهم" (لو ١٥:٢)؛

"محب للعشارين والخطاة" (مت ١١:١٩، لو ٧:٣٤)؛

"ولكن الله بيَّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥:٨)؛

"لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. فاذهبوا وتعلَّموا ما هو . إني أريد رحمة لا ذبيحة، **لأني لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة"** (مت ٩:١٢و١٣، مر ٢:١٧، لو ٥:٢٩-٣٢)؛

"**هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد،** لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣:١٦)؛

"لأنه لم يُرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل **ليخْلُص به العالم"** (يو ٣:١٧)؛

"لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَم بل **ليَخدِم وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين"** (مر ١٠:٤٥)؛

"لأن ابن الإنسان قد جاء لكي (يطلب) **ويخلِّص ما قد هلك"** (مت ١٨:١١، لو ١٩:١٠).

"مَن يُقبل إليَّ لا أُخرجه خارجاً" (يو ٦:٣٧).

فضمان الخاطئ التائب في أن يقبله الرب ولا يرفضه، هو محبة الله ورحمته للخطاة وإشفاقه عليهم ونزوله إليهم في مذلتهم لإنقاذهم من الهلاك، وذلك بموته على الصليب وقيامته المنتصرة على الموت أجرة الخطية وثمرتها. فثمن الغفران قد دُفع مقدَّماً، والآن هو وقت الخلاص لا الدينونة، ولا يبقى غير أن يتقدم كل محتاج تائب لنوال نصيبه في الحياة الأبدية.

على أن الرب لا يحب الخاطئ لأنه خاطئ **"فطريق الشرير مكرهة الرب"**

(أم ٩:١٥)، وإنما لأنه يدرك قصوره وأنه (أي الخاطيء) لا يستطيع أن يخلِّص نفسه، ولأن الرب يشاء خلاصه لا هلاكه، وهذا كلَّفه دمه. وهذه المحبة تشجِّع الخاطئ على العودة إلى الأحضان الأبوية من خلال الشفيع الذي هو كفَّارة لخطايانا (١يو ١:٢و٢) دون أن يخشى أو يخجل أن يأتي إليه كما هو، واثقاً في قدرة الله غير المحدودة على طرح الخطية: **"قد محوتُ كغيم ذنوبك"** (إش ٢٢:٤٤).

المسيح يشير إلى شمول التوبة الأولى

في الأغلب الأعم تجتاز حياتنا مع الله توبة كبرى هي النقطة الحاسمة الفاصلة بين ماضٍ متعثِّر تلاحقه الهزائم ويغشاه الظلام، وحياة جديدة مختلفة جذرياً تتجه إلى الله وتتمتع بالخلاص الثمين ومساندة الروح في اختبار حقيقي للإيمان، تسير في النور وترفض النكوص: **"كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب"** (أف ٨:٥)، وحتى إن زلَّت فهي تنهض بالنعمة المُخلِّصة لجميع الناس (تي ١١:٢)، وشعارها: **"نحن الذين متنا عن الخطية** (إذ اعتمدنا) **كيف نعيش بعد فيها"** (رو ٢:٦).

وفي حالة غير المؤمنين، فإن هذه **التوبة الأولى** هي الفاصل بين حالة عدم الإيمان والتغرُّب عن المخلِّص، وبين اهتدائهم إلى الرب وانتقالهم إلى النور وحياة الإيمان المسيحي. وبالطبع فإن تغيُّرهم يكون أكثر سطوعاً وحسماً وإبهاراً من تغيُّر هؤلاء الذين تعمَّدوا في طفولتهم ونشأوا في أوساط مؤمنة، ثم شَرَدُوا لفترة طالت أو قصرت وعادوا بعدها إلى الحظيرة.

وعندما نشير إلى شمول **التوبة الأولى** هذه، فالقصد أنها لا تعني مجرد الكف (الظاهري أحياناً) عن خطيئة هنا أو هناك، وإنما تغييراً كاملاً وعميقاً لنهج

الحيـــاة وتحوُّلاً في القلب والفكر والاتجـــاه، وهـــــو ما ينسجم مع الإيمان الحي المخلص الذي لا يمكن أن يجتمع فيه النور مع الظلمة (٢كو ٦:١٤). وها هي كلمات الرب تشير إلى ذلك بأجلى بيان:

"ليس أحد يجعل (يخيط) رقعة من قطعة جديدة (ثوب جديد) على ثوب عتيق، لأن الملء (الجديد) يأخذ من الثوب (العتيق) (يشقّه) (والعتيق لا توافقه الرقعة التي من الجديد)، فيصير الخرق أردأ. ولا يجعلون خمراً جديدة في زقاق عتيقة، لئلا تنشقَّ الزقاق، فالخمر تنصبُّ (تهرق) والزقاق تتلف. بل يجعلون **خمراً جديدة في زقاق جديدة** فتُحفظ جميعاً" (مت ٩:١٦و١٧، مر ٢:٢١و٢٢، لو ٥:٣٦-٣٨).

وبالطبع فإن ممارسة **التوبة الأولى** الحاسمة ليست هي نهاية المطاف بل بدايته. فهي تعني تكريس حياة التوبة لتصير جزءًا صميمياً في النسيج الروحي للمؤمن يتواصل معه ولا يتوقف كل أيام الحياة على الأرض. فالتوبة الأولى غيَّرت الاتجاه من الضد إلى الضد: فالتبعية صارت للرب، والحياة انتقلت مِن ثمَّ إلى النور، والخطية افتُضحَت ولم تَعُدْ تتخفَّى، وتكوَّنت "أجسام مضادة" بعمل الروح تهاجم الخطية كلما تعرَّض لها المؤمن. وتصير التوبات التالية على مدى الحياة لتصحيح المسار كلما انحرف، وتنقية القلب من "الملوِّثات"، وتجديد العبادة، ليظلَّ توجُّه الحياة لشخص الرب لا سواه.

وفي حوار الرب مع بطرس عند غسل الأرجل (يو ١٣:٤-١٠)، رفـــض بطرس أن يغسل له الرب رجليه قائلاً: "لن تغسل رجليَّ أبداً". فأجابه الـــرب يسوع: "إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيبٌ". فقـــال لـــه بطـــرس: "يا سيد، ليس رجليَّ فقط بل أيضاً يديَّ ورأسي". قال له الـــرب يـــسوع:

"**الذي قد اغتسل** (أي اعتمد ويحيا في الإيمان وجاز توبة حاسمة "**ميطانيا**") **ليس له حاجة إلاَّ إلى غسل رجليه** (التوبة المتجدِّدة للخطايا الطارئة وتراجُع المحبة)، **بل هو طاهر كله**. وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم (يقصد يهوذا)".

فالتوبة، إذاً، هي تجديد للمعمودية وإضرام لمحبة الله في القلب بعد انحسار الخطية، وسير في النور بعد الانفلات من سلطان الظلمة. وسواء تلك التوبة الحاسمة للخاطئ مع بداية الحياة الإيمانية، أو تلك المتجدِّدة على مدى الحياة للسائرين المجاهدين، فإنها سمة **للإيمان الحقيقي** وانتصار له وإعلان عن تبعية المسيح وحَمْل صليبه.

الرب يكشف عن موقف الله الإيجابي الكريم إزاء الخطاة الراجعين، فيسعى إليهم ويقبلهم ويعاملهم بالرقة والعطف لتشجيعهم على الثبوت في الحياة الجديدة في المسيح

(١) زكَّا (لو ١٩: ١-١٠)

لقد طلب **زكا** "أن يرى يسوع مَن هو". فلما رآه يسوع قال له: "أسرع وانزل، **لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك**".

فالله نظر إلى مجرد نية زكا في التعرُّف عليه والسعي إليه، ولم ينتظر أن يدعوه إلى بيته؛ بل **اعتبر بيت زكا بيتاً له، يمكث فيه وليس فقط أن يزوره**. والرمز هنا أن التوبة كفيلة بأن يستقر الله الطيب في قلب التائب: "هأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، **أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي**" (رؤ ٣: ٢٠).

(٢) المرأة الخاطئة (لو ٧: ٣٦-٥٠)

الرب يُظهر هنا حنانه فلا يقسو على الخطاة باستجواب يكشف خطيتهم، أو توبيخ يجرح مشاعرهم ويفضحهم، ولكنه إذ يـــدرك عمق توبتهم وندامتهم وإحساسهم بالعار، يغمرهم بفيض حبه ورحمته وغفرانه لخطاياهم دون أن يتكلَّم كثيراً.

فالمرأة الخاطئة لم تتكلَّم، وإنما بكت وبلَّت قدمي السيد بدموعها (**ندم شديد**) ومسحتهما بشعر رأسها (**انسحاق لا يُخْفَى**) وقبَّلتهما ودهنتهما بالطيب (**حب غامر**). وقد أدرك الرب بغير كلام مدى محبتها لشخصه. من أجل ذلك "**غُفِرت خطاياها الكثيرة** لأنها أحبت كثيراً...". ثم قال لها: "**مغفورة لك خطاياك**" (إعلان ما تم بالفعل – أي حِلاً من فمه). وفي النهاية قال لها: "**إيمانك قد خلَّصك. اذهبي بسلام**" (أي أن التوبة تستند إلى **إيمانها** بالمخلِّص. وبعد التحرُّر من الخطية يأتي **السلام** الموهوب من إله السلام).

والكنيسة تمجِّد توبة المرأة الخاطئة، واختارت هذا الفصل من الإنجيل لتقرأه في صلاة نصف الليل (الخدمة الثانية)، ويتمثَّل المصلِّي بالمرأة التائبة قائلاً: "**أعطني يارب ينابيع دموع كثيرة كما أعطيتَ منذ القديم للمرأة الخاطئة، واجعلني مستحقاً أن أَبلّ قدميك اللتين أعتقتاني من طريق الضلالة، وأُقدِّم لك طيباً فائقاً وأقتني لي عمراً نقياً بالتوبة لكي أسمع أنا ذلك الصوت الممتلئ فرحاً إن إيمانك خلَّصك**".

(٣) **المرأة الزانية** (يو ٨:٣-١١)

رغم فضيحة **المرأة الزانيـــة**، إذ أنهـــا أُمسكت في ذات الفعل، وأحـــدق بها جمع كبير ممَّن يكنُّـــون لها مشاعر الاحتقار والتشفِّي، وقد أمسكوا بحجارة ليرجموها؛ إلاَّ أن **السيد أظهر لها كل رحمة وشفقة، وأعاد لها كرامتها الإنسانية التي أهدرتها الخطية والخضوع للدنس**. كما كشف المسيح رياء المشتكين عليها

وأنهم خطاة مثلها حتى انسحبوا من المكان مطأطئي الرؤوس. وبَقِيَ الرب يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط. وفي رقة قال لها: "أين هم أولئك المشتكون عليكِ؟ أما دانك أحدٌ؟ فقالت: لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع: **ولا أنا أدينكِ. اذهبي ولا تُخطئي أيضاً**" (يو ٨:١٠و١١).

فمحبة الله الغافرة التي يُفاجأ بها الخطاة تأسرهم فتغيِّرهم. والرب يُقدِّم لكل الرعاة والخُدَّام نموذج المحبة القاهرة للخطية مهما عظمت، والتي فيها يتحوَّل الخطاة والمنحرفون -حتى العتاة منهم -إلى قديسين، والزناة التائبون إلى بتوليين من جديد.

(٤) الابن الضال (لو ١٥:١١-٣٢)

يضيف هذا المثل الشهير - الحافل بالتفاصيل التي حرص الرب على ذكرها -جوانب أخرى عن خطوات التوبة كما جازها الابن العائد، وموقف الله من الخطاة التائبين كما تجلَّت في تصرُّفات الأب في المثل. وها نحن نتوقَّف عند عناصر ورموز المثل لنرى إلى ما تشير:

فعن **الابن** يقول المثل إنه عندما أدرك ضلاله: "**رجع إلى نفسه**" (لو ١٥:١٧)، فكانت الخطوة الأولى في التوبة هي **مراجعة النفس والإقرار بتدهور الحياة**. وكانت الخطوة التالية **اتخاذ القرار**: "**أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له: يا أبي أخطأتُ**" (لو ١٥:١٨)، والخطوة الثالثة **تنفيذ القرار بحسم ودون تردُّد**: "**فقام وجاء إلى أبيه**" (لو ١٥:٢٠)، وكانت الخطوة الأخيرة **الاعتراف بالخطأ**: "**أخطأتُ إلى السماء وقدَّامك، ولستُ مُستحقاً بعد أن أُدعى لك ابناً**" (لو ١٥:٢١).

أما عن ردِّ الفعل المقابل **للأب** - الذي يُعبِّر عن موقف الله من الخطاة الراجعين بعد الغياب - فيشير المثل إلى انتظار الأب عودة ابنه: "**إذ كان لم يَزَلْ**

بعيداً" (لو ١٥:٢٠) مسانداً فكرة التوبة. ويواصل المثل فيقول: **"رآه أبوه"** أي أدرك نيته؛ **"فتحنَّن"**، ولم يستعد للعقاب والمؤاخذة، بل **"ركض"** أي أسرع إليه قبل أن يتلقَّفه عدو الخير ليثنيه عن عزمه، **"ووقع على عنقه"** مُرحِّباً سعيداً لا جامداً غاضباً لكي يزيل حرجه، **"وقبَّله"** رغم هيئته الزرية- أي قَبِـلَه كما هو- ولكن عامله كابن عائد رغم أنه أهانه وطلب أن يرثه وهو بعد حي وهجره بإرادته.

وإذ دعا لحفلٍ بهذه المناسبة السعيدة، "قال الأب لعبيده: **أخْرِجوا الحُلَّة الأولى وألبسوه"**، فالتوبة تطرح الماضي كأنه لم يكن وتكسو التائب ثوب البر من جديد؛ **"واجعلوا خاتماً** في يده"، فالخاطئ العائد مهما طالت غربته يظل ابناً ووارثاً وهذا الخاتم هو علامة البنوَّة؛ **"وحذاء في رجليه"** (لو ١٥:٢٢)، فلجوء التائب إلى حضن الله بعد الضلال يكفل له الرعاية والحماية الإلهية التي يرمز إليها لبس الحذاء (ولن يحتاج فيما بعد إلاَّ إلى غسل رجليه - يو ١٣:١٠)؛ **"وقدِّموا العجل المُسمَّن واذبحوه"**، هنا يُعبِّر الرب عن فرحه ورضاه بفيض البركة وإعادة الخاطئ إلى المائدة المقدسة؛ **"فنأكل ونفرح"** (لو ١٥:٢٣)، لأنه "هكذا **يكون فرح في السماء (قدَّام ملائكة الله)** بخاطئ **واحد يتوب** أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة" (لو ١٥:٧و١٠).

ولكن، **لماذا كل هذا الفرح بعودة الخاطئ؟** ها هو الرب يُقدِّم حججه:

(أ) لأن الخاطئ التائب في نظر الله يكون **كميت قد عاد إلى الحياة، وكضال اهتدى بعد التيه** (لو ١٥:٢٤و٣٢)، **"تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يَحْيَوْن"** (يو ٥:٢٥).

هذا الاهتمام **بعودة الضال** شبيه بمحبة الأب للابن العليل المحتاج للرعاية أكثر من سائر إخوته الأصحاء الذين يحبهم الأب بالتأكيد، ولكن لأنهم ثابتون في الطريق فلا يحتاجون إلى إنقاذ من الهلاك: **"يا بُنيَّ أنت معي في كل حين،**

وكل ما لي فهو لك" (لو ١٥:٣١). فهم مستمتعون بـــالوجود مع أبيهم ولم يتعرَّضوا لهـــذه الغربـــة والمذلّـــة التي يتعرَّض لها الخطاة الشاردون الذيـــن يخدعهم عدو كل خير.

(ب) ثم يُقدِّم الرب هذا المثل الآخر: "أيُّ إنسان منكم له مئة خروف، وأضاع واحداً منها، أَلاَ يترك التسعة والتسعين في البرية، ويذهب لأجل **الضال** حتى يجده؟ وإذا وجده يضعه على منكبيه **فرحاً**، ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم: **افرحوا معي**" (مت ١٨:١٢و١٣، لو ١٥:٣-٧).

(ج) ثم يورد هذا المثل الثالث: "أو أيَّة امرأة لها عشرة دراهم. إن أضاعت درهماً واحداً، ألا توقد سراجاً وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده؟ وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة: **افرحن معي**..." (لو ١٥:٨-١٠).

في ذات الوقت فإن الله يدين غير التائبين

فيذكر البشير متى أن الرب "ابتدأ **يُوبِّخ** المدن التي صُنعت فيها أكثر قوَّاته **لأنها لم تَتُب**"، وصبَّ الويلات على كورزين وبيت صيدا وكفرناحوم، منبئاً أن صور وصيدا وحتى سدوم ستكون لها حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لهذه البلاد (مت ١١:٢٠-٢٤). وفي إنجيل القديس لوقا يُحذِّر الرب كل الغافلين: **"إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون"** (لو ١٣:٣و٥).

وإذا كان الله قد قَبِـــلَ العشار التائب الشاعر بالخزي بسبب الخطية ولم يجد غير كلمات قليلة يطلب بها الغفران، فإنه رفض صلاة الفرِّيسي المعتدّ ببره الشخصي وشعوره بعدم الحاجة إلى الله: **"أقول لكم: إن هذا** (العشار) **نزل إلى بيته مبرَّراً دون ذاك** (الفرِّيسي)" (لو ١٨:١٤).

ولكن الله لا يتصيَّد الخطاة في خطيتهم ليُعاقبهم "لكنه يتأنَّى علينا، وهو لا يشاء أن يَهْلِك أُناسٌ، بل أن يُقْبِـــل الجميع إلى التوبة"

(٢بط ٣:٩)، "**هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذي في السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار**" (مت ١٨:١٤).

كما أن الرب **طويل الأناة مستعد أن يصبر على المتهاونين** مترجياً توبتهم. ففي مَثَل شجرة التين يقبل السيد مناشدة الكرَّام من أجل الشجرة غير المثمرة: "**يا سيد، اتركها هذه السنة أيضاً**، حتى أنقب حولها وأضع زبلاً (الجهاد ضد الخطية). فإن صنعت ثمراً (يكون خيراً وبركة)، وإلاَّ ففيما بعد تقطعها" (لو ١٣:٦-٩).

من سمات التوبة الحقيقية

(**١**) يميِّز التائب الحقيقي **شعوره الصادق بخطيئته** (**أي أنه ليس فقط يتظاهر بأنه خاطئ**)، وأمامنا هنا نموذج **العشار** الذي في انسحاقه وإحساسه بالخزي "**وقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: اللهم ارحمني أنا الخاطئ**" (لو ١٨:١٣)، ورغم تدهور حالته فإنه **يتعشَّم في رحمة الله الواسعة التي يشمل بها الخطاة** ليقتادهم إلى التوبة ويقبل الراجعين ولا يرفضهم. **فالرب لم يأت ليدعو الأبرار** (مت ٩:١٢، مر ٢:١٧، لو ٥:٣٢) أو الخطاة المدَّعين (الأبرار في أعين أنفسهم)؛ وإنما المعترفين بواقعهم الخاطئ.

(**٢**) بعد نكوص الشاب الغني عن تبعية الرب بسبب محبته لأمواله، تحدَّث الرب لتلاميذه عن مصاعب دخول المتَّكلين على أموالهم إلى الملكوت. فتساءل التلاميذ فيما بينهم قائلين: "فمَن يستطيع أن يخلص"؟ فجاء القول الفصل من الرب: "عند الناس غير مستطاع، ولكن ليس عند الله، **لأن كل شيء مستطاع عند الله**" (مر ١٠:٢٦و٢٧).

فنحن لا نستطيع أن نتوب من ذواتنا، ولكننا نحتاج إلى عمل نعمة الله لكي

تُحرِّك مشاعرنا بالتوبة: **"توِّبني فأتوب لأنك أنت الرب إلهي"** (إر ٣١:١٨). ومن هنا فتوبة الخاطئ تبدأ بإقراره بالحاجة إلى الله.

وتشير كلمة الله إلى أن تحقيق التوبة يتم بعمل مشترك للآب والابن والروح القدس. فعن عمل **الآب** في التوبة يقول الرب: "لا يقدر أحدٌ أن يُقبل إليَّ **إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني... فكل مَن سمع من الآب** وتعلَّم يُقبل إليَّ... لا يقدر أحد أن يأتي إليَّ **إنْ لم يُعطَ من أبي**" (يو ٦:٤٤و٤٥و٦٥). وعن عمل **الابن** يقول الرب: **"لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً"** (يو ١٥:٥)، "كل ما يعطيني الآب فإليَّ يُقبل، **ومَن يُقبل إليَّ لا أُخرجه خارجاً"** (يو ٦:٣٧)، **"فإن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً"** (يو ٨:٣٦). ويشهد يوحنا المعمدان أنَّ: **"الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية**، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يو ٣:٣٦). ومن جديد يؤكِّد معلِّمنا القديس يوحنا في رسالته الأولى أنَّ: "**مَن له** الابن **فله الحياة**، ومَن ليس له ابن الله فليست له الحياة" (١يو ٥:١٢).

فإذا كانت غاية **الابن** أن يُصالحنا مع **الآب** ويُقدِّمنا أولاداً له بالتبنِّي: **"أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه"** (يو ١:١٢)، فإن الطريق إلى الإيمان **بالابن** يمر **بالآب** (يو ٦:٤٤). ومن ناحية أخرى، فإنَّ غاية **الروح القدس** أن يعرفنا المسيح فهو الذي يعدّ قلوبنا للإيمان به: **"ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاَّ بالروح القدس"** (١كو ١٢:٣)، وهو كروح الحق **يُبكِّتنا على خطايانا** (يو ١٦:٨)، **وينخسنا في قلوبنا** (أع ٢:٣٧) فيهدينا إلى التوبة؛ وهو الذي يشهد للمسيح (يو ١٥:٢٦)، ويُقدِّسنا فيه (رو ١:٤)، ويُقدِّمنا بالمسيح إلى الآب كأولاد لله (رو ٨:١٥و١٦).

(٣) **هناك سلوكيات ملازِمة للتوبة الحقيقية** وتنمّ عن صدقها وأصالتها:

+ فلكي يظل التائب متمتعاً بنعمة الغفران عليه **أن يغفر للمسيئين إليه وبلا حدود** متمثِّلاً بالرب في اتساع قلبه إزاء الخطاة: "اغفروا يُغفر لكم" (لو ٦:٣٧). وها هو بطرس يسأل الرب: "كم مرة يُخطئ إليَّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات" (مت ١٨:٢١و٢٢، لو ١٧:٣و٤).

+ يتسق مع حياة التوبة أيضاً **إصلاح الأخطاء في حق الغير. وفي هذا يقول الرب:** "فإن قدَّمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكَّرت أنَّ لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح، **واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعالَ وقدِّم قربانك**" (مت ٥:٢٤).

+ كما يكشف صدق التوبة **التخلُّص من ثمار الخطية**. فاستبقاء مكاسب الخطية بعد إعلان التوبة هو رياء وتزييف للتوبة وطعن في صدقها. وقد أكَّد أصالة توبة زكا وتبعيته للرب إعلانُه: **"ها أنا يا رب أُعطي نصف أموالي للمساكين، وإن كنت قد وشيتُ بأحد أردّ أربعة أضعاف"** (لو ١٩:٨)، فسمع من الرب البُشرى السارة: **"اليوم حصل خلاص لهذا البيت"** (لو ١٩:٩).

+ نضيف أن **التائب الحقيقي لا يتحرَّج من الاعتراف بخطيئته أمام الكنيسة والناس،** لا يُرائي ولا يُبرِّر نفسه بل يسعى للتخلُّص من خطيئته وفضحها، وهكذا يتحرر منها: **"مَن يكتم خطاياه لا ينجح، ومَن يُقر بها ويتركها يُرحم"** (أم ٢٨:١٣). ورسول الأمم العظيم القديس بولس لا يخفي ماضيه فيقول: **"أنا الذي كنتُ قبلاً مُجدِّفاً ومُضطهِداً ومُفترياً**. ولكنني رُحمتُ، **لأني فعلتُ بجهل في عدم إيمان**... أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلِّص **الخطاة الذين أولهم أنا"**

(١تي ١:١٣و١٥)، والذي فَتَح الرب عينيه يعترف: "**أني كنتُ أعمى والآن أُبصر**" (يو ٩:٢٥).

ما بعد التوبة

يكشف نوع الحياة التالية لبدء التوبة الحقيقية عن صدقها وحيويتها. فالتائب الحقيقي **يسلك في جدَّة الحياة** (رو ٦:٤)، وهو نفسه يدرك التغيير الذي طرأ على توجهاته وسلوكه وأهدافه، كما يلمسه مَن حوله، وفي سمعه صوت الرب: "**ها أنت قد برئتَ فلا تُخطئ أيضاً**" (يو ٥:١٤). وهو لا يتحفظ في إعلان تبعيته للمسيح والجهر بعمل نعمة الله والتبشير بالمخلِّص أمام الآخرين: "**اذهب إلى بيتك وإلى أهلك، وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك**" (مر ٥:١٩، لو ٨:٣٩). فالسامرية تركت جرتها ومضت إلى مدينتها تهتف: "**هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت. ألعل هذا هو المسيح**" (يو ٤:٢٩). والنتيجة أنْ: "**آمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة...**" (يو ٤:٣٩).

وعلى العكس من ذلك، فإن التظاهر بالتوبة مع استبقاء الخطايا في أركان القلب المظلمة، والاتجاه إلى التديُّن الشكلي السهل والعَرَج بين الفرقتين، يعني أن النفس تتفادى المواجهة الصحيحة، وتتهرَّب من النور ولا تزال تستعذب السير في الظلمة، وترتضي حياة الأَسر الذليلة في يد الشيطان.

الإيمان والتوبة

عندما بدأ الرب دعوته للتوبة بيَّن أنها الخطوة الأولى في الإيمان به: "**توبوا وآمنوا بالإنجيل**" (مر ١:١٥). وفي ختام دعوته قبل صعوده، أعلن القانون الإلهي: "**مَن آمن واعتمد خَلَصَ، ومَن لم يؤمن يُدَنْ**" (مر ١٦:١٦).

وواضح أن إعلان **الإيمان** بالمسيح مخلِّصاً وحيداً (ويقترن به التعهُّد **بالتوبة** عن حياة الخطية)، هو خطوة حتمية قبل أن تسمح الكنيسة للشخص البالغ الراشد أن ينال نعمة المعمودية والميلاد الثاني بالروح القدس، الذي يهب الثبوت في المسيح واستمرار التوبة وممارسة القداسة.

فالإيمان ضرورة للخلاص. والذين اعتمدوا في طفولتهم ليسوا مستثنين من شرط الإيمان؛ **بل هم ملتزمون عند نضجهم أن يُعلنوا ويختبروا حياة الإيمان لكي يتمتعوا بالخلاص، ويضرموا عمل الروح القدس الذي نالوه في المعمودية، ويمارسوا التوبة وحياة القداسة.** وتكون مهمة الوالدين أو الإشبين أو الكنيسة – من خلال التعليم والقدوة – أن يُعَدَّ الطفل المعمَّد خلال سنيه الأولى لقبول الإيمان عندما يبلغ الحلم. وبغير ذلك نكون كمَن يستبعد دور الإيمان في الخلاص.

ويشير التاريخ الكنسي (كما يذكر كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة للعلاَّمة **يوحنا بن زكريا** المعروف **بابن سبّاع** في القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر) إلى أنه كان من الممارسات المتبعة حتى ذلك الزمان أن يذهب الأبوان بابنهما (أو ابنتهما) الذي بلغ الحلم (حوالي عمر ١٣ أو ١٤ سنة) إلى الكنيسة ليعلن بنفسه إيمانه بالمسيح كمخلِّص، جاحداً الشيطان (وهو ما أدته أُمه أو إشبينه عنه يوم معموديته وهو طفل). **فالإيمان شخصي وليس نيابياً.**

ولا شكّ أن هذا الاحتفال الكنسي بإعلان الإيمان (والتوبة) يضع الشاب (أو الشابة) أمام مسئوليته عن مصيره، ويستثير جدِّيته والتزامه ليحفظ نفسه إلى حياة أبدية. وهكذا يُتمم خلاصه بخوف ورعدة (في ٢:١٢)، رافضاً الخطية ومُصحِّحاً مسيرته كل الأيام بالتوبة الدائمة، ونظن أن توقُّف ممارسته كان خسارة فادحة.

وإذا كنا نفتقد هذا الاحتفال الآن ونتمنى عودته، فإنه يُمارَس بالفعل حالياً في بعض الكنائس الغربية، وعادةً يسبقه منهج تعليمي لعدة أسابيع بحيث يعكس إعلان الإيمان معرفة بحقائق الإيمان ومفردات العقيدة، **ليكون المؤمن مؤهَّلاً لمجاوبة كل مَن يسأله عن سبب الرجاء الذي فيه** (١بط ٣:١٥).

علاقة التوبة بالإيمان، إذاً، علاقة عضوية كعلاقة الفرع بالأصل. ومن هنا الإلحاح على تجديد الإيمان وتفعيله. فالتوبة الأولى والمتجددة هي إعلان على فاعلية الإيمان الحي (الذي يجهر به الكثيرون بعد معموديتهم) وعلاقتها الساطعة: الحرية من الخطية: **"فإن حررتكم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً"** (يو ٨:٣٦)، والسير في النور: **"سيروا ما دام لكم النور"** (يو ١٢:٣٥)، **"أنا هو نور العالم. مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة"** (يو ٨:١٢).

وربما اختبر الخاطئ التائب بعد توبته حياة قداسة أكثر ازدهاراً وثماراً من حياة مؤمن فاتر اكتفى بالقليل.

إن التوبة في الحقيقة هي عمل القديسين.

إقامة لعازر من الموت ...
إعلان مبكر عن قيامة الحياة

قبل أيام من مواجهته للموت فى الموقعة الكبرى التى قهر فيها الموت – الذى قبله بإرادته لثلاثة أيام ثم دحره يوم القيامة – يتواجه معه أمام قبر لعازر كأنها المعركة التمهيدية المبشّرة بالانتصار فى الجولة النهائية التى تم الإعداد لها منذ سقط الإنسان.

صديق العائلة

فى **بيت لعازر ومرثا ومريم** – الذين كان يسوع يحبهم (يو١١: ٥) – كثيرا ما وجد الرب راحته، رغم أن البيت يقع فى قرية بيت عنيا (أى بيت العناء). وسجّل الكتاب فى بدايات خدمة الرب زيارة لهذا البيت (لو١٠: ٣٨-٤٢) عرفنا من خلالها الأخت الكبرى **مرثا** المرتبكة فى خدمة كثيرة تكريما للضيف المحبوب، وقرأنا مديحا **لمريم** الأخت الصغرى التى لم تكن تضيّع الفرصة بل كانت تجلس عند قدمى الرب وتحفظ كلمات الحياة الخارجة من فيه، فهى عرفت أين تكمن حاجتها "**فاختارت النصيب الصالح الذى لن يُنزع**

منها"(لو١٠: ٤٢). وتكرر مديحها فيما بعد، قبل الفصح بأيام، فى حفل عشاء ابتهاجا بقيامة أخيها لعازر، إذ دهنت قدمى السيد بطيب ناردين خالص كثير الثمن، ومسحتهما بشعر رأسها. وردا على انتقاد يهوذا لهذا الإسراف قال يسوع "اتركوها.. قد عملت بى عملا حسنا.. **قد سبقت ودهنت بالطيب جسدى للتكفين. الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها**" (مت٢٦: ٦-١٣، مر١٤: ٣-٩، يو١٢: ١-٨).

ثم جاء ذكر **أخيهما لعازر** (ومعنى الاسم إيلى عزار أى الله آزر أو أعان) فى رسالة بعثت بها الأختان تستدعيان الرب - صديق العائلة - وهو فى وادى الأردن بعيدا عن بيت عنيا على سفر يوم كامل، قائلتين "**يا سيد هوذا الذى تحبه مريض**" (يو١١: ٣).

عندما بلغ الربَ الخبر - وبحسب متابعة الأحداث - كان **لعازر** قد مات بالفعل. وقد دبر الرب أن يكون بعيدا ساعة مرض لعازر لأنه لو كان هناك لما سمح بموته. وهذا كان إيمان **مرثا ومريم** "**يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى**" (يو١١: ٢١، ٣٣).

وعلى العكس فقد مكث يسوع فى وادى الأردن يومين آخرين، لكى يعمل الموت فعله **ويؤدى فى النهاية إلى مجد الله** "**ليتمجد ابن الله به**" (يو١١: ٤).

أذهب لأوقظة

ولأن الرب هو **القيامة والحياة**، وهو قد جاء ليحررنا من موت الخطية ومن الموت الأبدى، **فالموت** لا يستطيع الصمود أمامه **وهو مهزوم** لا محالة. ومن هنا فالرب لا يرى فى الموت، أقسى وآخر أعدائنا، إلا أنه مجرد **رقاد مؤقت يطول أو يقصر، وتعقبه القيامة** كأنها الاستيقاظ (ويسمّى النساك النوم

بالموت الصغير)، ومن هنا قال "**لعازر حبيبنا قد نام لكنى أذهب لأوقظه**" (يو١١: ١١). **فالرب وهو يقيم من الموت** (موت الخطية أو الموت الجسدى) كأنه يوقظ من النوم، وهكذا قال عندما دخل على ابنة يايرس وهى ميتة "**لم تمت الصبية لكنها نائمة**"(مر٥:٣٩، لو٨: ٥٢).

وفى مناسبات أخرى تعامل الرب مع الموت الجبار كأنه يشفى من المرض. هكذا قال ليايرس رئيس المجمع – وأحدهم يخبره "قد ماتت ابنتك لا تتعب المعلم" (لو٨: ٤٩)– "**لا تخف. آمن فقط فهى تشفى**"(لو٨: ٥٠). وقال لتلاميذه عن لعازر "**إن كان قد نام فهو يشفى. وكان يسوع يقول عن موته**".

والأمر **نفسه ينطبق على تعامل الرب مع موت الخطية** فهو يُنهض الخطاة من خطيتهم كأنه **ينقذهم من النوم أو يشفيهم من المرض**. وكما ينادى الوحى "**استيقظ أيها النائم** (الخاطئ المتهاون) **وقم من الأموات** (انهض من **حياة الخطية إلى الحياة الجديدة) فيضئ لك المسيح**" (اف٥: ١٤). هذه هى **القيامة الأولى** التى ينعم بها الرب علينا هنا على الأرض (رؤ٢٠: ٥) وهى عربون **قيامتنا الأخيرة**.

هو القيامة والحياة.. الآن وإلى الأبد

فى حوارهما مع الرب، بدت **مرثا ومريم** واثقتين فى الرب، وإنما فى حدود إيمانهما الذى اتسع لقدرة الرب على الشفاء (واضح من كلماتهما: لو كنت ههنا لم يمت أخى)، ولكن ليس لقدرته على الإقامة فى الحال. إذ أنه لما بشّر مرثا بقوله "**سيقوم أخوك**" (يو١١: ٢٣) كان أن أمنَّت على كلماته، ولكن بحسب فهمها، قائلة "**أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير**"(يو١١: ٢٤)، فأتاحت لنا ولكل من يؤمن أن نسمع من الرب كلماته أنه **القيامة والحياة .. الآن** – ونحن أحياء – **وليس غداً؛ أو الآن وفى آخر الزمان** – فى

مجيئه الثانى – **وإلى الأبد**، وأن انتقالنا **الآن** من الموت إلى الحياة فى المسيح هو الشهادة على تمتعنا بالقيامة والحياة **فى اليوم الأخير. فالذى أقامنا الآن من موت الخطية هو هو الذى سيقيمنا من قبورنا فى اليوم الأخير:**

"أنا هو **القيامة والحياة** (الجديدة هنا والأبدية فى مجيئه). **من آمن بى ولو مات** (بالجسد) **فسيحيا** (فى قيامة الحياة). وكل من كان **حيا** (روحيا) **وآمن بى فلن يموت** (روحيا) **إلى الأبد** (لن يجوز عليه الموت الأبدى بل ينال الحياة الأبدية)" (يو١١: ٢٥، ٢٦).

وهو تأكيد على ما سبق أن قاله الرب بعد شفاء مريض بيت حسدا عن الخلاص والنهوض من الموت الذى يبدأ هنا: "الحق الحق أقول لكم إن **من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية** ولا يأتى إلى دينونة بل **قد انتقل من الموت إلى الحياة** . الحق الحق أقول لكم **إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع فيها الأموات** (الخطاة) **صوت ابن الإنسان** (نداء الخلاص فى الإنجيل والتعليم والكرازة) **والسامعون** (الطائعون المؤمنون والثابتون) **يحيوْن** (يخلصون بالإيمان بالمسيح)"(يو٥: ٢٤، ٢٥). وأيضاً قوله "**كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير**"(يو٦: ٤٠)، "من يأكل جسدى ويشرب **دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير**"(يو٦: ٥٤)؛

بالضبط، كما أنه القيامة والحياة فى اليوم الأخير "لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتى **ساعة** (**المجىء الثانى**) **فيها يسمع جميع الذين فى القبور** (الأموات بالجسد) **صوته** (ابن الله) **فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة** (الحياة الأبدية) والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (الموت الأبدى)"(يو٥: ٢٨، ٢٩).

نعم .. القيامة تبدأ هنا. والذين يعيشون فى المسيح يسوع الآن وتحرروا من

الخطية (شوكة الموت) بقوة قيامة المسيح، **قيامتهم هنا هى عربون قيامتهم الأخيرة: "ها ملكوت الله داخلكم"** (لو١٧: ٢١)؛

والحياة الأبدية تبدأ هنا "وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلـــه الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرســـلته" (يـــو١٧: ٣)، **وتمتـــد إلى ما لا نهاية؛**

والسماء صارت على الأرض. فالمسيح حاضر بجسده ودمه على المذبح، وأرواح الملائكة والقديسين من حولنا وإن لم نرهم بعيوننا الجسدية، ونحن عندما نصلى نتصل بالسماء. وفى الأسرار نحن نتعامل مع شخص المسيح والروح القدس "**فمن يأكلنى فهو يحيا بى**"(يو٦: ٥٧).

شريك الألم والموت

لما تصاعدت العواطف الحزينة وساد البكاء **مريم** واليهود الذين جاءوا معها وهرعوا للقاء السيد قبل بلوغه البيت، انزعج يسوع بالروح واضطرب، واجتهد أن يخفى حزنه وسألهم أين وضعوا الميت. **ولكن دموعه هو الآخر سالت حباً**، وسجل الكتاب هذا الحدث فى أقصر آياته "**بكى يسوع**" (يو١١: ٣٥)، كما سجل ملاحظة اليهود "**انظروا كيف كان يحبه**"(يو١١: ٣٦).

ها هو الرب يعبر عن كمال مشاعره تجاه الإنسان الذى سيذبح من أجله على الصليب بعد أيام. فكما شاركنا **التعب** (يو٤: ٦) و**العطش** (يو٤: ٧، ١٩: ٢٨) و**الجوع** (مت٤: ٢) و**الحزن** (مر٣: ٥، مت٢٦: ٣٨)، **ها هو يقاسمنا همومنا وضيقنا وانزعاجنا**، وهذه المرة **دموعنا** تعبيراً عن مشاركته لنا مشاعرنا الحزينة تجاه الموت. فإن كان كمال عدله يقبل أن نجتاز الموت بسبب خطايانا، فإن كمال محبته يعلن إشفاقه وتحننه على من يطويهم الموت وعلى أحبائهم الذين يسحقهم حزن الموت. ومن أجل هؤلاء ارتضى أن يسلم نفسه للموت "**لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس ويعتق**

أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية" (عب٢: ١٤، ١٥).

وهكذا تحققت فى الرب النبوات القديمة "**رجل أوجاع ومختبر الحزن.. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق أجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحُبُره شفينا والرب وَضَع عليه إثم جميعنا.. أما الرب فسر أن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم.. وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين**" (إش٥٣: ٣، ٥، ٦، ١٠، ١٢).

وهكذا كتب معلمنا بولس فى رسالته إلى العبرانيين عن مخلصنا المتألم "**لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرَّب فى كل شئ مثلنا بلا خطية**" (عب٤: ١٥).

يسوع القيامة والحياة فى مواجهة الموت

ثم جاءت لحظة المواجهة. المسيح أمام مغارة مغلقة تحتوى جسد لعازر المتحلل المنتن والذى طواه الموت قبل أربعة أيام (يو١١: ٣٨، ٣٩). ها هو الكلمة الخالق، الديان الذى يسمع الراقدون صوته، بقوة القيامة والحياة المذخّرة فيه، ينتزع لعازر من براثن الموت، ويستدعى نفسه من هاوية الجحيم كى تسكن الجسد من جديد، فتتوقف فيه عوامل الموت وتدب الحياة وتتردد الأنفاس وينبض القلب ويجرى الدم وتعمل الأجهزة، **كأنه كان نائما واستيقظ**. وبقوة واقتدار وجلال يصرخ الرب بصوت عظيم "**لعازر هلم خارجا**" (يو١١: ٤٣) فيقوم لعازر حياً بقوة الحياة فى كلمة الله. وهكذا برهن الرب على صدق كلماته "**أنا هو القيامة والحياة. من آمن بى ولو مات فسيحيا**" (يو١١: ٢٥).

* * *

ومعركة الصليب بادية فى الافق جاءت إقامة الرب للعازر فى الوقت المعين بهذه الصورة العلنية الجبارة كى يتيقن تلاميذه وكل من يؤمن به أنه لا يمكن أن يُمسك من الموت وهو رب الحياة. فالذى أقام لعازر بقوته وكلمته قادر أن يقيم نفسه. وعليهم أن يذكروا كل ما قاله لهم مرارا من قبل عندما أعلن أنه سيسلَّم إلى أيدى رؤساء الكهنة ليتألم كثيرا ويصلب، مقرنا كلماته فى كل مرة بأنه "**فى اليوم الثالث يقوم**" (مت١٦:٢١، ٢٠:١٩، ٢٦:٣٢، مر٨:٣١، ١٠:٣٤، لو٩:٢٢، ١٨:٣٣).

وإذا كان الرب قد أكد بإقامته للعازر أنه هو **القيامة والحياة** قبل أيام من صلبه وموته وقيامته، فهو قد ظل القيامة والحياة حتى وهو فى القبر وقبل أن يقوم، فيذكر الكتاب أنه بعد أن أسلم الروح أن "**الأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين**" (مت٢٧: ٥١-٥٣).

وبالنسبة لنا نحن المؤمنين الذين انتهت إلينا أواخر الدهور وتمتعنا بالخلاص والحياة الجديدة، فإن إقامة لعازر وقيامة الرب هى برهان ما سيفعله عند مجيئه "**فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه**"(مت٢٥: ٣١) "**بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله**"(١تس٤: ١٦) **فيقيمنا من التراب ويحيى عظامنا من جديد. وإذا كان لعازر قد مات بعد إقامته، فإننا أبناء القيامة الأخيرة لن نموت أبداً.**

الحديث الأخير ... والصلاة الأخيرة

فى الساعات القليلة الباقية بين سر العشاء الأخير وخروجه إلى جبل الزيتون وجهاده فى الصلاة قبل القبض عليه واقتياده للمحاكمات الظالمة والصلب، **فتح الرب يسوع قلبه لتلاميذه** وقال كلماته الوداعية، ووصاياه ووعوده الأخيرة، وختمها بصلاته العلنية الفريدة، على مرأى ومسمع من تلاميذه، متشفعاً من أجلهم ومن أجل كنيسته، وكاشفا بعض أسرار العلاقة غير المدرَكة بين الآب والابن.

وهنا محاولة للتفرس فى حديث الرب لتلاميذه ثم لأبيه، وقراءتهما قراءة متأنية، للإحاطة بعناصرهما الرئيسية، دون تفصيل، ودون التزام صارم بالسياق، بما ييسر على قارىء الكتاب فهماً أعمق لكلمات الرب، خاصة وقد استغرقت أكثر من ثلاثة أصحاحات كاملة من إنجيل معلمنا يوحنا (يو ١٣: ٣١-١٧: ٢٦).

(١) أتت ساعة المجد

+ المسيح يصف ما سيأتى عليه من آلام، يختمها الموت – وهو يراها كأنها حاضرة بالفعل (..**وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب..** – يو١٣:١) – بقوله: "**الآن تمجّد ابن الإنسان وتمجد الله فيه. إن كان الله قد تمجد فيه فإن الله سيمجده فى ذاته ويمجده سريعاً**" (يو١٣: ٣١،٣٢).

وقال كلماته هذه فور خروج يهوذا – الذى دخله الشيطان– بعد العشاء، وهو الذى حثّه قبل قليل على سرعة تنفيذ ما وطّد النفس على اتخاذه من تسليم المعلم إلى أعدائه "**ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة**" (يو١٣:٢٧).

وهو ما عاد إليه الرب فى بداية صلاته الشفاعية قائلاً "**أيها الآب قد أتت الساعة.. مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً...**"(يو١٧:١).

فالمسيح يرى صليبه عرشاً،وآلامه ودمه المسكوب، وموته ونزوله إلى القبر، ثم قيامته المنتصرة التى سحقت الشيطان سحقاً وبددت مؤامراته على الإنسان، تحقيقاً مظفراً لهدف مجيئه، ومن هنا تصير ساعة الصليب والموت الآتى هى ساعة المجد لأن بها غلب مخلصُ العالم.

على نفس القياس فإن آلامنا نحن المؤمنين من أجل المسيح هى أيضاً ستقودنا إلى المجد "**إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه. فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا**" (رو٨: ١٧، ١٨) "**لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً**" (٢كو٤:١٧).

+ الابن مجّد الآب بتكميل العمل الخلاصى المنوط به:

"**أنا مجّدتك على الأرض. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته.** والآن

مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو١٧: ٤، ٥).

.. وعن العمل الذى أتمه الرب، يقول مخلصنا:

"**أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم**. كانوا لك وأعطيتهم لى وقد حفظوا كلامك. والآن علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك. **لأن الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم وهم قبلوا وعلموا يقيناً أنى خرجت من عندك وآمنوا أنك أرسلتنى**" (يو١٧: ٦-٨).

+ والآب يمجد الابن بأن يهب الحياة الأبدية لكل من يؤمن:

"**أيها الآب... مجد ابنك... إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته. وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته**" (يو١٧: ١-٣).

فالتمجيد الحقيقى الذى يطلبه الابن هو لحساب من مات لأجلهم. ومن هنا فما يراه تمجيداً له ولإرساليته هو أن يهب الآب الحياة الأبدية لمن قبلوا الخلاص "**لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو٣: ١٦).

كما نرى فنحن حاضرون دوماً فى تدبير الآب وعمل الابن وإلهام الروح القدس وفعله. وفى معركة الابن الفاصلة ضد قوات الشر والظلمة، نحن فزنا معه وفيه، فبموته وقيامته وصعوده صار لنا دخول إلى ملكوته، والحياة الأبدية التى كانت للثالوث صارت أيضاً لكل من يؤمن بالابن مخلصاً وحيداً "**وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه. من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة**" (١يو٥: ١١، ١٢).

(٢) رؤى المستقبل

تضّمن حديث الرب إلى تلاميذه إشارات متكررة إلى أحداث تتم فى المستقبل القريب أو البعيد (تُضمّ إلى أحاديثه قبل يومين عن الأهوال الآتية وعلامات مجيئه ومشاهد من اليوم الأخير- مت٢٤،٢٥؛ مر١٣؛ لو٢١)، وصارت لكل الكنيسة رؤى تتحقق فى قابل الأيام وحتى انقضاء الدهر.

+ "**أنا أمضى (إلى الآب) لأعد لكم مكاناً**" (يو١٤: ٢، ٣، ٢٨، ٢٩؛ ١٦: ٥، ٦، ١٦، ٢٨):

وهنا يخبر الرب عن صعوده بعد موته وقيامته، ولكنه يجعل لمؤمنيه موقعاً فى هذا الحدث الإلهى، فهو يعود إلى مجده الذى كان له قبل كون العالم، وفى نفس الوقت، يستكمل مسيرة الخلاص للإنسان بإعداد موطنهم النهائى الأبدى فى الملكوت السعيد "**لأننا نعلم أنه إن نُقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا فى السموات بناء من الله بيت، غير مصنوع بيد، أبدى**" (٢كو٥: ١).

+ "**أُرسل لكم المعزى .. روح الحق .. الذى يرشدكم إلى جميع الحق**" (يو١٤: ١٦، ١٧، ٢٥؛ ١٥: ٢٦، ١٦: ٣، ٧- ١٥):

وهو يؤكد هنا على أنه لن يتركهم يتامى ولكنه سيرسل لهم الروح القدس يعزيهم عن غياب المحبوب بالجسد، ويحفظهم فى القداسة ويدافع عنهم أمام العالم، ويملأهم بالقوة، ويرشدهم إلى الحق الإلهى ويُلزمهم به، ويتكلم فيهم خلال كرازتهم، ويذكّرهم بوصايا الرب وأقواله، ويشددهم حتى المواجهة الأخيرة.

+ وفى ملء الزمان "..**آتى أيضاً وآخذكم إلىَّ حتى حيث أكون أنا**

تكونون أنتم أيضاً" (يو١٤: ٣).

وهنا ينقل الرب ذهنهم إلى انقضاء الدهر ومجيئه الأخير المملوء مجداً الذى يطوى صفحة الخلاص الأخيرة والتى ستمتد بلا نهاية (حيث يكون هو):"هكذا المسيح أيضاً بعدما قُدّم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين **سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه"** (عب ٩: ٢٨)؛

"فإن سيرتنا نحن هى فى السموات **التى منها ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده"** (فى٣: ٢٠، ٢١)؛

"أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان **لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير"**(١بط١: ٥).

نحن أيضاً فى آلامنا مع المسيح ننال تعزية الروح، وفى انحرافنا يوقظنا تبكيته، وفى إحساسنا بمحدودية وجودنا تلهمنا كلمات الرب بالشوق إلى مجيئه الثانى حيث "**نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب**" (٢كو٥ :٨).

(٣) مساندة وتحذير

والرب عالم بما سيأتى على تلاميذه بعد ارتفاعه من اضطهاد العالم لهم، ومواجهته لهم بالقسوة والظلم والمقاومة وكل ألوان البغضة، وحتى الموت، فهو فى كلماته، الخارجة أيضاً فى ظروف الحصار والآلام والصليب والموت الذى ينتظره فى اليوم التالى، يسندهم ويشجعهم، ويهبهم سلامه، ويحذرهم ألا يخافوا أو يعثروا، ويملأهم باليقين فى غلبته، ويريهم الوجه الآخر الذى سيثمره الألم والموت، مستخدماً حدث ميلاد الحياة الجديدة للطفل من وسط آلام أمه وأحزانها والموت الذى يتهددها وهى تلد: **"الحق الحق أقول لكم إنكم**

ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح. المرأة وهو تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة بسبب الفرح لأنه قد ولد إنسان فى العالم. فأنتم كذلك عندكم الآن حزن ولكنى سأراكم أيضاً (بعد القيامة) **فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم**" (يو١٦: ٢٠-٢٢)؛

"**لا تضطرب قلوبكم .. سلاماً أترك لكم سلامى أعطيكم ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا.. قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا.. قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فىّ سلام. فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم**" (يو١٤: ١، ٢٧، ١٦: ١، ٣٣)

والكلمات هى لنا نحن أيضاً. والرب وسط الحصار والتجارب والهموم يعدنا بسلامه، محذراً ألا نضطرب أو نعثر أو نخاف، أو أن نستسلم للحزن، فالفرح فى انتظارنا بحضور المسيح .

(٤) الوصايا الأخيرة

ولأنها آخر كلماته لتلاميذه وكنيسته قبل أن يمضى إلى الصليب والموت، فقد ضّمنها الرب آخر وصاياه التى تكثف خلاصة تعاليمه. واختار لها هذه الساعات الحاسمة، المحاصرة بالاضطهاد والألم، والمخضّبة بالدم، لتكون دوما موضع الطاعة والالتزام الصارم، توقيرا للدم الكريم والحياة التى سكبها المخلص فداء للإنسان وحباً.

+ وكانت أولى الوصايا أن يحبوا بعضهم بعضا باعتبار المحبة علامة تلمذتهم للمسيح "**وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم أنا**

(إلى الموت). **بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى.. هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم، (فـ) ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه**" (يو١٣: ٣٤، ٣٥، ١٥: ١٢-١٤، ١٧).

+ وطلب الرب أن يثبتوا فيه ويثبت كلامه فيهم فيثمرون ويمجدون الله، كما ينالون منه كل ما يطلبون:

"**اثبتوا فىَّ وأنا فيكم... الذى يثبت فىَّ وأنا فيه هذا يأتى بثمر كثير. إن ثبتم فىَّ وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم. بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير**" (يو١٥: ٤، ٧، ٨).

+ وبيّن الرب أن علامة محبته أن يحفظوا وصاياه. كما أنهم يثبتون فى محبة الرب إن فعلوا كل ما يوصيهم به كما أنه قد حفظ وصايا أبيه ويثبت فى محبته:

" **إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى.. الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى، والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى.. إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً.. اثبتوا فى محبتى. إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته..أنتم أحبائى إن فعلتم ما أوصيكم به**" (يو١٤: ١٥، ٢١، ٢٣، ١٥: ٩، ١٠، ١٤).

+ وأوصاهم الرب أن يطلبوا باسمه فسوف ينالون:

"**الحق الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمى. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً**" (يو١٦: ٢٣، ٢٤).

+ وأكد لهم أن يستقلوا عن العالم فهم ليسوا منه وهم سيكونون دوما

- كما كان هو - موضع بغضة العالم:

"**إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم.. إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم**" (يو١٥: ١٨-٢٥).

+ وكخاصته الذين عرفوه ولازموه من الابتداء، فهو يوصيهم أن يشهدوا له. وكل من يختبر الإيمان الحقيقى لا يستطيع أن يكتم الشهادة التى يسندها الروح القدس:

"ومتى جاء المعزى.. فهو يشهد لى.. **وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء**" (يو١٥: ٢٦، ٢٧).

ولنتذكر نحن أيضاً وصاياه الأخيرة: أن نحب بعضنا بعضا دون شروط كما أحبنا هو ونحن بعد خطاة ومات لأجلنا (رو٥: ٨)، وسيكون حفظنا لوصاياه، واستقلالنا عن عالم الشر، وشهادتنا للمخلص لمن حولنا كمؤمنين ملتزمين، علامات فارقة لمحبتنا للرب.

(٥) حديث إلى الآب من أجل الكنيسة

فى نهاية حديثه إلى تلاميذه، يقول الكتاب "تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال..." (يو١٧: ١)، وبدأ حديثه إلى الآب، ولكن التلاميذ، والكنيسة من بعدهم، لم يغيبوا عنه فى معظم الحديث، فهو يصلى متشفعاً من أجلهم.

+ فهو يسأل الآب **أن يحفظهم فى اسمه ويديم وحدتهم، وأن يحفظهم من الشرير، ويقدسهم فى الحق** (يو١٧: ٦-٢٣):

"من أجلهم أنا أسأل... أيها الآب القدوس احفظهم فى اسمك الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا كما نحن... لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير...قدسهم فى حقك. كلامك هو حق.. ولست أسأل من أجل هؤلاء بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.. أنا فيهم وأنت فىَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد" (يو١٧: ٩، ١١، ١٥، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٣).

+ وهو فى الختام يطلب من أجل دخولهم إلى مجده الأبدى:

"أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم... وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى وعرّفتهم اسمك وسأعرّفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به **وأكون أنا فيهم"** (يو١٧: ٢٤-٢٦).

+ فى صلاته الشفاعية يؤكد الرب أنه لا يسأل فقط من أجل تلاميذه وإنما من أجل كل مؤمنيه، أى من أجلنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور. وسنظل دوما متمتعين بعينه الساهرة على جهادنا، ووحدتنا، وعمل دمه الذى يغلب عدونا المشتكى علينا أمام إلهنا نهاراً وليلاً (رؤ١٢: ١٠، ١١)، وبنعمة روح قدسه الذى يعزينا فى كل ضيقتنا، ويملأنا بالفرح وسط الآلام، ويكشف ضعفنا ويستثير توبتنا، ويشفع فى طلباتنا، ويعدنا للقاء العريس فى مجيئه.

فى حديث الرب الأخير نرى ابن البشر وابن الله.. الإنسان الإله.

+ فالرب قد أخلى نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (فى٢: ٦-٨)

وكابن البشر ناب البار عن الخطاة وحمل خطاياهم فى جسده (١بط٢: ٢٤) ومحا الصك الذى عليهم ورفعه من الوسط وسّمره بالصليب (كو٢: ١٤). ولكنه ظل الإله.. الله الابن.. الذى قبِل الآلام والموت بإرادته "**لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً**" (يو١٠: ١٨)، والذى كان عمله الخلاصى موضع سرور الآب (إش٥٣: ١٠، مت٣: ١٧، ١٧: ٥، لو٣: ٢٢، مر١: ١١).

+ كنائب عن البشر أطاع ليمحو عار العصيان القديم، واتضع جدا ليحقق العودة إلى الفردوس التى طرد الكبرياء منها الأبوين الأولين، وكالله كلى المعرفة وكلى الوجود وكلى القدرة كان يرى كل ما يأتى عليه قبل أن يفكر فيه البشر ويحققوه.

+ ولأنه لأجل هذا (أى الخلاص) قد أتى، فهو يتكلم عنه مسبقا دون اضطراب أو خوف أو تورّط، وإنما كحقيقة سوف تتم بكل ملابساتها الدامية، مؤكدا أن الموت ليس هو النهاية، بل ستعقبه القيامة التى تمجد الصليب والموت وتحقق سيادة الحياة على الموت والنور على الظلمة، والبر على الخطية.

أما بعد...

فقد قصدنا أن نعرض للعناصر الرئيسية لحديث الرب الأخير كما سجله لنا القديس يوحنا فى إنجيله.

ولكن كلمات الرب أغنى من أن تُحصر كل معانيها، وأرحب من أن تُستوعب، وأعمق من أن يُسبر غورها. ومن هنا فلكل مؤمن نصيبه من نور كلمة الإنجيل بحسب صدق إيمانه واستقامة قلبه واستعداده للطاعة دون تحفظ.

والآن فلنعُد إلى الكتاب المقدس ونقرأ من جديد حديث المسيح الأخير وصلاته للآب، فهو حديث لنا نحن أيضاً، والصلاة كانت من أجلنا، لنكون معه ويكون هو فينا.

٣

الصليـــب

+ المسيح فصحنا

+ المسيح رئيس الكهنة العظيم والذبيحة الكاملة

+ نعم .. جاء ليموت كي يهب الحياة

المسيح فصحنا

علاقة **الفصح** بالصليب والآلام والقيامة ساطعة ناطقة بالتدبير الإلهي الذي نسجها عَبْرَ القرون وخلال أحداث التاريخ، التي تمسك بها وتحرِّكها الأصابع الإلهية كي تقع في الوقت المعيَّن، وفي ملء الزمان، العريان والمكشوف لعيني الله قبل الزمان (عب ٤: ١٣). والمقابلات بين الأحداث وبعضها، وبين الرموز والحقائق، تتجاوز العفوية والمصادفات والافتعال، وإنما هي في موضعها بالضبط وتنطبق تمام الانطباق بصورة إعجازية. وما جرى من مواقف وأحداث خلال أكثر من خمسة عشر قرناً يأتي تفسيره بصورة مكثّفة في حياة المسيح القصيرة بالجسد، وخاصة في أيامها الأخيرة: من ليلة جمعة الصليب وحتى فجر أحد القيامة.

من هنا **فعيد القيامة** يُسمَّى أيضاً **عيد الفصح** Pâques - Easter،

والأسبوع السابق يسمَّى "أسبوع الآلام" أو "**البصخة**"[1] التي تعني الفصح أو العبور.

وإذا كان **الفصح اليهودي** في القديم يجمع **اليهود** في **أورشليم** لذبح **خروف الفصح** وأَكْله، إحياءً لذكرى **الخروج** من مصر، **والتحرُّر** من عبودية فرعون بذراع الرب الرفيعة، **وعبور** البحر الأحمر إلى أرض **كنعان**، فإن **الفصح المسيحي** يجمع اليوم في أركان **العالم كله المؤمنين** بالمخلِّص حَمَل الله الحقيقي، **خروف الفصح الأبدي** الذي رفع خطايا كل البشر (يو ١: ٢٩)، **وعَبَرَ** بهم من الظلمة إلى **النور**، ومن موت الخطية إلى **الحياة الأبدية** وسُكنى **الملكوت**.

ونحن هنا نعرض للعلاقة بين الفصحين والاتصال الوثيق بينهما:

أولاً: عن الفصح القديم - شِبْه السماويَّات

+ كما هو معروف فقد تأسَّس **الفصح اليهودي** في مصر تمهيداً للضربة العاشرة والأخيرة (قتل أبكار المصريين) (خر ١١: ٥؛ ١٢: ١٢و٢٩و٣٠) التي بلغ بها خلاص بني إسرائيل ذروته. وقد أمر الرب أن يُمارَس الفصح كفريضة دائمة مع اكتمال البدر، مساء **الرابع عشر** من أول شهور السنة: **أبيب** (والمعروف بعد السبي بشهر **نيسان**) (خر ١٢: ٢و١٨؛ ١٣: ٤). وكان يُقدَّم للرب حَمَل أو جدي ذكر بلا عيب[2] (خر ١٢: ٣-٦، تث ١٦: ٦)،

---

(١) من الكلمة اليونانية Pascha المشتقة من "قسحا" الآرامية، و"فيساح" العبرية.

(٢) في **الفصح** الأول الذي جرى في مصر أَمَرَ الرب أن يأخذ جماعة إسرائيل الدم "ويجعلونه على القائمتين والعتبة العُليا... ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها، **فأرى الدم وأعبر عنكم**، فلا يكون عليكم ضربة الهلاك حين أضرب أرض مصر... فحين يرى الدم... يعْبُر الرب عن الباب، ولا يَدَع المُهلك يدخل بيوتكم ليضرب" (خر ١٢: ٧، ١٣، ٢٢، ٢٣). **فالفصح** هو أيضاً **عبور الله** فوق بيوت الإسرائيليين وكانت النجاة، **وعبوره** فوق بيوت المصريين

ويُشوى **صحيحاً ولا يُكسر منه عظم** (خر ١٢: ٤٦، عد ٩: ١٢، يو ١٩: ٣٦). وكانوا يأكلونه متعجِّلين[٣] (تذكاراً للتأهُّب والسرعة التي ارتحلوا بها من مصر، حتى أنهم حملوا عجينهم قبل أن يختمر - خر ١٢: ٣٤و٣٩)، مع **فطير** (إشارة إلى الطهارة والإخلاص والحق- خر ١٢: ٨-١١، ١كو ٥: ٨)، وأعشاب **مُرَّة** (إشارة إلى مرارة العبودية التي رُفعت عنهم)[٤].

+ وخلال الأجيال تحوَّل **الفصح**، من احتفال عائلي داخل **البيت** يرأسه **رب الأسرة**، إلى احتفال في "المكان الذي يختاره الرب إلهك ليحلَّ اسمه فيه" (تث ١٦: ٦و٧)، حيث يُسكب **الدم** على المذبح، ويكون **الكهنة واللاويون** هم الخدَّام الرئيسيون في الاحتفال.

+ وكان **الفصح** (العبور) في البداية **يوماً واحداً** (خر ١٢: ١-١٤) (وهو اليوم الذي خرجوا فيه من مصر)، ولكنه صار فيما بعد **أياماً سبعة** تمتد إلى اليوم الحادي والعشرين (خر ١٢: ١٥و١٨؛ ١٣: ٦و٧).

+ ثم اقترن **بالفصح** طقس آخر هو **الفطير** (خر ٢٣: ١٥، لا ٢٣: ٦، تث ١٦: ١٦) الذي احتفل به أيضاً في نفس الفترة (من اليوم الخامس عشر حتى الحادي والعشرين) مصاحباً باكورة **الحصاد** (لا ٢٣: ١٠-١٤). وفي

فكان الهلاك. والمقابلة مع **عمل دم المسيح** الكفَّاري الذي ينجو المؤمنون به من الموت واضحة بأجلى بيان.

(٣) في البداية كان المشتركون في **الفصح** يأكلونه واقفين، ولكن في الأزمنة الأخيرة صاروا يتكئون (كما فعل الرب مع تلاميذه).

(٤) أُضيف إلى الفصح فيما بعد أربع كؤوس خمر يُديرها رب العائلة بالتتابع ممزوجة بالماء، وترنيم المزمورين ١١٣ "**سبحوا يا عبيد الرب**" و١١٨ "**احمدوا الرب لأنه صالح**"، وتقديم وعاء من الثمار ممزوجة بالخل لتذكُّر آلام العبودية. (فالخمر التي كانت هناك على مائدة العشاء الرباني كانت من عناصر الفصح، كما يذكر الكتاب أن التلاميذ سبَّحوا عقب العشاء الرباني قبل أن يخرجوا إلى جبل الزيتون - مت ٢٦: ٣٠، مر ١٤: ٢٦).

البداية كان العيدان متميِّزَيْن ثم اقترنا فيما بعد لتداخلهما زمنياً (٢أي ٣٠: ١و١٣، مت ٢٦: ١٧، مر ١٤: ١، لو ٢٢: ٧، أع ١٢: ٣؛ ٢٠: ٦).

+ وعندما خضع الإسرائيليون للسبي في القرون الأخيرة قبل الميلاد، اعتُبر التحرُّر من السبي **خروجاً** أو **فصحاً جديداً**، وهذا حدث بالنسبة للسبي الأشوري (حوالي القرن الثامن قبل الميلاد)، وأشار إلى ذلك إرميا (إر ٢٣: ٧و٨) عند عودة المسبيين من بابل (في نهاية القرن السادس قبل الميلاد)، وتنبأ إشعياء عن نهاية السبي (أوائل القرن السادس قبل الميلاد) أنه **الخروج النهائي** (إش ٤٠: ٣و٥؛ ٤١: ١٧-٢٠؛ ٤٣: ١٦-٢١؛ ٤٩: ٩-١١، ٥٥: ١٢و١٣).

وبعد السبي أصبح **الفصح** هو العيد اليهودي الأساسي، وصار واحداً من تجمُّعات الحجيج العظيمة في السنة الليتورجية اليهودية.

ثانياً: الفصح الجديد - السماويَّات عينها

+ يذكر الكتاب اشتراك الرب في **الفصح اليهودي** (يو ٢: ١٣و٢٣)، ومتابعته لمَا صار إليه الاحتفال بالعيد وتباعُده عن جذوره الخلاصية ليصبح طقساً آلياً وعبادة بالشفاه (إش ٢٩: ١٣، مت ١٥: ٨، مر ٧: ٦)، وكيف أفرغه المنتفعون من محتواه العبادي وحوَّلوه إلى مناسبة للنشاط التجاري المادي(٥)؛ بل وحوَّلوا الهيكل نفسه إلى سوق للبيع والشراء وكسب المال، حتى أن الرب بادر إلى طرد الباعة والصيارفة هاتفاً منتهراً: "مكتوب بيتي بيت

(٥) شيء من هذا يحدث في العالم الغربي من إفراغ عيد الميلاد (الكريسماس) من بُعده الخلاصي وتحويله إلى مناسبة عالمية للتنشيط التجاري تمتد لأسابيع وصاحب العيد غائب عن الاحتفال!

الصلاة يُدعى (لجميع الأمم)، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص... **لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة**" (إش ٥٦: ٧، مت ٢١: ١٣، مر ١١: ١٧، لو ١٩: ٤٦، يو ٢: ١٦و١٧).

+ ويتوازى مع تطهيره هذا **الهيكل المؤقت**، والمرشَّح قريباً للخراب (مت ٢٣: ٣٨، لو ١٣: ٣٥)، إعلانه عن **الهيكل الجديد الدائم إلى الأبد**، أي **هيكل جسده** الذي سيجوز الموت ولكنه سيقوم ظافراً: "انقضوا **هذا الهيكل** وفي ثلاثة أيام أُقيمه. فقال اليهود: في ست وأربعين سنة بُنِيَ **هذا الهيكل**، أفأنت في ثلاثة أيام تُقيمه؟ وأما هو فكان يقول عن **هيكل جسده**. فلما قام من الأموات، تذكَّر تلاميذه أنه قال هذا. فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع" (يو ٢: ١٨-٢٢).

+ وعلى طريق تقديم نفسه **الفصح الجديد**، أجرى الرب **فصح الخبز** الذي كثَّره في معجزتين شهيرتين لإشباع الجموع (مت ١٤: ١٥-٢١؛ ١٥: ٣٢-٣٨، مر ٦: ٣٥-٤٤؛ ٨: ١-٩، لو ٩: ١٢-١٧، يو ٦: ٥-١٤)، ومنه بدأ يوجِّه أنظار اليهود إلى شخصه الإلهي **كخبز الحياة**، وإلى **تناول جسده المقدَّم ذبيحة**: "**أبي يُعطيكم الخبز الحقيقي من السماء، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم... أنا هو خبز الحياة... أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم**" (يو ٦: ٣٢و٣٣و٣٥و٤٨و٥٠و٥١).

+ وأخيراً، وقبل أن يصعد المسيح على الصليب، وفي ذات ليلة **الفصح القديم** الذي اشتهى أن يأكله مع تلاميذه قبل آلامه (لو ٢٢: ١٤)، يطوي الرب صفحة الفصح **كرمز**، ويُقدِّم للعالم **الحقيقة**: حيث يحلُّ المسيح محل

خروف الفصح، ويؤسِّس **وليمة الفصح الجديد**، وهو فيها **خروف الفصح الجديد** المذبوح بالنية وبالطاعة: "**لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا**" (١كو ٥: ٧)، ويتمم **خروجه** الجديد أي **عبوره** من هذا العالم إلى ملكوت الآب: "أما يسوع – قبل عيد الفصح – وهو عالمٌ أن ساعته قد جاءت **لينتقل من هذا العالم إلى الآب**..." (يو ١٣: ١).

وإذ يُقدِّم الرب جسده "المكسور" مأكلاً ودمه "المسفوك" مشرباً يُدشِّن **العهد الجديد** (مت ٢٦: ٢٦-٢٨، مر ١٤: ٢٢-٢٤، لو ٢٢: ١٩و٢٠)، وبينما كان حَمَل **الفصح** يُذبح (يو ١٨: ٢٨؛ ١٩: ١٤و٣١و٤٢) كان **الفصح الحقيقي** يُعلَّق في نفس التوقيت على الصليب ليموت وينقذ الإنسان من الموت (يو ١٩: ٣٣). ويتوارى من ثمَّ **الفصح القديم** وخروف الفصح، ليصبح المسيح، وهو **راعي الخراف العظيم** (عب ١٣: ٢٠) **وفصح الدهور؛ حَمَل الله** (يو ١: ٢٩و٣٦) الذي بلا عيب ولا دنس (١بط ١: ١٩)، والذي كان دمه علامة أمام الله الآب للنجاة من الموت.

وفي رؤيا يوحنا يتكرر كثيراً مشهد وذِكْر الخروف الذي ذُبح، ولكنه قام ليفدي مختاريه: "ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ، **خروف قائم كأنه مذبوح**" (رؤ ٥: ٦)، والمؤمنون به "أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في **سفر حياة الخروف** الذي ذُبح" (رؤ ١٣: ٨؛ ٢١: ٢٧). أما الذين يُقاومون الخروف فإنَّ: "الخروف يغلبهم، لأنه **رب الأرباب وملك الملوك**، والذين معه **مدعوُّون ومختارون ومؤمنون**" (رؤ ١٧: ١٤)، وبالتالي فإن **الكنيسة** (**العروس**) هي "**امرأة الخروف**" (رؤ ٢١: ٩)، وسيكون المجيء الأبدي هو **عُرْس الخروف**، و"امرأته هيَّأت نفسها" للفرح المجيد بالوجود الأبدي مع العريس (رؤ ١٩: ٧)؛ بل إن الخروف يصير هيكل وسراج المدينة العظيمة أورشليم المقدسة: "ولم أرَ فيها هيكلاً، **لأن الرب الله**

القادر على كل شيء هو والخروف هيكلها. والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليُضيئا فيها، لأن مجد الله قد أنارها **والخروف سراجها**" (رؤ ٢١: ٢٢و٢٣).

ثالثاً: الفصح المسيحي – الملكوت يبدأ

(١) الفصح الأسبوعي: قدَّاس (فصح) الأحد

يُسجِّل الإنجيل أن قيامة الرب كانت فجر اليوم الأول من الأسبوع (مر ١٦: ٢)، وفي نفس اليوم ظهر الرب لتلميذي عمواس، حيث كشف الرب لهما عن ذاته عندما دخل إلى البيت "**وأخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما**" مجدِّداً العشاء الأخير الذي صنعه قبل أيام (لو ٢٤: ٣٠).

وقد تسلَّمت الكنيسة هذه الحقائق الدهرية المختومة بدم العهد الجديد وكلمات مخلِّص العالم ووصاياه: "**اصنعوا هذا لذكري... اصنعوا هذا كلَّما شربتم لذكري**" (لو ٢٢: ١٩، ١كو ١١: ٢٤و٢٥). وعلى ضوئها استلم المسيحيون منذ نشأة الكنيسة أن يجتمعوا في اليوم الأول من الأسبوع ليشتركوا معاً في تناول الجسد والدم الإلهيَّيْن (أع ٢٠: ٧). وصار يوم الأحد هو "**يوم الرب**" (رؤ ١: ١٠)، وعيداً أسبوعياً تُقدِّس فيه الكنيسة **الفصح الجديد** الذي يُذكِّر المؤمنين بقيامة الرب، ويوجِّدهم بشخصه في الإفخارستيا، ويوجِّههم نحو رجاء مجيئه: "**فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز، وشربتم هذه الكأس، تُخبرون بموت الرب إلى أن يجيء**" (١كو ١١: ٢٦).

وفيما بعد صارت الكنيسة تحتفل بالفصح الجديد أيضاً في أيام الصوم الأسبوعية (الأربعاء والجمعة) وأيام الصوم السنوية (كصوم الميلاد والصوم الكبير وغيرهما). ثم صارت القدَّاسات تُصلَّى كل يوم في كثير من الكنائس،

وصار الأسبوع كله "**أحداً**" واحداً ممتدًّا يحتفي بالصليب والقيامة ويثبِّت المؤمنين في المسيح، ويوجِّه أنظارهم نحو الفصح الأخير بمجيء الرب الثاني.

(٢) الفصح السنوي: عيد القيامة

إذا كان اليهود يحتفلون بذكرى خلاصهم من العبودية ويتطلَّعون إلى "المسيَّا" مُحرِّراً لوطنهم، فإن المؤمنين يحتفلون - **في عيد القيامة** - بذكرى تحرُّرهم من الخطية والموت، ويُجدِّدون إيمانهم وتوبتهم واتحادهم بمخلِّصهم الذي صُلِب عنهم وقام ظافراً من بين الأموات ووهبهم الحياة الأبدية، ويوجِّهون رجاءهم نحو مجيئه الثاني وإعلان الخلاص الأخير.

وكما يشير معلِّمنا بولس الرسول في رسالتيه إلى أهل رومية وكولوسي، فإن المؤمنين بالمعمودية قد ماتوا ودُفنوا وقاموا مع المخلِّص في حياة جديدة[٦] (رو ٦: ٣-١١، كو ٢: ١٢). ومستخدماً مفردات الفصح القديم، فإن القديس بولس يوصي المؤمنين أن يُعيِّدوا بالفصح الجديد "**لا بخميرة الشر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق**" (١كو ٥: ٨).

(٣) الفصح الأخير: المجيء الثاني

في بُعْدها الأبدي، فإن كلمة **الفصح** تشير أيضاً إلى الوليمة السماوية التي يتجه نحوها المؤمنون جميعاً. وهكذا يكتمل سر الفصح بالنسبة لهم بموتهم وقيامتهم ولقائهم مع الرب في مجيئه. وخلال حياتهم، فإن الفصح الإفخارستي يُهيِّئهم لهذا العبور الأخير المرتقب في الأبدية.

وقد كشف الرب، في ختام عشائه مع تلاميذه قبل الصليب، عن هذا

---

(٦) للارتباط الواضح بين المعمودية وقيامة الرب، كانت معمودية المؤمنين الجُدُد تتم قديماً ليلة عيد القيامة.

الفصل الأخير من الفصح الجديد، حيث يجمع الرب مختاريه، في مجيئه الثاني العتيد، لفرح الوليمة الجديدة في ملكوت أبيه: "**وأقول لكم: إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي**" (مت ٢٦: ٢٩، مر ١٤: ٢٥، لو ٢٢: ١٦)

في انتظار مجيئه على السحاب ودعوتنا للدخول إلى وليمة المجد، فلنهتف مع سكان السماء مُسبِّحين **فصحنا الذي ذبح لأجلنا** وقام منتصراً لنا على الموت، قائلين: "**مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغِنَى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة**" (رؤ ٥: ١٢).

المسيح رئيس الكهنة العظيم [1]
والذبيحة الكاملة

ربما بَقِيَ **ملكي صادق** – رغم ما يحمله من دلالات – كشهاب ظهر في فجر التاريخ القديم لأبينا **إبراهيم** (تك ١٤: ١٨-٢٠)، ثم توارى في ثنايا الأحداث، وإن طفا اسمه على السطح وسط القرون في كلمات مزمور داود (مز ١١٠: ٤) التي تشير إلى **كهنوت المسيح الأبدي**: "أقسم الرب ولن يندم **أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق**". وبعدها لم تأتِ إشارة أخرى عن كهنوت المسيح غير هدايا المجوس (مت ٢: ١١) الذين ألهمهم الوحي أن يُقدِّموا **ذهباً** (للمسيح الملك المخلِّص الذي غلب إبليس وخلَّص البشر من بين براثنه)[2]، **ولباناً** (للمسيح الإله والكاهن)، **ومُرًّا** (للمسيح المتألِّم ذبيحاً على الصليب، وحنوطاً لقبره).

---

(١) "**رئيس كهنة عظيم**" (عب ٤: ١٤)؛ "**كاهن عظيم على بيت الله**" (عب ١٠: ٢١).

(٢) "**إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه** (في الصليب)" (كو ٢: ١٥)

نقول ربما بقيت هذه الإشارات عن **المسيح رئيس الكهنة العظيم والذبيحة الكاملة** غير المسبوقة، والتي قدَّمها الرب مرة واحدة فصنع فداءً أبدياً لكل العالم[٣]، لولا أن بعض العبرانيين (اليهود) المتنصِّرين، بعد سنوات من إيمانهم بالمخلِّص وتحت وطأة اضطهادهم من اليهود المتشدِّدين لاتِّباعهم المسيح، أخذوا يراجعون أنفسهم وإيمانهم وينظرون إلى ما آلوا إليه مفتقدين تراثهم وتاريخهم، آباءهم ومواعيدهم، هيكلهم وكهنوتهم، ذبائحهم وطقوسهم، وقد تحوَّلوا إلى أقلية منبوذة تتقاذفها الأمواج ويتهددها خطر الارتداد، مما حفز **القديس بولس**[٤] للتصدِّي والدفاع عن الإيمان. فصار تراجعهم بركة لكل المؤمنين. وأُتيح أن يضم العهد الجديد سفراً كاملاً كحبات عقد نفيس تلمع فيه من حياة السيِّد صفته **كرئيس كهنة عظيم** متفرِّد، قدَّم ذاته **ذبيحة كاملة** لا مثيل لها، وبميط اللثام عن كل الأسرار منذ **ملكي صادق وهارون** حتى ذبيحة الصليب وإلى آخر الدهور، ويكشف لكل يهودي (وأُممي) آمن بالمسيح أن ما ناله أعظم بما لا يُقاس مما تخلَّى عنه. فالذي فقده آل إلى الزوال و لم تَعُدْ له قائمة، والذي ربحه هو غاية كل النبوَّات، مخلِّص العالم وواهب الحياة الأبدية.

وإن كان المسيح قد مارس عملياً كهنوته عندما خدم الكلمة في الهيكل (لو ٤: ١٦-٢١)، وعلَّم وبشَّر وافتقد، وأسَّس الأسرار وقدَّم نفسه ذبيحة، وأرسل تلاميذه للكرازة بالخلاص؛ إلاَّ أنه لم يستخدم لقب الكاهن أو رئيس الكهنة في أحاديثه عن نفسه كما لم تتضمن كتابات الرسل هذا اللقب عن المسيح، وكأنما رتَّب الوحي الإلهي الظروف **لكي يكتب القديس بولس سفراً**

---

(٣) "**وطُعن في جنبه بالحربة، فجرى منه دم وماء غفراناً لكل العالم وتخضّب بهما جسده**" (القسمة السريانية).

(٤) كاتب "**الرسالة إلى العبرانيين**" بحسب التقليد الآبائي الكنسي.

خاصاً بأكمله عن كهنوت المسيح الفريد.

أولاً: التدبير الإلهي يشير إلى سمو كهنوت المسيح وتفرُّده

(١) المسيح أعظم من الكهنة اللاويين لأنه رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق(٥):

في فجر التاريخ القديم يظهر كالبرق الخاطف شخص **ملكي صادق** الذي يلتقي **بإبراهيم** أبي الآباء بعد انتصاره على الملوك. ويُسجِّل عنه سفر التكوين هذه الكلمات القليلة: "**وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لله العلي، وباركه** وقال: مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك. **فأعطاه عُشراً من كل شيء**" (تك ١٤: ١٨-٢٠).

فالله أظهر الملك الكاهن **ملكي صادق**، بشخصيته واسمه وألقابه، رمزاً مبكِّراً لكهنوت المسيح الكامل، ويرسم مُقدَّماً بصورة ما ملامح مخلِّص العالم، فهو يُشرق فجأة دون مقدمات ودون إشارة إلى نَسَبه، تحيط به العلامات التي ستتحقق في ملء الزمان: **خبز وخمر الإفخارستيا، وإبراهيم أبو الآباء يُقدِّم له العشور من كل شيء**، وهي علامة خضوع وتسليم العهد القديم كله لابن الله مدشِّن العهد الجديد بدمه (مت ٢٦: ٢٨، مر ١٤: ٢٤، لو ٢٢: ٢٠).

ويضيف كاتب سفر العبرانيين رموزاً أخرى عن **ملكي صادق** تجعل

---

(٥) في صلوات الكنيسة وألحانها إشارات كثيرة عن كهنوت المسيح وامتيازه، فتقول الكلمات الأولى من قسمة صوم الرسل للابن: "أنت هو كلمة الآب، الإله الذي قبل الدهور، **رئيس الكهنة الأعظم**". وفي آحاد الصوم الكبير وجمعة ختام الصوم يُرتَّل لحن: **ميغالو ارشي إيريفس ⲙⲉⲅⲁⲗⲟⲩ ⲁⲣⲭⲓⲉⲣⲉⲩⲥ**، ومعناه: "**رئيس الكهنة الأعظم** الطاهر إلى الأبد، قدوس الله. على طقس **ملكي صادق** الكامل، قدوس الله. المتجسِّد من الروح القدس ومن القديسة مريم البتول بسرٍّ عظيم، قدوس الذي لا يموت، ارحمنا". وفي قسمة سبت الفرح: "وصار سابقاً صائراً **رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكي صادق**".

المطابقة مع جوانب من حياة الرب ما يملأ القلب بالرهبة والخشوع إزاء كمال التدبير الإلهي:

"لأن **ملكي صادق** هذا، **ملك ساليم، كاهن الله العلي**، الذي استقبل إبراهيم (المنتصر) راجعاً من كسرة الملوك (كَدَرلَعومر والذين معه) وباركه، الذي قَسَمَ له إبراهيم عُشراً من كل شيء. المُترجَم أولاً **ملك البر** ثم أيضاً **ملك ساليم** أي **ملك السلام**[٦]. **بلا أب بلا أُم بلا نَسَب. لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة** (فهذا كله لم يُسجِّله سفر التكوين)، **بل هو مُشبَّه بابن الله. هذا** (أي ابن الله) **يبقى كاهناً إلى الأبد.** ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه **إبراهيم** رئيس الآباء، عُشراً أيضاً من رأس الغنائم. وأما الذين هم من بني لاوي، الذين يأخذون الكهنوت، فلهم وصية أن يُعشِّروا (أن يأخذوا العشور من) الشعب بمقتضى الناموس... ولكن الذي ليس له نَسَب منهم قد عَشَّر إبراهيم، وبارَك الذي له المواعيد. وبدون كل مشاجرة (بغير جدال): الأصغر يُبارَك من الأكبر (أو الأكبر هو الذي يبارِك الأصغر)... إن **لاوي** أيضاً الآخذ الأعشار (أي الكهنة اللاويين) قد عُشِّر (أي قدَّم العشور) بإبراهيم، لأنه كان بعد في صُلْب أبيه (أي إبراهيم) حين استقبله **ملكي صادق.**

فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال... ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر (أي المسيح) على رتبة **ملكي صادق**، ولا يُقال على رتبة **هارون؟**... لأن الذي يُقال عنه هذا (أي المسيح) كان شريكاً في سبط آخر (يهوذا) لم يُلازِم أحدٌ منه المذبح. فإنه واضحٌ أن ربنا قد طلع من سبط **يهوذا**، الذي لم يتكلَّم (يذكر) عنه **موسى** شيئاً من جهة الكهنوت. وذلك أكثر وضوحاً أيضاً إن كان على شِبه **ملكي صادق** يقوم كاهن آخر (أي

---

(٦) قابل مع "**رئيس السلام**" (إش ٩: ٦). وقد أتى المسيح فعلاً إلى العالم بالنعمة والحق (يو ١: ١٧)، وبهما صار البر والسلام.

المسيح)... لأن أولئك بدون قَسَم قد صاروا كهنة، وأما هذا (المسيح) فبقَسَم من القائل له: أقسم الرب ولن يندم، **أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق... فمن أجل أنه** (أي المسيح) **يبقى إلى الأبد، له كهنوت لا يزول**" (عب ٧: ١-١٧ ، ٢١-٢٤).

فالقَسَم الوارد في المزمور لا ينطبق على الكهنة اللاويين فهم خطاة وزائلون، وبالتالي متعدِّدون وهم خدَّام عهد بائد، ولكنه ينطبق فقط على الملك الكاهن الأبدي ابن داود الحقيقي **يسوع** المخلِّص الوحيد خادم العهد الجديد والنهائي بجسده المصلوب ودمه المسفوك المُعبَّر عنه بخبز وخمر الإفخارستيا، كما كان قديماً عهد **ملكي صادق** الذي عشَّر له **إبراهيم** (وكل **إسرائيل** في صلبه) وبورك منه كأصغر يُبارَك من الأكبر.

(٢) المسيح رئيس كهنة أبدي في السموات، إذ قدَّم نفسه ذبيحة دائمة الفعل في الأقداس:

"وأما رأس الكلام فهو أن لنا **رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات**" (أع ٧: ٥٦، عب ١: ٣)، "**خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان**" (عب ٨: ١و٢).

فالكهنة اللاويون الذين على الأرض يُقدِّمون قرابين حسب الناموس، فهم يخدمون شبه السماويَّات وظلها (عب ٨: ٣-٥)، أما الرب فقد "حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو **وسيط أيضاً لعهد أعظم** (مما صنعه الله مع موسى عند خروج بني إسرائيل من مصر)" (عب ٨: ٦)، "وهو قد جاء **رئيس كهنة للخيرات العتيدة** (أي لعطايا النعمة وهي في الأساس الروح القدس والحياة الأبدية)، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيدٍ أي الذي ليس من هذه الخليقة (أي السماء حيث عرش الله)، وليس بدم تيوس وعجول بل **بدم نفسه**

(ذبيحة الصليب) **دخل مرة واحدة إلى الأقداس** (بصعوده إلى السماء) **فوجد** (فحقَّق لنا having obtained) **فداءً أبدياً**... ولأجل هذا هو **وسيط عهد جديد**" (عب ٩: ١١و١٢و١٥).

"لأن **المسيح** لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية (خيمة الاجتماع – هيكل سليمان)، بل إلى **السماء عينها**، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا، ولا ليُقدِّم نفسه مراراً كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر. فإذ ذاك كان يجب أن يتألَّم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم (لو لم تكن ذبيحة الصليب كافية للخلاص)، ولكنه الآن قد **أُظهِر مرة عند انقضاء الدهور** (يوم الصليب) **ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه**" (عب ٩: ٢٤-٢٦). من هنا "**نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح** (كذبيحة) **مرَّة واحدة**" (عب ١٠: ١٠).

رئيس كهنتنا العظيم، إذاً، يختلف عن غيره، فهو حيٌّ لا يموت، وهو بار قدوس بلا عيب، وهو يجلس على عرشه في الأعالي، وهو قدَّم نفسه ذبيحة دائمة قادرة أن تغفر خطايا كل مَن يتقدم إليه وبه، مؤمناً تائباً، في العالم كله وإلى آخر الأيام.

(٣) المسيح هو الذبيحة الفريدة الكاملة[٧]

وهي **فريدة** لأن الرب كرئيس كهنة لم يتقدَّم بدم تيوس وعجول، بل **دخل إلى الأقداس بدمه هو. فكان هو نفسه الذبيحة المقدَّمة** والتي تجاوز أثرها شعب إسرائيل ليشمل العالم كله (عب ٩: ١٢)، وهي **كاملة** لأنها بلا عيب، وقُدِّمت مرة واحدة، فصنعت فداءً أبدياً. فقيامة الرب من الموت جعلت

(٧) في أعياد الصليب ويوم الجمعة العظيمة من أسبوع الآلام يُرتَّل لحن فاي إيتاف إنف ⲫⲁⲓ ⲉⲧⲁϥⲉⲛϥ، ومعناه: "هذا الذي أصعد ذاته **ذبيحة مقبولة على الصليب** عن خلاص جنسنا، فاشتمَّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة".

الذبيحة حية دائمة، والفداء أبدياً، والمصالحة مع الآب لا تتكرر. وهي من ناحية حقَّقت شروط ذبيحة الفصح (١كو ٥: ٧)، فكانت بلا عيب (من جهة البر)، ولم يكسر منها عظم (عد ٩: ١٢، يو ١٩: ٣٦)، وأهرق دمها خارج المحلة (عب ١٣: ١٢و١٣)، وتقدَّم بها الرب مرتفعاً على الصليب في اليوم التالي لذبيحة الفصح والذي رسم بعده سر الشكر، وهي من ناحية ختمت على كل الذبائح القديمة المتعددة التي رمزت جميعاً لها، والتي كانت فقط تُقدِّس إلى طهارة الجسد (عب ٩: ١٣)، وبالتالي كان يلزم تكرارها، فأثبتت قصورها ونسختها، وبَطُل تقديمها منذ يوم الصليب بانشقاق حجاب الهيكل (مت ٢٧: ٥١، مر ١٥: ٣٨، لو ٢٣: ٤٥)، وخراب الهيكل تحقيقاً لنبوَّة السيِّد (مت ٢٤: ٢، مر ١٣: ٢، لو ٢١: ٦).

فالرب تَمَّم طقس تقديم الذبيحة بصورة كاملة غير مسبوقة وغير متكررة، ففيه اجتمع **المقدِّم** (رئيس كهنة قدوس على طقس ملكي صادق)، **والمقدَّم عنهم** (البشر الذين أخذ جسدهم دون خطيتهم – عب ٧: ٢٦)، **والتقدمة** (ذبيحة الحب الكاملة والدائمة التي تُخلِّص إلى التمام)، كما جمع في شخصه أيضاً الإله والإنسان المقصود مصالحته. ومن ناحية أخرى، فقد كان الآب **المُصالِح** (الذي أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لأجلنا أجمعين – يو ٣: ١٦، رو ٨: ٣٢)، **والمصالَح معاً**: "ولكن الكل **من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة، أي أن الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه**، غير حاسب لهم خطاياهم **وواضعاً فينا كلمة المصالحة... نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله**" (٢كو ٥: ١٨-٢٠)، وأعلن الآب قبوله للذبيحة بقيامة الرب من بين الأموات.

ومنذ ولادته في مذود الخراف المعدَّة للذبح (لو ٢: ٧و١٢و١٦)، وخلال خدمته؛ ظلَّت الإشارات والكلمات تتوالى مبكراً عن مهمة الرب الخلاصية وسفك دمه. فالمعمدان يُلقِّبه بـ **"حمل الله الذي يرفع خطية العالم"**

(يو ١: ٢٩و٣٦)، والرب لا يتهيب الحديث عن بذل نفسه من أجل حياة العالم وتسليمه للموت (مت ١٦: ٢١؛ ١٧: ٢٢؛ ٢٠: ١٨و١٩، مر ٨: ٣١؛ ١٠: ٣٣و٣٤، لو ٩: ٢٢؛ ١٨: ٣٢و٣٣، يو ٦: ٥١؛ ١٠: ١١). ونبوَّات الأجيال يأتي أولها لتتحقَّق: **"كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازِّيها، فلم يفتح فاه... أما الربُّ فسُرَّ أن يسحقه بالحزن، إنْ جعل نفسه ذبيحة إثم"** (إش ٥٣: ٧و١٠).

ولقد رسم الرب سر الإفخارستيا عشية موته ليستمر الصليب على مذبح العهد الجديد، وليتجدَّد حضور الذبيحة (غير الدموية، الناطقة السمائية) في القداس: **"هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم"** (لو ٢٢: ٢٠، ١كو ١١: ٢٥). فغاية القداس أن يستمر الصليب والقيامة ليمكن لنا أن نتحد بذبيحة الجلجثة ونخلص إلى التمام: **"مقدسة ومملوءة مجداً هذه الذبيحة التي ذُبحت عن حياة العالم كله.** آمين الليلويا" (قسمة أعياد الملائكة والقديسين)؛ وتقول قسمة سبت الفرح: **"أتيتَ يا سيدنا وأنقذتنا بمعرفة صليبك الحقيقية، وأنعمت لنا بشجرة الحياة التي هي جسدك الإلهي ودمك الحقيقي".**

ثانياً: المسيح رئيس كهنة عظيم بمؤهِّلاته ومهامه الفريدة

(١) يُخلِّص ويشفع[٨] إلى التمام

فهو يُخلِّص هنا على الأرض واهباً الحياة الجديدة في النور وغلبة الخطية، ويُتمم الخلاص بالحياة الأبدية وتمجيد قديسيه في مجيئه الثاني في نهاية الدهور للخلاص الأخير والدينونة:

"وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يُطيعونه، **سبب خلاصٍ أبدي"** (عب ٥: ٩)؛

(٨) الكلمة اليونانية "ابرسفيتيروس"، أي "الشيخ - القس"، تعني ضمن ما تعني: "الشفيع" أو "الوسيط".

"وأما هذا فمِن أجل أنه **يبقى إلى الأبد**، له **كهنوت لا يزول**. فمِن ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، **إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم**" (عب ٧: ٢٤و٢٥)؛

"وهو حَمَلَ خطية كثيرين، **وشفع في المذنبين**" (إش ٥٣: ١٢)؛

"وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفَّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً" (١يو ٢: ١و٢)؛

"وكما وُضِعَ للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة؛ **هكذا المسيح أيضاً**، بعدما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين (المجيء الأول)، **سيظهر ثانية** (المجيء الثاني) **بلا خطية للخلاص** (الأخير) **للذين ينتظرونه**" (عب ٩: ٢٧و٢٨)؛

"متى أُظهِرَ المسيحُ حياتُنا، فحينئذٍ تُظهَرون أنتم أيضاً معه في المجد" (كو ٣: ٤).

وشفاعة المسيح الكفَّارية الفريدة الدائمة هي أساس شفاعة القديسين التوسلية، وهذه تستمد وجودها وجدواها من شفاعة المسيح الكاملة الوحيدة. فكما أن المسيح قد دُعِيَ **"ملك الملوك ورب الأرباب"** (١تي ٦: ١٥، رؤ ١٧: ١٤؛ ١٩: ١٦)، فهو أيضاً بنفس القياس **"شفيع الشفعاء"**[٩].

(٢) مُرسِل الروح القدس

فالمسيح، حسب وعده وبعد صعوده وجلوسه عن يمين الآب (يو ١٦: ٧)، أرسل الروح القدس الذي يلد المؤمنين الجُدُد بالمعمودية (يو ١: ٣٣)، ويُقدِّس سائر الأسرار، وهو يُقدِّسنا ويسندنا ويعزينا ويبكِّتنا مستثيراً توبتنا، ويُذكِّرنا بكل وصايا الكتاب، ويهبنا القوة للحياة الجديدة، ومغالبة الآلام، والتطلُّع إلى الأبدية، والشهادة للعالم بحياة المسيح فينا، وبمكث فينا إلى الأبد (يو ١٤:

(٩) راجع مقال: "**يسوع المسيح الشفيع الكامل**" صفحة ١٢٨-١٣٥ في هذا الكتاب.

١٦). وهذه هي **"الخيرات العتيدة"** (أو الآتية to come أي التي للـــدهر الآتي) (مت ٧: ٧و١١، لو ١١: ١٣) التي يشير كاتب الرســـالة إلى العـــبرانيين أن المسيح جاء رئيس كهنة لها (عب٩: ١١)[١٠]، والتي نالها منذ الآن في اســـم يسوع رئيس الكهنة العظيم وشفيعنا الحي أمام الآب وإلى آخر الدهور.

(٣) بلا خطية ولا ضعف مُكمَّلاً إلى الأبد

فالرب تمَّم كل بر (مت ٣: ١٥) وتحدَّى أعداءه أن يمسكوا عليه زلة ما قائلاً: **"مَن منكم يُبكِّتني على خطية"** (يو ٨: ٤٦)، وإشعياء تنبأ عن نقاوته وبره: **"على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يوجد في فمه غش"** (إش ٥٣: ٩). وذكر عنه سفر العبرانيين:

"لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا، **قدوسٌ بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة** وصار أعلى من السموات (بالصعود)، الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة (اليهود) **أن يُقدِّم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة،** إذ قدَّم نفسه (على الصليب). فإن الناموس يُقيم أُناساً بهم ضعف رؤساء كهنة، أما **كلمة القَسَم التي بعد الناموس** (العهد الجديد) فتُقيم ابناً مُكمَّلاً إلى الأبد" (عب ٧: ٢٦-٢٨).

فالمسيح اشترك معنا في الآلام وليس في الخطية. وعلى العكس، فالخطية والضعف تحيطان برئيس كهنة الناموس:

"أن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يُقام لأجل الناس في ما لله، لكي يُقدِّم قرابين وذبائح عن الخطايا، قادراً أن يترفَّق بالجُهَّال والضالين، **إذ هو أيضاً مُحاط بالضعف. ولهذا الضعف يلتزم أنه كما يُقدِّم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضاً لأجل نفسه"**(عب ٥: ١-٣).

---

(١٠) والتي تذكرها الكنيسة في قسمة سبت الفرح التي تُخاطب الابن: "أنت هو ملك الدهور غير المائت الأبدي كلمة الله الذي على الكل، راعي الخراف الناطقة، **رئيس كهنة الخيرات العتيدة،** الذي صعد إلى السموات... ودخل داخل الحجاب موضع قدس الأقداس".

(٤) إذ قد تألَّم قادر أن يرثي للضعف

"لأنه ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية" (عب ٤: ١٥)؛

"لأنه فيما هو قد تألَّم مُجرَّباً يقدر أن يُعين المجرَّبين" (عب ٢: ١٨).

هذه في الحقيقة كانت أيضاً مهمة الكاهن اللاوي، ولكنه لم يكن قادراً أن يفعل شيئاً أكثر من رفع الطلبات بسبب خضوعه هو أيضاً للضعف.

ثالثاً: موقفنا من الرب كرئيس كهنة أبدي

(١) أن نتهيَّأ دوماً للدخول إليه في الأقداس

نحن الآن أمام النتيجة التالية التي يقترب بها سفر العبرانيين من ختام الكلام عن كهنوت المسيح: **"بعدما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله... لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين"** (عب ١٠: ١٢و١٤). فإذ لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس (ملكوت السموات) بدم يسوع، وقد مهَّد لنا بجسده طريقاً حيًّا، **ويبقى لنا** (وليس علينا) **كاهناً عظيماً على بيت الله**، **"لنتقدَّم بقلب صادق** (بغير رياء) **في يقين الإيمان** (بغير شك) **مرشوشة قلوبنا** (تطهَّرت بالدم) **من ضمير شرير**[١١] (بالتوبة) **ومغتسلة أجسادنا بماء نقي** (تقدَّست بالروح في المعمودية = غسل الميلاد الثاني وتطهير الروح القدس – تي ٣: ٥)... **ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض** (للحثّ) **على المحبة والأعمال الحسنة، غير تاركين اجتماعنا كما لقومٍ عادة** (رافضين إهمال العبادة والتديُّن الشكلي)، **بل واعظين بعضنا بعضاً"** (عب ١٠: ١٩-٢٥).

فالمسيح هو لنا رئيس الكهنة العظيم، الذي لم يأتِ إلينا من باب السيادة –

---

(١١) **"دم المسيح.. يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي"** (عب ٩: ١٤).

رغم أنه يبقى السيِّد – وإنما من باب الخدمة (مت ٢٠: ٢٨، لو ٢٢: ٢٧) والرعاية والبذل (يو ١٠: ١٤و١٥) حتى الموت لأجل خلاصنا. وهو في الأقداس شفيعنا الدائم أمام الآب، وشريكنا في الضيقات. وإعلان إيماننا واعترافنا (إقرارنا) بهذه الحقيقة يقتضي أن نتمم خلاصنا بالسلوك بالقداسة وحياة التوبة، مواظبين على العبادة ومتمسكين بمحبة الإخوة وعمل الخير، وأن نعي مسئوليتنا عن وعظ أنفسنا وغيرنا، مستعدين لمجاوبة كل مَن يسألنا عن سر نجاتنا.

ودخولنا إلى الأقداس يعني أنه: وإن كنا على الأرض بالجسد، فأرواحنا وعقولنا وقلوبنا هي في السماء. وفي الكنيسة وقت القداس تذوب الحدود بين الأرض والسماء، فيقول الكاهن في قسمة الأعياد السيِّدية مشيراً إلى الجسد والدم: **"هوذا كائن معنا على هذه المائدة اليوم عمانوئيل إلهنا حَمَل الله الذي يحمل خطية العالم كله"**. وبالتالي فعندما يسأل الكاهنُ الشعبَ في القداس: "أين هي قلوبكم؟" يكون الرد الطبيعي: **"هي عند الرب"**، حيث يُشاركون الملائكة والقديسين تسبيحهم حول العرش السماوي.

(٢) أن نتمسَّك به رجاءً وتعزية ومرساة للنفس

إن وجود الرب كرئيس كهنة في السماء وفي الكنيسة هو رجاؤنا الأبدي وبه "تكون لنا تعزية قوية، نحن الذين التجأنا **لنُمسك بالرجاء الموضوع أمامنا، الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب**، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد" (عب ٦: ١٨-٢٠).

يُعزينا، إذاً، أن المسيح يبقى لنا رجاءنا الأبدي: **"لنتمسَّك بإقرار الرجاء راسخاً"** (عب ١٠: ٢٣). وكما أن مرساة السفينة هي التي تضمن ثباتها وتحفظها من أن تجرفها الأمواج بعد بلوغها الشاطئ لتظل في الميناء؛ هكذا

يسند المسيح النفس وسط أنواء الحياة ويُساند جهادها للترفُّع عن الاهتمامات الجسدية والحياة المادية، ويهبها أن تذوق الحياة الأبدية هنا على الأرض، والمسيح يتقدَّمنا ويجذبنا لكي يكون لنا به نحن أيضاً شركة في ملكوته: **"فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه"** (عب ٤: ١٦).

(٣) أن ننتبه لئلا يخدعنا العدو

يختم القديس بولس رسالته الفريدة عن المسيح رئيس الكهنة العظيم وذبيحته الفريدة مناشداً ومُنذراً أي مؤمن عرف المسيح واختبر الحياة الجديدة، ألاَّ يتراجع وينكر الإيمان وإلاَّ سقط من النعمة ووقع تحت الدينونة إنْ بَقِيَ على خيانته لمخلصه: "... **فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق** (أي أنكرنا الإيمان)، **لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا** (لأن ذبيحة المسيح التي لن تتكرر قد أبطلت كل الذبائح)، **بل قبول دينونة مخيف، وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين**". وإذا كان عقاب مَن يُخالف ناموس موسى أن يموت بدون رأفة، فماذا يكون عقاب "مَن داس ابن الله، وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً، وازدرى بروح النعمة". وكاتب سفر العبرانيين هنا يُحذِّر بعض جماعة العبرانيين المتنصِّرين الذين يراودهم فكر العودة إلى ناموسيتهم التي افتقدوها في حياتهم الجديدة وينذرهم بانتقام الرب الديان وبأنه **"مخيف هو الوقوع بين يدي الله الحي"** (عب ١٠: ٢٦-٣١)، **"لأن إلهنا نارٌ آكلة"** (عب ١٢: ٢٩) .

وهو يُذكِّرهم - كما يُذكِّرنا - بأنهم وقد احتملوا آلاماً وضيقات وتعييرات من أجل الإيمان، وأنهم تركوا أموالهم بفرح من أجل ملكوت السموات، **ألاَّ يطرحوا ثقتهم التي لها مجازاة عظيمة، "لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد... لأنه بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يُبطئ. أما البار فبالإيمان يحيا، وإن ارتدَّ لا تُسرُّ به نفسي. وأما نحن**

فلسنا من الارتداد للهلاك، بل من الإيمان لاقتناء النفس" (عب ١٠: ٣٢-٣٩).

وهو يعرض لدور الإيمان في حياة قديسي العهد القديم الذين عاشوا وماتوا على رجاء مجيء رئيس الإيمان ومُكمِّله. ومن جديد يُطالب العبرانيين المتنصِّرين (كما نحن مُطالبون) **أن يُقاوموا الخطية حتى الدم**، وأن يقبلوا التأديب كبنين "**ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله**، لئلا يطلع أصل مرارة... لئلا يكون أحدٌ زانياً أو مستبيحاً كعيسو...". **وهو يُشجِّع كل الخطاة والمرتدِّين النادمين بأنهم لن يأتوا إلى جبل موسى** (المضطرم بالنار والملفوف بالضباب والظلام والزوبعة والرعب والارتعاد)؛ **وإنما إلى جبل صهيون ومدينة الملك العظيم، أورشليم السماوية، حيث ربوات الملائكة والأبرار حول رئيس الكهنة العظيم وسيط العهد الجديد الذي يُعلن دمه نداء الخلاص بأفضل مما تكلَّم دم هابيل** (عب ١١ و١٢).

❊ ❊ ❊

نعم، بعد قليل جداً **سيأتي الآتي ولا يُبطئ**.

والذين رافقوا رئيس الكهنة في طريق الجلجثة، واجتازوا معه محنة الصليب، واغتسلوا في دم الذبيحة، وتمتعوا بنصرة قيامته، واختبروا معونته وتعزياته في الآلام والضيقات، ونالوا غفرانه حين تعثَّروا وقاموا، وظلوا أمناء له رغم الحصار، حاملين عاره ومترجين تحقيق وعده بقرب مجيئه: **"ها أنا آتي سريعاً وأجرتي معي، لأُجازي كل واحد كما يكون عمله"** (رؤ ٢٢: ١٢)؛ **هؤلاء لهم المجد الأبدي**.

أما الذين وُلدوا في الإيمان، ثم باعوا أنفسهم للشيطان، فداسوا ابن الله واحتقروا ذبيحته واستكثروا ثمن تبعيته، وخانوه بقلب بارد خضوعاً للشهوة، وصاروا أصل مرارة لكل الكنيسة ورئيس كهنتها؛ فهؤلاء إذ "يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرّونه" (عب ٦: ٦)، ليس لهم نصيب معه في مجده،

فهُم بإرادتهم اختاروا دينونتهم الأبدية، ويا للحزن!

ولكن الكتاب يُحذِّر الجميع: "**إذاً مَن يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط**" (١كو ١٠: ١٢).

نعم.. جاء ليموت كي يهب الحياة

فى بعض العقائد أن المسيح قد نجا من الصليب والموت بمعجزة تكريما له وتنزيهاً ونصرا على أعدائه الذين ظنوا أنهم ظفروا به بينما هو رُفع إلى السماء.

ورغم أن هذا الفكر يبدو فى ظاهره معقولا، إذ أن فيه إكبارا لشأن المسيح الذى أنقذه الله – لرفعة مقامه – من العذاب والموت، ولكنه يتنافى كليا مع قصد تجسد الرب، ويجافى رسالته التى بشَّر بها، ويتناقض مع نبوات الكتاب، ويجعل مجئ المسيح كأن لم يكن، وأن الخلاص لم يتحقق بعد، وأن الإنسان لا يزال تحت القصاص الأبدى لأنه لا يزال تحت الخطية.

فالخلاص من خلال الصليب والموت والقيامة كان محور حياة المسيح وهدفها الساطع – كما سجلتها الأناجيل وسائر أسفار العهد الجديد – بدءاً من اسمه: **يسوع** "لأنه **يخلص** شعبه من خطاياهم" (مت١: ٢١)، وتجسيدا لنبوات العهد القديم خاصة تلك الكثيرة التى لداود وإشعياء اللذين تنبآ قبل

قرون عما جرى للرب من أحداث وآلام (مزمور٢٢، أصحاح ٥٣ من سفر إشعياء على سبيل المثال)، وما أشار به آخر أنبياء العهد القديم يوحنا المعمدان إلى شخص المسيح المبارك "**كحمل الله الذى يرفع خطية العالم**" (يو١: ٢٩).

كما أن تجسد ابن الله من أجل خلاص العالم بالصليب والموت والقيامة هو حجر الزاوية فى إيمان الكنيسة الذى مات فى سبيله آلاف الشهداء منذ عصر الرسل والى آخر الدهور.

(أ) المسيح يخبر عن موته

وكل شواهد حياة المسيح وأقواله – التى نقتبس هنا بعضها – تشى بأنه كان يدرك حقيقة إرساليته، وتشهد أنه يعرف هدف مجيئه. وهو يصرِّح فى بيت زكّا العائد إلى الأحضان الأبوية "**أن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك**" (لو١٩: ١٠). وخلال محاكمته أجاب الرب بيلاطس دون مواربة" أنت تقول إنى ملك. **لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق**" (يو١٨: ٣٧). ومنذ أن بدأ الرب خدمته قبل هذه الساعة بسنوات ثلاث كانت عينه كل الوقت على صليبه المنتصب عن بُعد فى موضع الجلجثة:

(**١**) فبعد معجزة إشباع الجموع بالخبز نقل فكرهم إلى شخصه **كخبز الحياة** الذى نزل من السماء (يو٦: ٤٨-٥٠)، ثم يضيف موضِّحا "والخبز الذى أنا أعطى هو **جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم**" (يو٦: ٥١). فهو يعرف أنه أخذ جسد الإنسان ليبذله من أجل الخطاة "**لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو٣: ١٦).

(**٢**) وهو لا يفتأ يذكّر تلاميذه فى وقت مبكر بما سيأتى عليه من آلام "إنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم **ويتألم كثيرا... ويقتل**" (مت١٦: ٢١، ٢٠: ١٨، ١٩، مر١٠: ٣٣، ٣٤، لو٩: ٢٢).

(**٣**) وهو يشير إلى موته باعتباره تمجيدا لابن الإنسان وليس كالمحنة التى يتمنى أن يفلت منها "**قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان**. الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها **ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير**" (يو١٢: ٢٣، ٢٤). وهو يقول لتلميذى عمواس بعد قيامته "أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا **ويدخل إلى مجده**" (لو٢٤: ٢٦).

(**٤**) وهو يرمز إلى صلبه بارتفاعه عن الأرض الذى سيجذب به الجميع إليه "وأنا **إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىَّ الجميع**. قال هذا مشيرا إلى **أية ميتة كان مزمعا أن يموت**" (يو١٢: ٣٢، ٣٣)،مستعيداً المشهد الرمزى للحية النحاسية التى رفعها موسى فى البرية كأمر الرب فأنقذت الذين لدغتهم الحيات (عد ٢١: ٨، ٩) (**الحية القديمة أى إبليس** – رؤ ١٢: ٩، ٢٠: ٢)، كما كان يقول "متى **رفعتم ابن الإنسان** فحينئذ تفهمون **إنى أنا هو**" (يو٨: ٢٨) فهو يرى نفسه على الخشبة قبل أن يعلق عليها، وأن ذلك سيكون الشهادة أنه المسيا الآتى إلى العالم.

(**٥**) وفى عشاء بيت عنيا ابتهاجا بإقامة لعازر، وقد أتت مريم ودهنت قدميه بالطيب، لم يشغله الحفل البهيج بما سيأتى عليه بعد أيام، وردا على احتجاج يهوذا على إهدار الطيب الثمين بهذه الصورة بينما كان يمكن بيعه لحساب الفقراء، قال الرب "اتركوها. إنها ليوم **تكفينى** قد حفظته" (مت٢٥: ١٢، مر١٤: ٨، يو١٢: ٧) فهو يرى نفسه فى الأكفان قبل أن يموت.

(٦) وهو يعرف موعد موته "تعلمون **أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يُسلَّم ليصلب**" (مت٢٦: ٢) "أما يسوع قبل عيد الفصح **وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب**..." (يو١٣: ١).

(٧) وعندما قدم جسده لتلاميذه بعد العشاء قال لهم "هذا هو جسدى الذى **يُبذل** عنكم" (لو٢٢: ١٩) وقال عن دمه "الذى **يُسفك** عنكم" (مت٢٦: ٢٨، مر١٤: ٢٤، لو٢٢: ٢٠). فهو هنا يرى جسده مكسورا قبل أن تمزقه المسامير وتطعنه الحربة، ودمه نازفا مهراقا قبل أن ينهمر فوق الجلجثة.

(٨) وهو يتعامل مع الآلام الآتية والموت القادم على أنها الكأس المقدمة إليه من يد أبيه "**الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها**" (يو١٨: ١١).

(ب) المسيح يخبر عن قيامته

وإذا كان المسيح قد قَبِل الصليب والموت فذلك لأنهما مرتبطان بالقيامة الآتية سريعا والتى ستعلن نصر الصليب وبها سيتمجد. وإذا كان المسيح قد مات عنا لأجل خطايانا التى حملها فى جسده فإنه قد قام لبره الشخصى الذى أفاضه علينا "**أقيم لأجل تبريرنا**" (رو٤: ٢٥).

فالقيامة هى أحد وجهى أيقونة الخلاص التى تحمل نقش الصليب على وجهها الآخر وتتمم عمله. وكما كان الرب واعيا بما سيأتى عليه من الآلام وموت الصليب فإنه كان أيضاً يرى قيامته يقينا أكيدا ويقرنها دائما بأحاديثه المبكرة عن الصليب بل وحتى قبل أن يتكلم عن الصليب:

(**١**) فهو يسترجع ما جرى **ليونان** كإشارة على أيام ثلاثة فقط يقضيها فى الأرض قبل أن يقوم "جيل شرير وفاسق يطلب آية **ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبى لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالى هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال**" (مت١٢: ٣٩، ٤٠).

(**٢**) وفى وقت مبكر من كرازته "ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيرا (ويُرفض) من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل **وفى اليوم الثالث يقوم**" (مت١٦: ٢١، مر٨: ٣١-٣٣، لو٩: ٢٢). وفيما هم يترددون فى الجليل قال لهم يسوع إن "ابن الإنسان سوف يُسَّلم إلى أيدى الناس فيقتلونه... **وفى اليوم الثالث يقوم** فحزنوا جدا... أما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه" (مت١٧: ٢٢، ٢٣، مر٩: ٣١، ٣٢). فذهنهم ينصرف بصورة غامضة إلى الآلام القادمة على المعلم ولكنهم لا يستوعبون القيامة التالية، وهم لا يجرأون أن يطلبوا إيضاحا من السيد.. ربما لأن الأمر مثير للحزن لا للتساؤل. وقبل أيام من دخوله الأخير إلى أورشليم يصرِّح قائلا: "ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم لكى يهزأوا به ويجلدوه (ويتفلوا عليه) ويصلبوه **وفى اليوم الثالث يقوم**" (مت٢٠: ١٨، مر١٠: ٣٣، ٣٤).

(**٣**) وفى رده على الفريسيين الذين طلبوا إليه أن يمضى من هناك لأن هيرودس يريد أن يقتله قال الرب " امضوا وقولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفى اليوم وغداً **وفى اليوم الثالث أكمَّل** (أى يَكْمُل عمله الخلاصى بالقيامة من الأموات بعد الصليب)" (لو١٣: ٣٢).

(**٤**) وبعد مشاهد المجد يوم التجلى، وفيما هم نازلون على جبل

تابور، أوصى يسوع تلاميذه – فى إشارة إلى قيامته الآتية– قائلا "لا تُعلموا أحداً بما رأيتم حتى **يقوم ابن الإنسان من الأموات**... فحفظوا الكلمة لأنفسهم يتساءلون **ما هو القيام من الأموات**" (مت١٧: ٩، مر٩: ٩-١٠). فالموت يرونه كل يوم أما القيامة فلم يعرفوها بعد.

(**٥**) وفى إشارة مبكرة عن قيامته بعد موته قال الرب لليهود "انقضوا هذا الهيكل **وفى ثلاثة أيام أقيمه**. فقال اليهود فى ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل أفأنت فى ثلاثة أيام تقيمه. **أما هو فكان يقول عن هيكل جسده. فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا**" (يو٢: ١٩-٢٢). واستخدم شهود الزور كلماته هذه وقت محاكمته وحرَّفوها قائلين "نحن سمعناه يقول إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى وفى ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع بأياد" (مت٢٦: ٦٠، ٦١، مر١٤: ٥٧، ٥٨).

(**٦**) وهو فى ساعاته الأخيرة معلقا على الصليب، كان الرب ناظرا إلى القيامة القريبة والصعود إلى المجد الذى كان له قبل تأسيس العالم، فخاطب اللص ردا على ندائه أن "اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك" قائلا له "الحق أقول لك **إنك اليوم تكون معى فى الفردوس**"(لو٢٣: ٤٢، ٤٣). فعمله الخلاصى الممتد إلى أرواح من رقدوا على رجاء قيامة الرب سيقتضى أن يمضى إليهم فى الجحيم يبشرهم بالخلاص وينقلهم مع اللص – سارق الأبدية – إلى الفردوس.

(**٧**) ورغم كل تصريحات الرب السابقة عن يقين قيامته بعد موته، إلا أن صلب الرب وموته الأليم اجتاحا التلاميذ والنسوة كصاعقة أفقدتهم صوابهم، وفى حزنهم ويأسهم تاهت أحاديث القيامة حتى ذكَّرت الملائكة النسوة بها عند القبر فجر القيامة: "ليس هو ههنا **لأنه قام كما قال** (أى كما كان يقول من قبل).. اذكرن كيف كلمكن وهو بعد فى الجليل قائلا إنه **ينبغى أن يسلم ابن الإنسان فى**

أيدى أناس خطاة ويُصلب وفى اليوم الثالث يقوم فتذكرن كلامه" (مت٢٨: ٦، لو٢٤: ٦، ٧).

وفى حيرة بطرس ويوحنا أمام القبر الفارغ يقول عنهما الكتاب: "لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب **أنه ينبغى أن يقوم من الأموات**" (يو٢٠: ٩).

❁ ❁ ❁

وهكذا، كما تحدث الرب عن صلبه وموته وقيامته بعد ثلاثة أيام، تم كل شئ كما قال. فرغم إخلائه نفسه وأخْذه صورة العبد وظهوره فى الهيئة كإنسان وطاعته حتى الموت موت الصليب (فى٢: ٧، ٨)، إلا أنه يظل ابن الله الذى يرى المستقبل ويعلم الغيب، وهو يدفع الأحداث أو يكبحها حتى يأتى ملء الزمان الذى رسمه قبل الدهور بحيث يتم الخلاص فى موعده.

وأقوال الرب لتلاميذه وغيرهم التى خبرَّ بها عن صلبه وموته وقيامته منذ بواكير خدمته، وقبل أن تتجمع النذر فى الأفق بزمان، هى إعلان على صدق رسالته التى حققت أيضاً نبوءات الكتاب وهى تجعل خلاص الرب جوهر تجسده والذى يمر بالصليب والموت والقيامة كحتمية لا يمكن إسقاطها مهما كانت الذرائع.

فبالصليب أبطل الرب الخطية "ولكنه الآن قد أُظهر مرة عند انقضاء الدهور **ليبطل الخطية بذبيحة نفسه**" (عب٩: ٢٦). بل إنه استبقى آثار الصليب فى جسده: فى يديه وجنبه وقدميه، وسمح لتوما أن يضع أصبعه فى جراح الصليب (يو٢٠: ٢٧) حتى لا يدّعى أحد أنه لم يصلب أو لم يقم. وقد

التحم المسيح بصليبه **فصار علامته التى ستعلن ظهوره فى اليوم الأخير** (مت٢٤: ٣٠). وزاد معلمنا بولس بأن نسب دم المسيح مباشرة إلى الصليب فيقول "عاملا الصلح **بدم صليبه**" (كو١: ٢٠).

كما صار **موت المسيح** الكفارى من أجل خطايانا (١كو١٥: ٣) إنقاذا لكل مؤمن من موت الخطية "لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا **فى المسيح سيُحيا الجميع**" (١كو١٥: ٢٢)، وأكملت **القيامة** عمل الصليب الخلاصى وجعلت موت المسيح مختلفا عن كل موت. فهو الموت الجبار الذى أبطل عز الموت الذى تسلط على الجميع "**بالموت داس الموت**"، وقبله الرب بإرادته لأيام ثلاثة قام بعدها "ناقضا أوجاع الموت إذ **لم يكن ممكنا أن يُمسك منه**" (أع٢: ٢٤)، فالمسيح هو "**القيامة والحياة**" (يو١١: ٢٥) وصارت قيامته برهاناً أكيداً على قيامة المؤمنين وحياتهم الأبدية "**إنى أنا حى فأنتم ستحيون**" (يو١٤: ١٩).

وبالمثل فقد صار الصليب والموت والقيامة عناصر أساسية فاعلة فى حياة المؤمن الجديدة، فأصبح **حمل الصليب** هو علامة تبعية كل مؤمن للرب (مت١٠: ٣٨، ١٦: ٢٤، مر٨: ٣٤، ١٠: ٢١، لو١٤: ٢٧)، كما صار غاية المؤمن أن **يصلب ويموت ويقوم مع المسيح ليحيا الرب فيه "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ**" (غل٢: ٢٠)، "**لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله**" (كو٣: ٣)، "**فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض** الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديئة الطمع..." (كو٣: ٥)، "**مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات**" (كو٢: ١٢)، "**فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمن الله. متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد**" (كو٣: ٢).

فالصليب والموت والقيامة هم فى صميم عمل المسيح كما هم فى صميم

حياة المخلَّصين.. ولا يوجد بديل غير الموت الأبدى. وعندما انزلق بطرس مدفوعا بعواطفه السطحية ليحث الرب على تفادى الآلام والموت انتهره الرب قائلا "اذهب عنى يا شيطان" (مت١٦: ٢٣). كما أن الرب – وهو على الصليب – ارتضى أن يبدو مهزوما حسب الظاهر و لم يبال بأصوات المجدِّفين الهازئين من الشعب ورؤساء الكهنة مع الكتبة والشيوخ "إن كنت ابن الله **فانزل عن الصليب**.. إن كان هو ملك إسرائيل **فليترل الآن عن الصليب** فنؤمن به" (مت٢٧: ٤٠، ٤٢)، "**فليخلّص نفسه** إن كان هو المسيح مختار الله" (لو٢٣: ٣٥)، والجنود "إن كنت ملك اليهود **فخلص نفسك**" (لو٢٣: ٣٧)، وحتى اللصين (قبل أن يتراجع أحدهما ويؤمن) "إن كنت أنت المسيح **فخلص نفسك وإيانا**" (لو٢٣: ٣٩)، ولكن الرب بقى متشبثا بصليبه، وكأنه هو (أى المسيح) الذى يحمله، كى يبطل الخطية بذبيحة نفسه ويدوس الموت بموته ويهب الحياة بقيامته.

ربما كان نزول المسيح من على الصليب فى مشهد باهر بصحبة جيوش الملائكة (مت٢٦: ٥٣) سيبدو انتصارا وعملا يثير الإعجاب، ولكنه لم يكن سيحقق غير شهوة إبليس الذى يريد استبقاء الإنسان فى قبضته المميتة، ومع إبليس كل الذين يرون فى المسيح المصلوب عثرة وجهالة (١كو١: ١٨، ٢٣).

❋ ❋ ❋

ولكن شكرا لله ..

أن المسيح قد صلب ومات وقام..

فوهبنا الحياة.

القيامة والصعود

+ القيامة والخلاص

+ القيامة والحياة الأبدية

+ المهام الأخيرة

+ صعود المسيح بين عمل المسيح وحياة المؤمنين

القيامة والخلاص

يأتي حدث **القيامة** بعد الأيام العصيبة السابقة التي جاز فيها الرب الأهوال من محاكمات ظالمة، وإهانات وشتائم وتعييرات وخيانات وآلام جسدية ونفسية بلغت قمتها عند الجلجثة، حيث رُفع السيد على صليب اللعنة والعار. ووسط اضطراب الطبيعة واحتجاب الشمس، ودموع وآهات الجماعة المُحبَّة القليلة التي بقيت معه حتى النهاية، كان الموت الذي معه ذوت آمال جماعته وهي ترى جسده يسجَّى في قبر وُضِع على بابه حجر عظيم.

انتهت سريعاً سنوات ثلاث حافلة بالعمل والكرازة. بمشاهد المجد في الأردن وعلى جبل تابور. بكلمات الحياة وآيات القوة. بالجموع المتحلِّقة حول المعلِّم وتلاميذه. أيام عظيمة انفتحت فيها العيون والقلوب على ملكوت السموات والحياة الأبدية. كل ذلك مضى وطواه موت المخلِّص، وانتهى مطاف الجماعة إلى عليَّة صغيرة أغلقوها عليهم مع الخوف والحزن وفقدان الرجاء.

بعد هذا كله يأتي حدث **القيامة** بعد ثلاثة أيام من موت السيد. إنه شمس تنبلج في الظلام، وقوة جبارة تزيح ركام اليأس والخوف، وبركان فرح يكتسح

أمامه كل جبال الحزن.

وكل شيء يتغيَّر.. الحياة والوجود.. المستقبل وكل الغايات. كلها لم تَعُدْ كما كانت. فقيامة الرب حدثٌ هائل مقابل حدث الصليب الهائل. إنهما يلتقيان ليصنعا معاً حجر الزاوية في الإيمان المسيحي. والقيامة هي التي حوَّلت هوان الصليب وضعفه إلى إعلان قوة الله ومجده (١كو ١:١٨)، ومن آلة للإعدام وعلامة للعنة والعار (غل ٣:١٣) إلى وسيلة الخلاص من الموت (١كو ١:١٨، غل ٢:٢٠، كو ١:٢٠؛ ٢:١٤) وشرط التلمذة (مت ١٠:٣٨، مر ١٠:٢١، لو ٩:٢٣؛ ١٤:٢٧) وموضع فخر المؤمنين (غل ٦:١٤) وعلامة خاصة لابن الله يوم مجيئه للدينونة (مت ٢٤:٣٠).

ولقد أدرك آباؤنا بإلهام الروح القدس رفعة القيامة وجدواها ودورها في تحقيق الخلاص وموقعها في الإيمان المسيحي، حتى إن معلِّمنا بولس الرسول، لكي يكشف هذا الدور الذي للقيامة، استخدم المدخل العكسي، وهو: ماذا يكون الحال لو لم يكن المسيح قد قام؟ وكانت النتائج المُفزعة هي:

(١) بطلان الإيمان (١كو ١٥:١٤و١٧)؛

(٢) بطلان الخلاص وهلاك الذين رقدوا في المسيح ("**أنتم بعد في خطاياكم**" -١كو ١٥:١٧و١٨)؛

(٣) بطلان الكرازة وكذب الكارزين وتحوُّلهم إلى شهود زور (١كو ١٥:١٤و١٥)؛

(٤) بطلان القيامة الأخيرة وسيادة الموت إلى الأبد (١كو ١٥:١٣و١٨)؛

(٥) شقاء الذين ينحصر رجاؤهم في المسيح في هذه الحياة فقط (١كو ١٥:١٩)؛

(٦) عدم جدوى الجهاد والمخاطرة والاستشهاد من أجل مسيح افترسه

الموت. إنه يكون عطاءً بلا طائل ولا هدف ويجافي العقـــل والمنطـــق. وإذا كان الموت هو، إذاً، نهاية المطاف فلنأكل ونشرب ونتمتع، فالنهاية المحتومة واحدة (١كو ١٥:٣٠-٣٢).

فالصليب قرين القيامة، والقيامة قرينة الصليب ووجهه الآخر، والمسيح كان دائماً يقرِن حديثه عن الصليب والموت بالقيامة (مت ١٦:٢١؛٢٠:١٩؛ ٢٦:٣٢، مر ٨:٣١؛ ١٠:٣٤؛ ١٤:٢٨، لو ٩:٢٢؛ ١٨:٣٣). والصليب لا يقف وحده، ولكن القيامة تحقِّق كمال هدفه الخلاصي وتجعله وسيلة الحياة وأداة المصالحة بين السماء والأرض (**عاملاً الصلح بدم صليبه** -كو ١:٢٠، أف ٢:١٦)، والعلامة التي شقَّت التاريخ إلى ما قبل الخلاص وما بعده، والسلاح الذي جرَّد به المسيح الرياسات والسلاطين وأشهرهم جهاراً وظفر بهم فيه (كو ٢:١٥).

القيامة والخلاص

دور القيامة في الخلاص، إذاً، دور محوري، لا ينفصل عن عمل الصليب بل يلتحم به ويُظهِر مجده، وبدون القيامة لا يتجاوز الصليب في أحسن الأحوال أن يكون علامة تضحية عظيمة وموت نبيل (بل إنه في نظر آخرين عقوبة عادلة يستحقها مجدِّف وصانع شر ومثير للفتنة). وينتهي دوره عند هذا الحد. على أحسن الفروض يمكن بغير القيامة أن ينضم المسيح إلى ألوف البشر والشهداء الذين ماتوا دفاعاً عن أوطانهم أو من أجل غايات نبيلة أو الذين حاصرتهم قوى البغي والشر وسلبتهم حياتهم، كأحد وجوه ظلم البشر للبشر وقهرهم لاستغلال مواردهم أو لاستبقاء حياة الطغاة أو تنفيذاً لأحكام جائرة على مدى القرون.

إن القيامة هي التي تصنع الفرق وتكشف تفرُّد عمل الصليب. وها نحن

نلقي بعض الضوء على عمل القيامة في الخلاص:

(**١**) إذا كان الصليب قد أظهر **ناسوت** الابن المتجسِّد، فإن القيامة أعلنت **لاهوته**. وفي اللاهوت المتَّحد بالناسوت (جسداً ونفساً)، نزل الابن إلى الجحيم كارزاً للأرواح التي في السجن (١بط ٣:١٩). وفي اللاهوت المتَّحد بالناسوت فإن المخلِّص ليس إنساناً **يموت، وإنما هو الإله المتجسِّد الذي بموته نقض أوجاع الموت وأبطل عِزَّه، ومِن ثَمَّ يتحقَّق الخلاص. إنه رئيس الكهنة العظيم القدوس البار، الذي دخل إلى الأقداس مرة واحدة بدم نفسه**، وليس بدم ثيران وتيوس كما كان يفعل رؤساء الكهنة اللاويون الذين كانوا يقدِّمون الذبيحة عن خطاياهم وجهالات الشعب، **فوجد فداءً أبدياً** (عب ٤:١٤؛ ٧:٢٦؛ ٨:١؛ ٩:٧و١١و١٢).

وقيامة الابن هي إعلان قبول الآب لذبيحة ابنه الفريدة، وبأن الدم المسفوك قد حقَّق غرضه "وإذ كُمِّلَ صار لجميع الذين يطيعونه، سبب خلاص أبدي" (عب ٥:٩)، وأن قيامة الإله المصلوب قد كفلت الفداء الأبدي (عب ٩:١٢)، والغلبة على الخطية والعالم ورئيسه إبليس.

(**٢**) وإذا كانت القيامة إعلاناً عن لاهوت الابن وقوته، فإن قيامة المسيح تختلف عن قيامات أخرى تَمَّت في العهدَيْن القديم والجديد. فكل الذين قاموا قبل المسيح أو الذين أقامهم المسيح أو تلاميذه من بعده؛ لم يقيموا أنفسهم بل أقامهم آخرون، وعاشوا لبعض الوقت بعد قيامتهم ثم ماتوا ثانية ككل البشر "عالمين أن المسيح بعدما أُقيم من الأموات **لا يموت أيضاً. لا يسود عليه الموت** بعد. لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية **مرة واحدة**" (رو ٦:٩و١٠).

ولكن المسيح هو وحده الذي قام بقوة لاهوته وبدون معونة أحد، وحسب الموعد الذي حدده قبل أن يموت (مت ١٦:٢١؛ ٢٠:١٩، مر ٨:٣١؛ ١٠:٣٤، لو ٩:٢٢؛ ١٨:٣٣). وقام نشطاً بهياً كأنما لم يكن ميتاً في قبر

ولثلاثة أيام "لأنك لن تترك نفسي في الهاوية **ولا تَدَع قدوسك يرى فساداً**" (أع ٢:٢٧)، بينما احتاجت ابنة يايرس عند قيامها أن يعطوها طعاماً لتتقوى (مر ٥:٤٣). وقام المسيح تاركاً الأكفان علامة الموت في موضعها لظلمة القبر (يو ٢٠:٦و٧)، وخرج منها دون أن يحلَّه أحد مثل ما حدث للعازر (يو ١١:٤٤). وقام المسيح والمجد والبهاء يحيطان به، والملائكة من حوله: فواحد يدحرج الحجر بعد قيامته، وملاكان في القبر الفارغ يبشِّران الآتين بقيامة السيد.

والحقيقة أنه لم يكن ممكناً أن يُمسَك المسيح من الموت، لأنه الإله البار القدوس الذي لم يوجد في فمه غش (إش ٥٣:٩). وهو وإن كان قد مات موتاً كفَّارياً بسبب خطايا الإنسان التي وُضعت عليه "وُضِعَ عليه إثم جميعنا" (إش ٥٣:٦)، **"لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه"** (٢كو ٥:٢١)، **"الذي أُسلم من أجل خطايانا، وأُقيم لأجل تبريرنا"** (رو ٤:٢٥)، فمحا الصكَّ الذي علينا وسمَّره بالصليب (كو ٢:١٤)؛ إلاَّ أنه كان لا بد أن يقوم بسبب بره الشخصي الكامل المتمثِّل في إخلائه لنفسه (في ٢:٧)، وإخضاع مشيئته للآب (لو ٢٢:٤٢)، وحريته من كل خطية **"مَنْ منكم يبكِّتني على خطية"** (يو ٨:٤٦). ومن أجل أن المسيح كان ينظر قيامته وهو بعد لم يمت، لذا استطاع أن يقبل آلام الصليب وأهوال الموت، رغم كل تحديات الصالبين.

(٣) ثم إن القيامة هي إعلان الغلبة على العالم الموضوع في الشرير وما يمثِّله من صور الظلم والكذب والتسلُّط واضطهاد المؤمنين. فبينما حسب رؤساء الكهنة أنهم قد حاصروا الرب يسوع واستطاعوا في النهاية الإيقاع به واستصدار الحكم بموته، وربما داخلهم الزهو وهم يرونه يُسلَّم للصالبين ويخضع

للقهر والألم دون أن يفتح فاه (إش ٥٣:٧)، إلى أن رُفِع على الصليب وأَسلم الروح ووُضِع في قبر أُحكمت حراسته. وبينما أحس بعض تلاميذه أن كل شيء قد انتهي (لو ٢٤:٢١)؛ تأتي قيامة الرب الجبارة بعد هذه التداعيات، لطمة ساحقة للظالمين المتجنِّين (كو ٢:١٥)، وتشديداً للنفوس الكسيرة المنحنية تحت وطأة الألم، ونصرة للحق الذي يبدو أنه ضاع، وتشديداً للإيمان المهتز "في العالم سيكون لكم ضيق. **ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم**" (يو ١٦:٣٣)، "**وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا**" (١يو ٥:٤)، وهزيمة للنفوس المتكبرة الباغية وملاحقتها بما جنت يداها "وأما الظالم فسينال ما ظلم به، وليس محاباة" (كو ٣:٢٥)، وإدانة للعالم الشرير ورئيسه "**الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً**" (يو ١٢:٣١).

(٤) قيامة المسيح كانت عربوناً للانتصار الكامل على الموت في القيامة الأخيرة (آخر عدو يُبطَل هو **الموت** -١كو ١٥:٢٦). وكان المسيح هو باكورة الراقدين (١كو ١٥:٢٠) الذين لم يَعُدْ للموت سلطان عليهم. وهكذا نزع الرب بقيامته خوف الموت من قلوب المؤمنين "**فإذ قد تشارَك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويُعتق أولئك الذين – خوفاً من الموت – كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية**" (عب ٢:١٤و١٥).

فالذين يحيون القيامة مستعدون لقبول الموت في أي ساعة، فشوكته قد انتُزِعَت (١كو ١٥:٥٥)، ويعبر بهم موت الأهل والأصدقاء فيودِّعونهم على رجاء اللقاء في الملكوت دون أن يرعبهم اقتراب الموت منهم "فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة... تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو ٨:٣٨و٣٩). لقد سبقنا الرب إلى طريق الموت المجهول ليُجرِّده من

سلطانه السابق، وليجعله الباب المفتوح على أمجاد الحياة الأبدية، وبه نعود إلى مكاننا القديم العتيد الذي فقدناه بالخطية[1].

(٥) ثم يبقى أن مسيحنا المنتصر على الموت والجالس عن يمين الآب (أع ٧:٥٦) إلى أبد الآبدين (رؤ ١:١٨) يواصل عمله كمخلِّص من موت الخطية لكل مَنْ يقبل، وشفيعاً دائماً ينجِّي الملتجئين إليه من مؤامرات العدو، ويقيل المؤمنين من عثراتهم ويساندهم في ضيقاتهم "**وإنْ أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفَّارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً**" (١يو ٢:١و٢)، "**فمِنْ ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم**" (عب ٧:٢٥).

وفي الزمان المعيَّن للخلاص الأخير (١بط ١:٥) سيأتي الرب على السحاب في مشهد ستراه كل عين "لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف يترل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً" (١تس ٤:١٦)، "**هكذا المسيح أيضاً بعدما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه**" (عب ٩:٢٨). وكما ارتبطت قيامة الرب بإعلان الخلاص فمجيئه الثاني في القيامة الأخيرة مرتبط بإعلان الخلاص الأخير لتمجيد قديسيه "**فإن سيرتنا نحن هي في السموات، التي منها أيضاً ننتظر مُخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده**" (في ٣:٢٠و٢١).

❄ ❄ ❄

(١) يختم الكاهن أوشية الإنجيل في القداس الباسيلي مخاطباً الرب قائلاً "لأنك أنت هو حياتنا كلنا، وخلاصنا كلنا، ورجاؤنا كلنا، وشفاؤنا كلنا، **وقيامتنا كلنا**".

يا رب.. ما أمجد قيامتك!

القيامة والحياة الأبدية

إذا كانت قيامة الرب تعني نصرته على الموت، ومِنْ ثم أكملت مع الصليب الفداء وخلاص المؤمن من الموت الأبدي، وحطَّمت شوكة الموت أي الخطية (١كو ١٥:٥٦)، وحرَّرت المؤمن من سلطانها إلى الأبد، ووهبته أن يحيا قوياً غالباً متمتِّعاً بالقداسة؛ فإنها على المدى البعيد برهنت على صدق وعد الله بأن **"لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"** (يو ٣:١٦).

فقيامة المسيح من بين الأموات، والتي بشَّر بها الرب تلاميذه مراراً قبل أن يجوز الآلام وموت الصليب (مت ١٦:٢١، مر ٨:٣١؛ ٩:٣١؛ ١٠:٣٣و٣٤، لو ٩:٢٢؛ ١٧:٢٥؛ ١٨:٣١-٣٣، يو ٣:١٤-١٧)، هي برهان القيامة الأخيرة للمؤمنين من الموت (إذ قد صار المسيح مِن ثَمَّ **"باكورة الراقدين"** - ١كو ١٥:٢٠، و**"أول قيامة الأموات"** - أع ٢٦:٢٣)، وهي تحقيقٌ لوعده **"إني أنا حيّ فأنتم ستحيون"** (يو ١٤:١٩). **ويصير يقين المؤمن بحياته الأبدية وقيامته في اليوم الأخير** - تلبيةً لنداء الرب في مجيئه الثاني المخوف المملوء مجداً

(مت ٢٥:٣١-٣٤و٤٦، يو٥:٢٨و٢٩) - **عنصراً أصيلاً في الإيمان المسيحي**، لا مجرد تلاوة من الشفاه لختام قانون الإيمان: **"وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي"**.

فللخلاص الذي أنعم به الرب على المؤمنين بُعدان:

أولهما: التمتع **بالحياة الجديدة** (رو ٦:٤)، التي تختلف جذرياً عن الحياة القديمة أي حياة الخطية والتي يوهب المؤمن القوة على التخلي عنها ثم كراهيتها والجهاد ضدها، مع إرادة التوبة إذا ضعف الإنسان وخضع لسطوة الخطية. كما يميزها ميل وممارسة القداسة والعبادة والنسك والتطلُّع إلى الحياة الأبدية: **"وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"** (يو ١٧:٣)؛ وهي في هذا تختلف عن الحياة المزدوجة التي تعرج بين الفرقتين، والتي تتعايش فيها الخطية مع التدين الشكلي.

وثانيهما: نوال الحياة الأبدية كميراث طبيعي للبنين: "**رِثوا الملكوت** المُعدّ لكم منذ تأسيس العالم" (مت ٢٥:٣٤)، "وكل مَنْ ترك... من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف **ويرث الحياة الأبدية**" (مت ١٩:٢٩)، "مَنْ يغلب **يرث كل شيء**" (رؤ ٢١:٧)؛ ونتيجة أساسية للخلاص على كل مؤمن أن ينتبه إليها ويتمسَّك بها: "مُدَّخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل، لكي **يُمْسِكوا بالحياة الأبدية**" (١تي ٦:١٩)، ويجعلها نصب عينيه آناء الليل وأطراف النهار.

وإذا لم يكن رجاء الحياة الأبدية عنصراً أصيلاً في الخلاص المسيحي، فماذا يكون المسيح، إذاً، قد صنع، بصليبه وموته وقيامته؟ وإذا كان أقصى ما استطاعه الرب أن يُعلِّمنا بعض الوصايا النبيلة، فما الفرق، إذاً، بيننا وبين غيرنا؟ وإذا كان رجاؤنا في المسيح هو في هذه الحياة فقط، نكون - كما قال المغبوط بولس بحق - "**أشقى جميع الناس**" (١كو ١٥:١٩). وإن غاب من

حياتنا هذا اليقين بأن خلاصنا يتضمن حياتنا مع المسيح وفيه إلى الأبد، لا يكون المسيح قد صنع شيئاً. فالموت يظل جاثماً على الجميع، ولا يكون المسيحي المؤمن مختلفاً عن أي ملحد لا يؤمن بإله.

إنجيل المسيح والحياة الأبدية

وها هي كلمات الكتاب تكشف لنا عن ارتباط الحياة الأبدية بالخلاص وقيامة الرب ومجيئه الثاني ليضم مختاريه إلى ملكوته الأبدي:

"هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، **لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو ٣:١٦)؛

"أنا هو القيامة والحياة. مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل مَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" (يو ١١:٢٥و٢٦)؛

"الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية" (يو ٣:٣٦)؛

"مَنْ يؤمن بي فله حياة أبدية" (يو ٦:٤٧)؛

"فإن الحياة أُظهِرَت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا" (١يو ١:٢)؛

"وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به: الحياة الأبدية" (١يو ٢:٢٥)؛

"وهذه هي الشهادة: **أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. مَنْ له الابن فله الحياة، ومَنْ ليس له ابن الله فليست له الحياة.** كتبت هذا إليكم، **أنتم المؤمنين باسم ابن الله، لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية**" (١يو ٥:١١-١٣)؛

"الحق الحق أقول لكم: **إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة**" (يو ٥:٢٤)؛

"خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. **وأنا أُعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد**، ولا يخطفها أحد من يدي" (يو ١٠:٢٧و٢٨)؛

"وأما الآن إذ أُعتقتم من الخطية، وصرتم عبيداً لله، فلكم ثمركم للقداسة، **والنهاية حياة أبدية**" (رو ٦:٢٢)؛

"لأن أجرة الخطية هي موت، **وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا**" (رو ٦:٢٣)؛

"**لِيَ الحياة هي المسيح**، والموت ربح" (في ١:٢١)؛

"مَنْ يزرع للروح **فمن الروح يحصد حياة أبدية**" (غل ٦:٨).

الحياة الأبدية وحياتنا الروحية

لا شكّ أن غياب اليقين بالحياة الأبدية من حياة الكثيرين هو وراء خوفهم من الموت، الذي داسه الرب، ولكنه لا يزال قائماً عندهم. وهو وراء الانهيار تحت وطأة التجارب، رغم أنها ليست نهاية المطاف، ولكن ستطويها الأيام وتصير سبباً لمجد أكثر للصابرين الشاكرين، وهو وراء الخضوع لإغراءات العالم من خطايا وتنعُّم وانصياع للشهوة؛ بل وإنكار الإيمان، رغم أن "العالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد" (١يو ٢:١٧).

وعلى العكس من ذلك، فإن يقيننا بالحياة الأبدية، التي برهنت عليها قيامة الرب، يغيِّر حياتنا الروحية من الجذور، وينعكس على كل سلوكنا الإيماني. وها نحن نعرض فيما يلي لبعض هذه الجوانب:

(١) النظرة إلى الموت

عندما يُفاضل عامة الناس بين الحياة والموت، فإنهم بالطبع يُفضِّلون الحياة. فالحياة هي الوجود، والموت هو اللاحياة أي العدم. وهم يرون الحياة هبة عظمى متعددة الأوجه، بينما الموت هو الحرمان من كل شيء. ومن هنا،

فعندما يختطف الموت أحد الأحياء، فالناس يجزعون لأن واحداً منهم طواه العدم. لقد فقدوه كما فقدهم. وربما ـ مع هذا ـ يحسُّون في داخلهم شيئاً من الرضا أنهم باقون ولا زالوا يفلتون منه. حتى إذا أتت الساعة ـ وكانت النفس واعية ـ يكون اللقاء مرعباً جداً.

ولكن المجيء الأول للمسيح قد غيَّر هذه الصورة تماماً، عندما مات وقام ثم داس الموت وأنعم بالحياة الأبدية على كل مَنْ يؤمن. فلم تَعُدْ المفاضلة، إذاً، بين الحياة الحاضرة (المؤقتة مهما طالت) والموت، وإنما بين الحياة الحاضرة والحياة الأبدية، والتي يفصل بينهما الموت، ويقود من الأولى إلى الثانية.

ولابد أن يُدرك المؤمنون هذا التغيير الذي طرأ على مصير الناس. فالناس جميعهم يذوقون الموت. فالذين فعلوا الصالحات (أي المؤمنون الذين قبلوا المسيح مخلِّصاً) يمضون إلى **قيامة الحياة**، والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة (يو ٥:٣٩).

لقد انتزع الرب كل رهبة الموت ورعبه لَمَّا هبط إلى أعماق الهاوية ثم قام منتصراً. وإذ سبقنا إلى طريق الموت المجهول جرده من سلطانه السابق (١كو ١٥:٥٥)، وجعله الباب الذي يفتح على أمجاد الحياة الأبدية. وهذا يجعل للأحزان البشرية المصاحبة للموت سقفاً لا تتعداه. فالدموع في المآقي، ولكن يقين اللقاء مع الرب في الأبدية يملأ القلب ويمنح العزاء.

(٢) النظرة إلى المصير الأبدي

إن مَنْ لا يدرك أن خلاصه يتضمن حياته الأبدية هو واحد من اثنين: إما واحدٌ يجهل حقوقه في المسيح الذي آمن به، وعليه أن يعرفها ويتمسك بها؛ وإما واحدٌ يحيا خارج دائرة الإيمان ولا يزال يتعثَّر في شِباك الخطية والعالم الشرير. وهذا قد وُضع أمامه طريق الحياة وطريق الموت، وهو يستطيع، إنْ

أراد، أن ينجو بحياته بالتوبة هارعاً إلى أحضان المخلِّص الواقف بالباب (رؤ ٣:٢٠).

بالطبع فإن الضمان الأبدي هو في يد الله (يو ١٠:٢٧-٢٩، ٢تي ١:١٢). ولكن هناك أيضاً انحياز المؤمن لشخص المسيح (يو ١٧:٣)، والتزامه بحياة القداسة "التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عب ١٢:١٤)، والتوبة الدائمة (مت ١٩:٢٩، مر ١٠:٣٠، لو ١٨:٣٠)، والتناول من الأسرار (يو ٦:٥١و٥٤و٥٨)، والحياة في نور كلمة الله (يو ٦:٦٣و٦٨)، وطاعتها (مت ١٩:١٧)؛ بما يستلزم أصلاً معرفتها واللَّهج فيها، مع الاتضاع والسهر والاتكال على النعمة لمساندة هذا الجهاد، وما يتصل بكل هذا من توجُّهات.

(٣) النظرة إلى الآلام والتجارب

إيقاننا بالحياة الأبدية وحضورها في حياتنا الحاضرة كعنصر محوري في الإيمان، يمنحنا رؤية جديدة للآلام والتجارب وهموم الحياة وقصورها وإحباطاتها. إنه يُجرِّدها من أشواكها ويُقلِّص تأثيرها ويُعظِّم قدرتنا على التعامل معها، بل ويجعل لها دوراً عند استعلان الخلاص الأخير (عب ٩:٢٨، ١بط ١:٥) تتصاغر معه أمام المجد الذي ينتظرنا: "**إن كنا نتألم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه. فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا**" (رو ٨:١٧و١٨)، فهي لم تَعُدْ معاناة بلا معنى، ومجرد ثمرة من ثمار الخطية وعقوبتها، وسمة من سمات الحياة على الأرض، إضافة إلى كونها مشاركة مع الرب في آلامه (في ٣:١٠)؛ وبالتالي سبباً للفرح والفخر (أع ٥:٤١)، وعنصراً من عناصر قصد الله في حياتنا لتدبير خلاصنا واستمرار توبتنا وحفظنا في قداسة الحق.

فمرحى بآلام محفوظة في سفر تذكرة أمام الله الغني الذي لا ينسى تعب المحبة (عب ٦:١٠)، والقادر أن يفعل أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر

(أف ٣: ٢٠).

ربما يُقال في هذا الصدد أن في الموت أيضاً نهاية لكل أنواع الآلام، يستوي في ذلك المؤمنون وغير المؤمنين. فما الفرق؟ والإجابة: إن في الحياة الأبدية ليس فقط نهاية للآلام، ولكن أيضاً الرد الإلهي على قبولنا الآلام والموت مع المسيح لكي نقوم معه. فالألم يتوقف لكي تبدأ أيضاً الحياة السعيدة الممجَّدة والتي لا تعرف الألم أو الحزن أو الوجع أو الضعف أو النقص (رؤ ٢١: ٤)، والتي تختلف، إذاً، عن حياة البكاء وصرير الأسنان.

(٤) النظرة إلى حياتنا الأرضية بصورة عامة

.. وما تتسم به من اختلاف الأنصبة على مستوى الأفراد والدول بين الغني والفقير، والصحة والمرض، والنجاح والفشل، والتقدُّم والتخلُّف، والعدل والظلم، والسلام والحرب، وهكذا، وهكذا.

ورغم أننا في أحيان كثيرة نكتشف مسئولية الأفراد والدول عن هذه المفارقات، إلاَّ أننا في أحيان أخرى تأخذنا الحيرة ونعجز عن تبين الأسباب، ولا نجد غير حقيقة أن العالم كله قد وُضع في الشرير (١يو ٥: ١٩)، وأن الخطية هي عار الشعوب (أم ١٤: ٣٤)، وهي وراء كل متناقضات الحياة واضطرابها وقصورها وفسادها.

من هنا تصير الحياة الأبدية من ناحية نهاية لهذه الحياة الحاضرة، والتي مهما تمتع فيها البعض جسدياً أو روحياً، ومهما كانت درجة التقدُّم التي أحرزها فيها بعض الدول؛ يظل النقص وعدم الشبع أبرز سماتها، وتظل النفوس عطشى، مُدركة أنه ليس لها هنا مدينة باقية (عب ١٣: ١٤)، وإنما تطلب المدينة العتيدة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله (عب ١١: ١٠)، ومتطلعة إلى الوطن السماوي الأفضل (عب ١١: ١٦).

وبالطبع فإن نصيب المؤمنين سيكون أوفر إذ قد وضعوا كل رجائهم في مخلِّص العالم، ومِن ثمَّ سيكونون المدعوين إلى عشاء عُرْس الخروف (رؤ ١٩:٩). ولكننا نظن أن مراحم الله سوف تسع – **بصورةٍ ما** – بسطاء البشر، أمثال: لعازر المضروب بالقروح (لو ١٦:٢٠)، وضحايا المجاعات والحروب وثورات الطبيعة؛ الذين عانوا الظلم والجهل والفقر والمرض واستوفوا البلايا والمحن. وسوف يجيء الوقت لكي يُحقق لهم عدل الله العزاءَ والراحةَ التي لم يعرفوها كل الحياة.

كما أن عدل الله لن يترك مَنْ فعلوا السيئات، وضمنهم كل مَنْ أذلُّوا البشر وظلموهم واستحلُّوا دمهم. فهناك أيضاً قيامة الدينونة، حيث "سينال الظالم ما ظلم به، وليس محاباة" (كو ٣:٢٥).

بعد هذا كله، أليس مما يثير الدهشة أن كثيرين مِمَّنْ دُعِيَ عليهم اسم المسيح، وربما هم أعضاء مواظبون على الذهاب إلى الكنيسة، ويعرفون بعض المعرفة؛ لا تمثِّل **الحياة الأبدية** لهم هدفاً. هم مشغولون بالأهداف قصيرة الأمد: السلام القلبي، المساندة في التجارب، النجاح في الحياة. أما هذا الهدف العظيم الذي كلَّف المسيح حياته، فهو غائب أو شاحب، لا يحتل شيئاً من العقل الواعي، أو ربما – في استهانة لا تليق بالمؤمنين – يعتبرونه أمراً مؤجَّلاً إلى نهاية الحياة، بينما هو بالفعل يصبغ كل حياتنا الإيمانية بصبغته. وبدونه تفقد حياتنا أهم أبعادها وأكثرها تأثيراً.

فلننتبه إلى أعظم حقوقنا في المسيح، والتي جاءت لنا بقيامته المجيدة. وليكن شعار كل منا ما كتبه معلِّمنا بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس: **"جاهد جهاد الإيمان الحسن، وأمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعِيتَ أيضاً"** (١تي ٦:١٢).

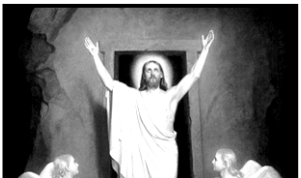

المهام الأخيرة

الأيام الأولى

سنوات ثلاث برفقة المعلم مرَّت سريعاً كأنها الحلم. كانت أياماً هانئة حافلة بخدمة تسندها الآيات (مر ١٣:٦، لو ١٧:١٠). وكلمات المعلم، وهي تشق طريق الحياة الجديدة، تنير الذهن والقلب، وحضوره يهب السلام واليقين وينتزع الخوف (**أنا هو لا تخافوا** -مت ٢٧:١٤، مر ٥٠:٦)، والروح يتكلَّم فيهم (مت ٢٠:١٠، لو ١٢:١٢). وبعض التلاميذ تمتعوا بمشاهدة السيد في بعض مجده عندما تجلَّى على جبل تابور (مت ١:١٧-٨، مر ٢:٩-٨، لو ٢٨:٩-٣٦).

حتمية الصليب

على أنه عندما بدأ الرب يشير إلى الصليب والموت والتكفير وبذل نفسه فدية عن كثيرين (مت ٢١:١٦؛ ١٨:٢٠و١٩و٢٢؛ ١٢:٢٦، مر ٣١:٨؛

١٠:٣٣و٣٤و٣٨و٤٥، لو ٩:٢٢و٤٤؛ ١٢:٥٠؛ ١٧:٢٥؛ ١٨:٣١-٣٣، يو ١٢:٣٢)، لم يرُق هذا الاتجاه للتلاميذ أو لم يتفهموه ولم يدركوا حتميته؛ فلماذا نعكِّر صفو الحياة بالآلام والموت؟! حتى أنَّ بطرس انتقد الرب وأخذ يحثه ألاَّ يقبل هذه النهاية غير المبررة. ولكن الرب انتهره على الفور: "... اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (مت ١٦:٢١-٢٣، مر ٨:٣١-٣٣)؛ مؤكِّداً له ولسائر التلاميذ أن طريق الخلاص، الذي من أجله تجسَّد، يمرُّ بموت الصليب وتتبعه القيامة.

والصليب يقترب

وكانت أحداث الصليب هي الصخرة التي تحطَّمت عليها الآمال وتفرقت بسببها الجماعة. وعندما اجتمع الرب بتلاميذه ليلة آلامه ليأكل معهم الفصح، ويعطيهم جسده المكسور ودمه النازف، ويحدثهم حديثه الأخير ويصلي من أجلهم، كان أكثرهم مثقَّلاً بالهم والحزن والخوف والتوجُّس من الغد المجهول، وواحدٌ كان يُدبِّر لتسليمه. وفي البستان، والمعلِّم يجاهد في الصلاة، تحامل ثلاثة من تلاميذه على أنفسهم لمرافقته عن بُعد، ولكنهم لم يستطيعوا مغالبة النوم من الحزن (مت ٢٦:٤٠و٤٣، مر ١٤:٣٧و٤٠، لو ٢٢:٤٦). ولما أقبل عليه الجنود في البستان برفقة التلميذ الخائن **"تركه الجميع وهربوا"** (مر ١٤:٥٠)، وتحقق قوله: **"وتتركوني وحدي"** (يو ١٦:٣٢)، ولم يبقَ حوله غير النساء ومعهم يوحنا. ومن بعيد تبعه مرقس فأمسكه الشبان من إزاره فتركه لهم وهرب عارياً (مر ١٤:٥١و٥٢). وحاول بطرس أن يتبعه فانزوى وسط خدم رئيس الكهنة ليتابع محاكمته متخفياً، ولكن حصار الجواري والعبيد أخرجه عن طوره حتى أنه بدأ يلعن ويحلف منكراً معرفته بالسيد الذي كان قد حذَّره قبل ساعات. وعند صياح الديك التفت الرب ونظر إلى بطرس فتذكَّر كلام الرب وخرج إلى خارج

وبكى بكاءً مُرًّا (مت ٢٦:٦٩-٧٥، مر ١٤:٦٦-٧٢، لو ٢٢:٥٤-٦٢، يو ١٨:٢٥-٣٧).

عند الصليب

عند الصليب ربما توقَّع البعض - أو تمنَّى - أن يصنع الرب معجزته الكبرى ويترل عن الخشبة في مشهد باهر يزلزل الذين أسلموه وحاكموه وحكموا عليه بالموت وتحدّوه أن يفعل هكذا (مت ٢٧:٤٠-٤٢، مر ١٥:٣٠-٣٢، لو ٢٣:٣٧). ولكن آمال التلاميذ تهاوت عندما رأوا السيد يستسلم ولا يُقاوم وبقي على الصليب - رغم ثورة الطبيعة - حتى أسلم الروح. وعندما أنزلوا الجسد الهامد ووضعوه في القبر ذي الحجر الكبير، بدا الأمر واقعاً مُرًّا. فالسيد قد مات وماتت معه رسالته وخدمة التلاميذ. وإذا كان السيد لم يترل من على الخشبة، فأيُّ أمل في أن يقوم من الموت حتى وإن كان قد أكَّد مراراً أنه سيقوم في اليوم الثالث.

بعد موت السيد

هكذا كان حال جماعة المسيح بعد أحداث الجمعة الأليمة. فالإيمان قد اهتزّ، والذاكرة سقطت منها الكلمات: وعود السيد، ونبوَّات الكتاب. ومع الحزن والحيرة وتبدُّد الرجاء دخل الجميع إلى عليَّة، قبعوا فيها وغلَّقوا عليهم أبوابها.

حصار الشكّ

غير أن النساء كُنَّ أكثر حيوية، فقد بَقَيْنَ بعض الوقت أمام القبر بعد الدفن، واسترحن في السبت، وفجر الأحد مضين إلى القبر ليضعن الحنوط والأطياب، وقد عاد بعضهن بأخبار تثير التفاؤل. فالحجر قد دُحرج (مت

٢:٢٨، مر ١٦:٤، لو ٢:٢٤)، والقبر خالٍ من السيد (لو ٣:٢٤)، وكانت الأكفان موضوعة بنفس ترتيبها، كما رأين ملائكة بشرنهن بالقيامة؛ بل قد التقى الرب بالفعل بالمجدلية ومريم الأخرى (مت ٩:٢٨و١٠)، وهاتان جاءتا وبشرتا التلاميذ **"فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يُصدقوهن"** (لو ١١:٢٤)، وركض بطرس ويوحنا إلى القبر الفارغ: **"فمضى بطرس متعجباً في نفسه مما كان"** (لو ١٢:٢٤)، أما **يوحنا فقد "رأى وآمن"** (يو ٨:٢٠). وفي الطريق إلى عمواس ظهر الرب لتلميذَيْن، **ووبخ بطء إيمانهما بنبوَّات الكتاب** (لو ٢٥:٢٤)، ولما ذهبا وأخبرا الباقين بما جرى **لم يُصدِّقوا** (مر ١٢:١٦و١٣).

ورغم أن السيد مضى بعد ساعات من قيامته إلى تلاميذه، حسب وعده للمجدلية ومريم الأخرى، ودخل عليهم والأبواب مُغلَّقة؛ فقد **حسبوه روحاً** (لو ٣٧:٢٤)، ولكنه أكَّد لهم حقيقة قيامته من الموت. ولم يكن توما حاضراً هذا اللقاء، وعندما ذكر له التلاميذ أن الرب قام حقًّا، **لم يصدِّق**. وجاء الرب في الأحد التالي وسمح لتوما أن يلمس آثار المسامير وطعنة الحربة الغائرة، فهتف خاشعاً نادماً: **"ربي وإلهي"** (يو ٢٨:٢٠)، ولكن الرب لم يرحب بهذا الإيمان المعتمد على العيان قائلاً: "لأنك رأيتني يا توما آمنتَ! **طوبى للذين آمنوا ولم يَرَوْا**" (يو ٢٩:٢٠).

العودة إلى البداية

رغم كل شيء، فالحياة صارت غير الحياة، والإيمان لم يسترد عافيته، وظهورات الرب الأولى المتباعدة لم تكشف لهم عن خطة العمل للمستقبل، ومجال الخدمة لم يَعُدْ كما كان؛ فالعداء صار سافراً، ولا شكّ أنهم يفتقدون حضور المعلم الدائم كما كان معهم خلال خدمتهم. كما تضاعفت هيبته ولم يعودوا يستطيعون أن يقتربوا منه ويسائلونه بحرية كما تعودوا من قبل، حتى إنهم عند بحيرة طبرية لم يجسر

أحدهم أن يسأله: "مَنْ أنت" (يو ١٢:٢١). من هنا وجدت فكرة العودة إلى العمل قبولاً عند أكثرهم، والصيادون عادوا إلى سفنهم التي كانوا يستعملونها في انتقالاتهم أثناء الخدمة: **"قال لهم سمعان بطرس: أنا أذهب لأتصيَّد. قالوا له: نذهب نحن أيضاً معك"** (يو ٣:٢١).

عاد التلاميذ، إذاً، إلى نقطة البداية.

تصحيح المسار

هذا ما آل إليه حال جماعة الرب: التلاميذ والرسل، الخميرة التي ستُخمِّر العجين كله، والبذرة التي ستوضع في الأرض لكي تأتي بالثمر الكثير؛ لكن عين الرب كانت عليهم. فمن أجلهم – الذين يحملون البشارة المُفرحة إلى كل الأرض – ومن أجل كنيسة العهد الجديد – نحن – كانت هذه الأربعون يوماً التي بَقِيَ فيها الرب بعد قيامته، وحتى صعوده المجيد إلى السماء.

فماذا كانت مهام الرب الأخيرة بالتحديد:

(١) تأكيد القيامة

لأن القيامة هي حجر الزاوية في الإيمان المسيحي، فبها يتمجَّد الصليب ويستكمل جوهر الخلاص، وهي موضوع الكرازة القادمة، والتي تكشف عن لاهوت وقوة المسيح المنتصر على الموت، وتضمن عمل الصليب في الفداء والمصالحة (كو ٢٠:١)، وهي محور شهادة التلاميذ (أع ٢٢:١، ١يو ١:١و٢)، كما أنها ضمان القيامة الأخيرة للمؤمنين (١كو ١٥:١٦–٢٠، ١بط ١:٣–٥)؛ مِن هنا كانت أولى مهام الرب إثبات وتأكيد قيامته بالجسد الذي أخذه من القديسة العذراء مريم، وإتاحته الفرصة بظهوره لتلاميذه ولمن حولهم لكي يكونوا حقًّا شهود قيامته (١كو ١٥:٥–٧). وها هو يُصرِّح أمامهم: **"انظروا يديَّ ورجليَّ، إني أنا هو"** كما أنه **"أخذ وأكل قدَّامهم"**و ٢٤:٣٩و٤٣). فهو لم يكن، إذاً، روحاً أو

خيالاً؛ وإنما جسدٌ حقيقي عَبَرَ عليه الموت ولم يَطْوِه، بل هو داسه وأبطل سطوته إلى الأبد.

وهكذا توالى ظهور الرب للمريمات (مت ٢٨:٩و١٠، مر ١٦:٩، يو ٢٠:١٤-١٧)، ولبطرس (لو ٢٤:٣٤، ١كو ١٥:٥)، ولتلميذَي عمواس (مر ١٦:١٢، لو ٢٤:١٣-٣٥)، وللتلاميذ مجتمعين يوم القيامة والأحد التالي (لو ٢٤:٣٦-٤٣، يو ٢٠:١٩-٢٩)، وللسبعة على بحيرة طبرية (يو ٢١)، ثم لخمسمائة أخ دفعة واحدة، وبعد ذلك ليعقوب ثم للرسل أجمعين (وقت الصعود) (١كو ١٥:٦و٧). وربما لم يسجِّل البشيرون **كل** لقاءات الرب خلال الأربعين يوماً، والقديس يوحنا في ختام إنجيله يُنوِّه أنَّ "**آيات أُخَر كثيرة صنع يسوع قدَّام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب**" (يو ٢٠:٣٠)، وأنَّ "**أشياء أُخَر كثيرة صنعها يسوع، إنْ كُتبت واحدة واحدة، فلستُ أظن أن العالم نفسه يَسَع الكتب المكتوبة**" (يو ٢١:٢٥).

(٢) تجديد الإيمان ومنح السلام

كانت المحنة أقوى من مستوى إيمان التلاميذ، فانهار تحتها. ولما توالت الأخبار الأولى للقيامة لم يكن صداها غير الشك والحيرة. وحتى لما دخل إليهم الرب في عُقر دارهم، ظنوه روحاً. لذلك كان من مهام الرب، إذاً، جَبر هذا الإيمان المتصدِّع وإعادة بنائه وتثبيته وتعميقه، كي يصير يقيناً قادراً على الصمود أمام العواصف العاتية القادمة، وليكون الرسل القدوة لكل الكنيسة في حَمْل الصليب والسير وراء المخلِّص.

وبينما كان حضور الرب بهيئته الإنسانية الظاهرة "جسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لو ٢٤:٣٩)، ولقاؤه المتكرر بتلاميذه، تشديداً عملياً لإيمانهم بالقيامة؛ إلاَّ أنه جعل يُذكِّرهم بما قاله لهم من قبل، وبما جاء في الكتب فاتحاً ذهنهم ليفهموا المكتوب عنه، ليصير الإيمان

مُدعماً بكلمة الله: "**وقال لهم: هذا هو الكلام الذي كلَّمتكم به وأنا بعد معكم، أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب. وقال لهم: هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث**" (لو ٢٤:٤٤-٤٦). وفي هذا المجال، ربما أشار الرب إلى هذه النبوات والأحداث: "**نسل المرأة يسحق رأس الحية**" (تك ٣:١٥)، "**ها العذراء تحبل وتلد ابناً...**" (إش ٧:١٤)، تقديم إسحق ذبيحة (تك ٢٢)، الفصح وذبائح العهد القديم، الحية النحاسية (عد ٢١:٩)، مزمور ٢٢ الذي يبدأ: "**إلهي إلهي لماذا تركتني... ثقبوا يديَّ ورجليَّ... يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون**" (مز ٢٢:١و١٦و١٨)، "**في عطشي يسقونني خلاً**" (مز ٦٩:٢١)، "**في يدك أستودع روحي**" (مز ٣١:٥)، الأصحاح ٥٣ من سفر إشعياء وضمنه: "**وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا... ظُلم أما هو فتذلَّل ولم يفتح فاه... وأُحْصِيَ مع أَثَمَة**" (إش ٥٣:٥و٧و١٢)، ونبوات دانيال (دا ٢:٣٤و٣٥)، وعاموس (عا ٩:١١)، وغيرها وغيرها.

ومع إنهاض الإيمان، كان أيضاً نزْع الخوف والحزن اللذين سادا جماعة الرب: "فجزعوا وخافوا... فقال لهم (الرب): ما بالكم **مُضطربين**" (لو ٢٤:٣٧و٣٨)، "فخرجن (النسوة) سريعاً وهربن من القبر، لأن **الرِّعدة والحَيْرة أخذتاهُنَّ**. ولم يَقُلنَ لأحد شيئاً **لأنهُنَّ كُنَّ خائفات**" (مر ١٦:٨)، "فذهبت هذه (المجدلية) وأخبرت الذين كانوا معه وهم **ينوحون ويبكون**" (مر ١٦:١٠). ومن هنا كانت هذه الهبة العظمى التي أفاضها الرب عليهم كلما التقى بهم: "**سلامٌ لكما... لا تخافا**" (مت ٢٨:٩و١٠)، "وقف يسوع في وسطهم وقال لهم: **سلامٌ لكم**" (لو ٢٤:٣٦)، "**فقال لهم يسوع أيضاً:**

سلامٌ لكم" (يو ٢٠:٢١). فلما نالوا السلام، انقشع الخوف، وصارت الكرازة بكل مجاهرة.

(٣) التعليم عن الملكوت

في بداية إرسالية التلاميذ، قال الرب: "أحمدك أيها الآب ربُّ السماء والأرض، لأنك أخفيتَ **هذه** عن الحكماء والفهماء وأعلنتها **للأطفال"** (مت ١١:٢٥، لو ١٠:٢١). وعندما سأل التلاميذ الربَّ، بعد أن ذكر للجموع مَثَل الزارع، لماذا يتكلَّم بالأمثال، قال لهم: "لأنه قد **أُعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات،** وأما أولئك فلم يُعْطَ. **فإنَّ مَنْ له سيُعطى ويُزاد،** وأما مَنْ ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه... ولكن **طوبى لعيونكم لأنها تُبصر، ولآذانكم لأنها تسمع. فإني الحق أقول لكم: إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتَهَوْا أن يَرَوْا ما أنتم ترون ولم يَرَوْا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا"** (مت ١٣:١١و١٢و١٦و١٧، لو ١٠:٢٣و٢٤).

وقد واصل الرب بعد قيامته دور المعلم في إنارة معرفة تلاميذه بملكوت السموات وأسرار الحياة الأبدية واستعلان الخلاص الأخير. كما أشار إلى ذلك معلِّمنا القديس لوقا في بداية سفر الأعمال: "الذين **أراهم نفسه حيًّا ببراهين كثيرة،** بعد ما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يوماً، **ويتكلَّم عن الأمور المختصة بملكوت الله"** (أع ١:٣)، وما ذكره القديس بطرس في مستهل رسالته الأولى: **"مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حيّ، بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظٌ في السموات لأجلكم، أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان، لخلاصٍ مُستَعَدٍّ أن يُعلَن في الزمان الأخير"** (١بط ١:٣-٥)، وما كتبه معلِّمنا القديس يوحنا أيضاً في صدر رسالته الأولى: **"الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا،**

الذي شاهدناه ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة. فإنَّ الحياة أُظْهِرَتْ، وقد رأينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به" (١يو ١:١-٣).

فبعد الإيمان والسلام، كانت إنارة الذهن بالملكوت والحياة الأبدية، وأسرار لم يُكشف عنها لأحدٍ من قبل. ومن أجلها طوَّب الرب عيون وآذان تلاميذه البسطاء بما انفتح أمامهم من معرفة لم تُتَحْ حتى للأنبياء الكبار. وكان الجو السائد بعد قيامة الرب مناسباً تماماً للحديث عن أسرار الملكوت.

(٤) الكرازة بالخلاص للعالم، والوعد بالروح القدس

تختتم ثلاثة أناجيل بشارتها بأمر الرب للتلاميذ للانطلاق بالكرازة للخليقة كلها: "فتقدم يسوع وكلَّمهم قائلاً: دُفِع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، **فاذهبوا وتَلْمِذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به"** (مت ٢٨:١٨-٢٠)، **"اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. مَنْ آمن واعتمد خَلَصَ، ومَنْ لم يؤمن يُدَنْ"** (مر ١٦:١٥و١٦)، **"وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم**، مُبتدأً من أورشليم. **وأنتم شهودٌ لذلك"** (لو ٢٤:٤٧و٤٨).

فها هو الرب يُعيد تلاميذه إلى طريق الخدمة، ويُذكِّرهم بأن إرساليتهم لم تنتهِ؛ بل هي ستبدأ في حقيقتها بعد الصليب والموت والقيامة. كما يَعِد الرب تلاميذه بقوة من الأعالي أي حلول الروح القدس عليهم، ومعموديتهم: **"وها أنا أرسل إليكم موعد أبي**. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تُلْبَسوا **قوة من الأعالي"** (لو ٢٤:٤٩)، "وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم، بل **ينتظروا موعد الآب** الذي سمعتموه مني... أما أنتم **فستتعمَّدون**

بالروح القدس... لكنكم **ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهودًا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض**" (أع ١:٤و٥و٨).

فالرب سيُفارقهم بالجسد، ولكن ما أشار إليه ليلة آلامه من إرسال المعزِّي (يو ١٤:١٦و١٧؛ ١٥:٢٦؛ ١٦:٧-١٥)؛ يؤكِّده لهم الآن قبل ارتفاعه ليكون القوة الموجِّهة والمؤازرة للكرازة، والواهبة للإيمان، والمُعزية ساعة الشدَّة والآلام الآتية.

(٥) مَنْح البركة، والحضور الدائم

رئيس الكهنة العظيم، وهو يختم وجوده بالجسد على الأرض صاعداً إلى مجده، يمنح كنيسته البركة التي لا يُستقصَى غناها: "**ورفع يديه وباركهم**. وفيما هو **يُباركهم**، انفرد عنهم وأُصْعِدَ إلى السماء" (لو ٢٤:٥٠و٥١). وكما فعل سابقاً مع الأطفال الذين "**احتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم**" (مت ١٩:١٥، مر ١٠:١٦)؛ فعل هكذا مع "**الأطفال**" الجُدُد، تلاميذه البسطاء (مت ١١:٢٥، لو ١٠:٢١). وفوق هذا فهو يَعِدهم - كما يَعِد الكنيسة كلها - بمساندته ووقوفه معهم إلى النهاية: "**وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**" (مت ٢٨:٢٠)، فصارت كلماته هذه أنشودة عذبة تتغنى بها السماء، ووعداً أبدياً لكل مؤمن.

(٦) إعادة الاعتبار إلى بطرس أمام الكنيسة

كان لبطرس منزلته عند الرب، فهو أول مَنْ قَبِلَ الدعوة، وهو المتقدِّم بين التلاميذ، والمِقدام الذي يُعلن إيمانه بـ "**المسيح ابن الله الحي**" (مت ١٦:١٦، مر ٨:٢٩، لو ٩:٢٠)، حتى امتدحه الرب وأشار إلى دوره في تأسيس الكنيسة (مت ١٦:١٧-١٩). وهو أحد الثلاثة القريبين إلى الرب، فكان مع يعقوب

ويوحنا عند التجلِّي (مت ١:١٧، مر ٢:٩، لو ٢٨:٩)، وفي البستان (مت ٣٧:٢٦، مر ٣٣:١٤). وقد صاحَب الحوارات الكثيرة مع الرب، وظل يتبع الرب في ساعاته الأخيرة قبل الصليب، وقطع أُذن عبد رئيس الكهنة (مت ٥١:٢٦، مر ٤٧:١٤، لو ٥٠:٢٢، يو ١٠:١٨). ولكن كبوته التي كسرت قلبه، هي إنكاره السيد أمام خدم رئيس الكهنة رغم تحذير الرب له. وظلت هذه السقطة ـ التي أبكته بمرارة ـ تؤلمه وتشوِّه مسيرته الطويلة الأمينة مع الرب.

ولكن محبة الرب له ظلت دائمة، ومكانته عنده لم تتغير؛ بل لقد أفرد له الرب اهتماماً خاصاً، رغم انتهاره له في أحيانٍ قليلة. فقبل أن يُحذِّره من إنكاره له (لو ٣٤:٢٢)، أبقى له اعتباره وتقدُّمه بين التلاميذ، قائلاً له ليلة آلامه: "سمعان سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكي يُغربلكم كالحنطة! **ولكني طلبتُ من أجلك لكي لا يَفْنَى إيمانك. وأنت متى رجعتَ ثبِّتْ إخوتك**" (لو ٣١:٢٢و٣٢).

وقد حرص الرب بعد قيامته أن يُظْهِر لبطرس محبته، فها هو الملاك يبلِّغ بطرس رسالة خاصة عن طريق المجدلية والمريمات: "لكن اذهبن وقُلْن لتلاميذه **ولبطرس** إنه يسبقكم إلى الجليل. هناك تَرَوْنه" (مر ٧:١٦)، كما ظهر الرب لبطرس يوم القيامة (لو ٣٤:٢٤، ١كو ٥:١٥) قبل أن يلتقي بالتلاميذ. ثم كان هذا اللقاء الخاص مع التلاميذ السبعة على بحيرة طبرية، وبطرس وزملاؤه يعودون إلى الصيد، ومن جديد يُظْهِر لهم الرب سلطانه ويكرر معجزة الصيد الأولى التي جعلتهم يتبعونه ليصيروا صيادي الناس، وهذه المرة لكي يبشِّروا العالم كله؛ ثم يجعلها الرب فرصة لحديثٍ مع بطرس لمس فيه قلبه بقوة

وهو يدعوه دعوة ثلاثية لرعاية خرافه، ليمحو من قلبه الشعور بذنب إنكاره المثلث السابق، ويكرمه في نهايته بأن يقبل شهادته (مصلوباً) من أجله في نهاية المطاف، مما شجَّع بطرس أن يتساءل عن مصير زميله يوحنا، ولكن الرب – بكل رقة – يدعوه ألاَّ ينشغل إلاَّ بشيء واحد: **"أن يتبعه"** (يو ٢١:١٥-٢٢).

❋ ❋ ❋

وقد أتمَّ الرب مهامه الأخيرة كلها بنجاح: تبدد الشكّ والحيرة والخوف والحزن والنواح من حياة جماعة الرب، ووهبتهم قيامة الرب الساطعة قوة للشهادة وللكرازة بالخلاص، وسلوكاً بالإيمان لا بالعيان، وقلباً مُفعماً بالسلام والفرح، ويقيناً بعدم مفارقة الرب لهم رغم صعوده أمام أعينهم، يسندهم وعده بأن يكون معهم كل الأيام. وفي انتظار الوعد بالقوة العلوية، كان الجميع معاً يواظبون على الصلاة والطلبة والتسبيح استعدادًا للإرسالية العُظمى، وانطلاقاً لتبشير العالم بالخلاص الثمين (لو ٢٤:٥٠-٥٣، أع ١:١٢-١٤).

الصعود الإلهي بين عمل المسيح وحياة المؤمنين

بعد أحداث الصليب الدامية، يوم الجمعة، وما رافقها من تخلى معظم التلاميذ عن سيدهم، وإنكار أحدهم له، وتطوع واحد منهم لتسليمه لأعدائه مقابل ثلاثين من الفضة! ومن ثم انطواء التلاميذ على أحزانهم بعد موت المعلم ولجوئهم إلى عُليّة أحكموا غلق أبوابها تحت وطأة الخوف، جاءت قيامة السيد فجر الأحد لتبدد ظلمات الخوف واليأس والحزن ولتغمر التلاميذ بفيض من الفرح والسلام والقوة.

وخلال أربعين يوماً تالية كان الرب يظهر لتلاميذه ويحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع ١:٣) ويمنحهم السلام والمجاهرة محل الخوف والانطواء، ويعدّهم للكرازة بالخلاص الذى تم واختار الرب أن يكون لقاؤه الأخير مع تلاميذه على جبل الزيتون الذى طالما اجتمع مع تلاميذه عنده، وقال لهم كلماته الأخيرة بألا يبرحوا أورشليم انتظاراً لموعد الآب (يو ١٤:١٦، ٢٦، ١٥:٢٦) عندما يتوشحوا بقوة الروح القدس ويخرجوا للشهادة للمسيح

بدءاً من أورشليم وإلى أقصى الأرض (أع ١:٤-٨).. ثم أخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا.. ورفع يديه وباركهم.. ثم انفرد عنهم.. وفى هدوء ومجد ارتفع الرب وأخذته سحابة عن أعينهم (أع ١:٩).

ورغم أن الرب قد فارق تلاميذه بالجسد، ألا أن غيابه عنهم لم يرافقه إحساس بالفراق أو الحرمان. فخدمة الأيام الأربعين أعادت بناء إيمانهم المهتز ليتجاوز الواقع وحدود العيان، وليصدقوا على وعد السيد منتظرين بكل اليقين القوة من الأعالى. ومن هنا كان تعلق عيونهم بالسماء (أع ١:١١) ورجوعهم إلى أورشليم بفرح عظيم (لو ٢٤:٥٢) كأن ما يتوقعونه قد تم بالفعل.

والكنيسة إذ تحتفل **بالصعود** كواحد من الأعياد السيدية الكبرى، لتدرك أهمية هذا الحدث الكبير فى مسيرة الخلاص الذى بدأ عملياً بالتجسد الالهى والميلاد المتواضع ومن ثم تتابعت حلقاته بالآلام والصليب والموت والقيامة والصعود وحلول الروح القدس والمجئ الثانى لإعلان الخلاص الأخير وتمجيد المؤمنين (فى ٣:٢٠-٢١، عب ٩:٢٧، ٢٨، ١بط ١:٥).

وها نحن هنا نعرض لدور **الصعود** فى مسيرة الخلاص. من ناحية بالنسبة **لعمل المسيح**، ومن ناحية فى **حياة المؤمنين**.

الصعود فى حياة المسيح

(١) قد أكمل: ["**العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته**" (يو ١٧:٤)]

إن صعود المسيح إلى السماء يعلن عملياً تمام العمل الذى بدأه الرب على الأرض، مشيراً إلى ذلك وهو على الصليب قبل أن يسلم الروح (يو ١٩:٣٠).

فهو من أجل خلاص الإنسان قد جاء وقبِل عار الصليب وذاق ألم الموت لأجل كل واحد (عب ٢:٩)، ومحا الصك الذى علينا وسمّره بالصليب مصالحاً الإنسان مع الله (كو ٢:١٤، أف ٢:١٣-١٩)، وأباد الذى له سلطان الموت - أى إبليس - وأعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا كل حياتهم تحت العبودية (عب ٢:١٤)، فلم يعودوا بعد غرباء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله (أف ٢:١٩). ولما أكمل كل شئ ارتفع إلى السماء.

(٢) مملكتى ليست من هذا العالم: ["أنا لست من هذا العالم" (يو ١٧:١٤، ١٦)].

المسيح نزل إلى عالمنا من أجل خلاصنا. وإلى الأرض، التى طرد إليها آدم يوماً، جاء وعاش مثله بالعرق والدموع، وافتقر لكى نستغنى، وجاع وعطش لكى نشبع ونرتوى، وتعرى لكى نكتسى بالبر.. وبالتعب والآلام حصل لنا على الراحة.

ولكنه ليس من هذا العالم (يو ٨:٢٣)، ولا هو من أرض التعب هذه، والدموع ليست من نصيبه فهو لم يخطئ قط (عب ٤:١٥)، ولم يأت ليصنع مُلكاً على الأرض (يو ٦:١٥)؛ وفى حواره الشهير مع بيلاطس أعلن **أن مملكته ليست من هذا العالم** (يو ١٨:٣٦).

نعم.. هو ملك (بل ملك الملوك -رؤ ١٩:١٦) ولكنه لا يملك **من هنا، ولكن من فوق.** وكما نزل من فوق صعد إلى فوق (يو ٣:١٣، أف ٤:٩، ١٠) حيث العرش السمائى، يملك على القلوب التى آمنت به وتمتعت بخلاصه، والتى ليس لها مثله هنا مدينة باقية لكن تنتظر العتيدة (عب ١٣:١٤).

(٣) **فى المجد:** ["**مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم**" (يو ١٧: ٥)].

المسيح عاد إلى مجده.

عندما تجسد الرب أخلى نفسه من المجد الذى كان له مع أبيه بلا بداية وأخذ صورة عبد (فى ٢: ٧). وبعد الآلام والموت قام وصعد إلى السماء ودخل مجده بجسده – الحامل آثار الجراحات – والذى أخذه من مريم العذراء. **فتمجد الناسوت بمجد اللاهوت**، وصار فى عرش الله فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة (أف ١: ١٥-٢١).

وهكذا كان ينبغى أن الذى "**احتمل الصليب مستهيناً بالخزى**" أن يتمجد جداً. والذى رأيناه "**مهاناً مضروباً كأنما قطع من أرض الأحياء**" **عاد ليجلس فى يمين العظمة فى الأعالى** (مر ١٦: ١٩، عب ١: ٣) لكى تكتمل الحقيقة، ونرى المجد فى كل حياة المسيح الجسدية: فى الإخلاء والطاعة، فى الفقر والحاجة، فى قبول الألم والعار، فى الصليب والموت. فيتواجه اتضاع التنازل مع رفعة الصعود، وعار الصليب بقوة القيامة، وظلمة الموت بنور الحياة الجديدة "**إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه.. إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه**" (٢تى ٢: ١١، ١٢)؛ "مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ **القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة**.. وكل خليقة.. سمعتها قائلة للجالس على العرش وللخروف **البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين** (رؤ ٥: ٩-١٤).

(٤) رأس الكنيسة: ["وهو رأس الجسد الكنيسة" (كو ١:١٨)]

شدة قوة الله تتبدى فيما عمله فى المسيح "إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات .. وأخضع كل شيء تحت قدميه .. وإياه جعل **رأساً فوق كل شيء للكنيسة التى هى جسده الذى يملأ الكل فى الكل**" (أف ١:٢٠-٢٣).

يسوع المسيح الذى صعد إلى السماء هو رأس الكنيسة التى تضم المؤمنين به فى كل زمان ومكان المتحدين فيه بالروح القدس والمتآزرين معاً فى الرأس الواحد والجسد الواحد .. ومن رأس الكنيسة تنحدر على المؤمنين - جسد المسيح - كل بركة روحية وكل قوة فى السماء من الذى دُفع إليه كل سلطان "إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا" (أف٤:٨). **وكانت أولى ثمار صعود المسيح إنسكاب الروح القدس على الكنيسة يوم الخمسين وحلوله الدائم فيها إلى إنقضاء الدهر:** "لكنى أقول لكم الحق أنه **خير لكم أن أنطلق** لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى **ولكن إن ذهبت أرسله إليكم** "(يو١٦:٧، ٨). وبالروح ينضم كل يوم إلى الكنيسة الذى يخلصون، وفيه يثبتون، وبه يبكّتون ويتعزون، وفيه ينالون المواهب، وبه يشهدون للحق ويحتملون الضيقات ويمسكون بالحياة الأبدية. المسيح لم يصر رأساً للكنيسة اغتصاباً أو اختطافاً ولكن بعد أن دفع الثمن دمه وحياته **"الذى أحبنا وقد غسلنا من خطاياه بدمه "**(رؤ١:٥).

(٥) وسيط وشفيع :["**وسيط العهد الجديد يسوع**" (عب ١٢:٢٤)، "**لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فديةً لأجل الجميع**" (١تى٢:٥، ٦)] .

المسيح يقف فى السماء فى يمين عرش الآب، وفى يديه وقدميه آثار المسامير وفى جنبه طعنة الحربة وفى جبهته جروح الشوك، **وسيطاً بين الله والناس**، وفى جسده يحمل أوراق اعتماده لهذه الوساطة التى اجتاز من أجلها رعب الصليب

وهول الموت "**خروف قائم كأنه مذبوح** "(رؤ ٥:٦).

نعم .. هو الوسيط الواحد الوحيد، لأن من مثله كان باراً وارتضى أن يبذل نفسه فدية عن كثيرين، مصالحاً إياهم مع الآب الذى أعلن "**إنى أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم فيما بعد** "(عب٨:١٢).

علاقتنا مع الآب هى بالإبن "ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى "(يو١٤:٦) والله لا يعاملنا إلا فى شخص إبنه المتحد بنا، أو كما يقول أحد القديسين [إن الله عندما ينظر إلى العالم لا يرى فيه، بنوع ما، غير ابنه والناس فيه كافة، وليس فى قلبه تعالى سوى يسوع المسيح أو مَن هو مِن يسوع المسيح].

يسوع المسيح **وسيط لعهد جديد** أعظم وأفضل ورئيس كهنة عظيم إلى الأبد على رتبة ملكى صادق، دخل مرة واحدة إلى الأقداس بذبيحة نفسه فوجد فداء ابدياً وصار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى.

ولأن كهنوته لا يزول فمن ثم يقدر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم .. ولأنه مجرَّب فى كل شىء – رجل أوجاع ومختبر حزن – لذا يقدر أن يرثى لضعفاتنا ويعين المجرَّبين (عب ٢:١٨، ٤:١٤، ١٥، ٥:٦، ٩، ١٠، ٦:٢، ٧:٧، ٢٤، ٢٥، ٩:١٢، ١٢:٢٤).

هناك رجاء أبدى، لكل خاطىء يتوب، فى غفران خطاياه. لأن شفيعنا الأبدى هو رئيس الكهنة العظيم الذى قدم نفسه ذبيحة حب فصنع فداءً ابدياً "يا أولادى

أكتب إليكم هذا لكى تخطئوا. **وإن أخطأ احد فلنا شفيع عن الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً"** (١يو٢:١، ٢).

الصعود في حياة المؤمنين

(١) لنا فوق مكان: [**"أنا امضى لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم إلى حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً"**(١٤:٢-٣)].

عندما يقول لنا المسيح أنه مضى ليعد لنا مكاناً فإن نظرتنا إلى الحياة كلها تتغير عند هذه الحقيقة. فهنا ليس مكاننا الدائم ولكنه فوق، وحياتنا هنا هى عربون حياتنا عنده، وبالإيمان نسلك لا بالعيان، وبه نتجاوز الزمان والمكان وآلام وأمال الزمان الحاضر، وبه ننظر إلى ما لا يُرى، وما لا يفنى ولا يتغير.

المسيح صعد إلى السماء، وتلاميذه بعد صعوده ظلوا يشخصون إلى السماء (أع ١:١٠)، وعندما عادوا لم يكونوا آسفين لغياب حبيبهم وصعوده عنهم ولكن يقول عنهم الكتاب إنهم **"سجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم"** (لو٢٤:٥٢).

المسيح ينادى مؤمنيه **"أنتم لستم من العالم"** (يو١٥:١٨) **ويدعوهم أحباء لا عبيداً** (يو ١٥:١٥). والكتاب يقول عنهم إنهم **شركاء الطبيعة الالهية** (٢بط١:٤)، **شركاء فى النعمة** (فى١:٧)، **بنى الملكوت، أولاد الله، قديسين، روحيين، هياكل الله، أعضاء فى جسد المسيح، أعضاء المسيح للقداسة، ورثة الملكوت، أهل بيت الله، "فإن كنتم فمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث جالس عن يمين الله. إهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم قدمتم مستترة مع المسيح فى الله"** (كو٣:١-٣).

لنا فوق مكان،، بذل المسيح دمه لكى **ينقلنا إليه**، وصعد إلى السماء لكى

يعده لنا.. وسيأتى لكى **يأخذنا إليه** .. **فلنسهر إذاً ونصح** ولا نغفل لئلا ياتى العريس فيجدنا نياماً. ولنثبت وجوهنا نحو مكاننا السماوى مهما كانت الاغراءات لتحويل عيوننا نحو العالم "الذى يمضى وشهوته". والكتاب يحذرنا "**تمسّك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك**" (رؤ٢:١٢).

(٢) **معنا كل الأيام** ["**وها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر** " (مت ٢٨:٢٠)]

هذه هى كلماته الأخيرة قبل أن يرتفع.

إنه يصعد أمامنا ويغيب عن عيوننا ولكنه يقول أنه معنا، ويجب أن نمسك بهذا الوعد الصادق ولا نرخيه.

معنا فى كل الظروف: فى الشدة والفرح، فى الصحة والمرض، فى النجاح والفشل. معنا مع الأحباء وأمام الأعداء، معنا فى الوطن والغربة.

هو معنا. نقشنا على كفه (إش١٦:٤٩) **فكيف ينسانا.**

هو أحبنا محبة أبدية لذا ادام لنا الرحمة ووعد أن يكون معنا كل الأيام.

وعندما يكون معنا يقاسمنا الآلام فتخف حدتها. ويشاركنا الأفراح فيتضاعف شعورنا بها هو معنا، بروحه القدوس، الماكث فينا، الشاهد له، المرشد إلى جميع الحق، المذكّر بكل ما قاله لنا.

هو معنا، فى كلمة الإنجيل، نور الحياة " **من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية**" (يو٥:٢٤).

هو معنا ، فى سر الافخارستيا .. "**من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة ابدية وأنا اقمته فى اليوم الأخير**" (يو ٦:٥٤)

هو معنا: **الباب، والطريق، والحق، والحياة.**

(٣) **وسيأتى** ["إن يسوع هذا الذى إرتفع إلى السماء سيأتى هكذا كما

رأيتموه منطلقاً إلى السماء" (١ع ١:١١)].

لم تكن المرة الأولى التى جاء فيها ذكر هذا الأمر.

قبل التجلى صرح يسوع لتلاميذه عن آلامه وموته وقيامته وإن "**إبن الإنسان سوف يأتى فى مجد ابيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله** " (مت ١٦:٧). وفى يوم الثلاثاء من أسبوع آلامه تنبأ يسوع عن مجيئه الأخير "**وتبصرون إبن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير**" (مت ٢٤:٣٠). وفى حديثه الوداعى بعد الفصح أعلن لتلاميذه أنه بعد أن يمضى ليعد لهم مكاناً سيأتى أيضاً ليأخذهم إليه (يو١٤:٣).. وها هى السماء تؤكد من جديد فور إرتفاعه بعد قيامته إنه "**سيأتى هكذا** " (أع ١:١١).

وفى الرسائل نجد إشارات عديدة لمجيء الرب العظيم: **ظهور** مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح (تى ٢:١١-١٣)؛ "وكما وضُع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين **سيظهر ثانية** بلا خطية **للخلاص** للذين ينتظرونه" (عب٩:٢٧-٢٨)؛ "متى **أُظهر** المسيح حياتنا فيحنئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه فى المجد" (كو٣:٤)

ولزمان طويل كان هتاف الكنيسة الأولى "**ماران آثا**" أى الرب قريب. وعندما وضعت الكنيسة قانون الإيمان ضمنته هذه الحقيقة "**وسيأتى** فى مجده ليدين الأحياء والأموات".

نعم .. **سيأتى الرب ليكمل خلاص قديسيه** (١بط١:٥)، **وليملك** (إش ٢٤:٢٣، رؤ ١١:١٥) ، **ويدين** (٢تى٤:١، يه١٥، رؤ٢٠:١١-١٣)، **ويتمجد فى قديسيه** (٢تس١:١٠).

أما الساهرون فإنهم يحيون على هذا الرجاء المبارك (تى٢:١٣)، بل هم منتظرون وطالبون سرعة مجيء يوم الرب (٢بط٣:١٢) الذى سيمسح كل دمعة من عيونهم، ويعطيهم أن يكونوا **مثله** (فى٣:١٢، ١يو٣:٢) ويملكوا معه

(٢تى٢:١٢، رؤ٥:١٠، ٢٠:٩، ٢٢:٥) وينالوا إكليل البر (٢تى ٤:٨، ١بط٥:٤).

وعلى هذا الرجاء يتحملون كل ضيقة وألم واضطهاد وضعف ولقاء الموت من أجل يوم يلتقون فيه مع العريس ويظهرون معه فى المجد (كو٣:٤)، وفى حياتهم يخلعون أعمال الظلمة ويلبسون أسلحة النور، ولا يصنعون تدابير للشهوات (رو١٣:١١-١٤)، حتى لا يفاجئهم الموت بغتة كالمخاض للحلى، ولا يضعف رجاءهم غفلةُ الكثيرين من حولهم وإنهماكهم فى ملذات الحياة دون أن يلقوا بالاً لليوم الذي سوف يباغتون به.

فلنفتح أبواب قلوبنا لسكنى الرب، فإتيانه إلينا الآن هو عربون إجتماعنا به يوم مجيئه الثانى.

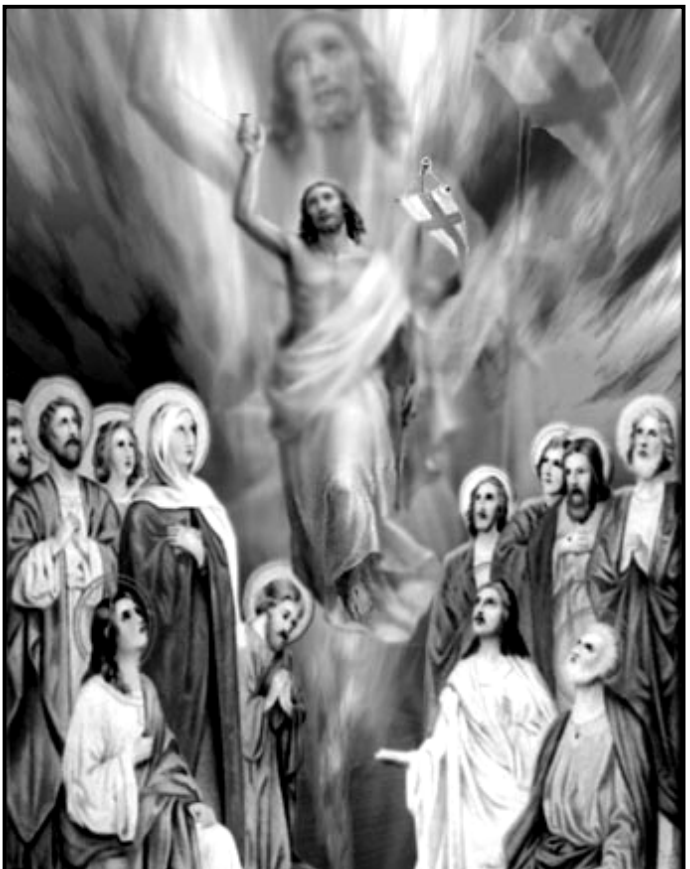

ما بعد القيامة والصعود

+ يسوع المسيح الشفيع الكامل

يسوع المسيح الشفيع الكامل

في صميم إيماننا المسيحي **أن قيامة الرب تُتمِّم عمل صليبه وتتكامل معه، وأن الفداء يتحقَّق بالصليب والموت والقيامة معاً**. ففي اليوم الثالث للصَّلْب (والموت) تأتي القيامة لكي تنقش صورتها على أيقونة الفداء التي تحمل على وجهها الآخر صورة الصليب.

والقيامة تعكس نصرتها وبهاءها على **الصليب**، فيتحرَّر من اللعنة والعار والضعف والهوان والهزيمة والعقوبة ليصير مجداً وفخراً وإعلاناً لقوة الله التي قهرت إبليس وأركان حربه، وجرَّدت الرياسات والسلاطين وأشهرتهم جهاراً وظفرت بهم فيه (كو ٢:١٥).

كما أن نور **القيامة** يسطع على ظلمة **القبر** فيجعله ينبوعاً للحياة الجديدة. فمن عتمة القبر خرج "**نور العالم**" غالباً ليُضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت (لو ١:٧٩)، وانسحبت منه رائحة الموت ليصير القبر المقدس موضعاً للنور تخدمه الملائكة وقِبْلة يقصدها المؤمنون على مدى الأجيال.

والموت عدو البشر أبطلت **القيامة** عزَّته وجعلت موت المسيح مختلفاً عن كل موت. فهو الموت الذي أنبأ عنه الرب وحدَّد مدَّته مُسْبقاً (مت ١٢:٤٠؛ ١٧:٢٣؛ ٢٠:١٩، مر ٨:٣١؛ ١٠:٣٤، لو ٩:٢٢؛ ١٨:٣٣، يو ٢:١٩)، وهو الموت الذي أسلم الرب له ذاته بإرادته وسلطانه وحده (يو ١٠:١٨)، فبه داس الموت وأبطله (٢تي ١:١٠)، وأباد مَن له سلطان الموت أي إبليس (عب ٢:١٤)، وعَتَقَ "الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب ٢:١٥).

وكما سطعت **القيامة** على الصليب والموت فتمجَّدا بمجد القائم المنتصر، هكذا اجتاحت قوة القيامة ونصرتها وفرحها **جماعة التلاميذ** الذين سحقتهم آلام الصليب وموت السيِّد ودفنه في القبر؛ فنهضت النفوس الكسيرة وارتفعت الهامات، وامتلأت القلوب بالسلام والفرح، وانقشع الحزن والهمّ، وجفَّت ينابيع الدموع.

وتتابعت لقاءات الرب بتلاميذه يؤكِّد خلالها على قيامته لتكون محور شهادتهم وحجر الزاوية في كرازتهم، ويُجدِّد إيمانهم، ويفتح ذهنهم بما جاء عنه في الكتب (لو ٢٤:٤٤-٤٦)، ويتكلَّم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع ١:٣)، ويرسلهم للبشارة بالخلاص للخليقة كلها (مت ٢٨:١٨-٢٠، مر ١٦:١٥و١٦)، ويَعِدهم **بإرسال الروح** ليؤازرهم في خدمتهم بالقوة والتعزية وتهيئة القلوب للخلاص (لو ٢٤:٤٩، أع ١:٤و٥و٨).

وقد **صعد الرب** أمام تلاميذه بعد أربعين يوماً من قيامته وجلس عن يمين أبيه، وأتم وعده بإرسال الروح بعد عشرة أيام من صعوده، وانطلق تلاميذه يبشِّرون العالم بالخلاص.

ربما ظن البعض أنه بالقيامة قد انتهى عمل الرب الخلاصي، خاصة أن الأناجيل الأربعة تختم بشارتها بالقيامة وما حولها (ويضيف إنجيلا القدِّيسَيْن مرقس ولوقا إشارة إلى صعود الرب التي يفتتح بها القديس لوقا سفر الأعمال)، ولكن رسائل القديسين بولس وبطرس ويوحنا تُظهِر أن القيامة – التي أكملت الفداء – هي فقط تختم فصلاً من فصول الخلاص.

إن **الخلاص** – بمعناه الشامل – ممتدٌّ في الأبدية ويستدعي مجيء الرب الثاني عند القيامة الأخيرة: "هكذا المسيح أيضاً، بعدما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، **سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه**" (عب ٩:٢٨)، "فإن سيرتنا نحن هي في السموات، **التي منها ننتظر مُخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده**" (في ٣:٢٠و٢١)، "**أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاصٍ مُستَعَدٍّ أن يُعلن في الزمان الأخير**" (١بط ١:٥). ويستتبع ذلك، إذاً، أن عمل الرب الخلاصي ممتدٌّ إلى آخر الزمان.

إن "**راحة" الرب** التي حقَّقتها القيامة بالخليقة الجديدة في المسيح يسوع، لا تعني "سكون" الرب وكفّه عن العمل. فلا يمكن لله إلاَّ أن يعمل: "**أبي يعمل... وأنا أعمل**" (يو ٥:١٧). والكتاب يُلهمنا أن الرب الحيّ هو "**الذي يعطي الجميع حياةً ونفساً وكل شيء...**" (أع ١٧:٢٥)، وأننا به "**نحيا ونتحرَّك ونوجد**" (أع ١٧:٢٨)، كما **أن أحداً لا يقدر أن يأتي إلى الآب إلاَّ بالابن** (يو ١٤:٦)، وأن كل المواهب الروحية "**يعملها الروح**" (١كو ١٢:١١). وهذا يعني أن تتميم خلاصنا يكفله عمل الآب والابن والروح القدس.

ومن ناحية أخرى، فإن جلوس الرب على عرشه **بجسده** الذي أخذه من العذراء مريم يؤكِّد على استمرار انتمائه للبشر الذين أجلسهم معه في

السماويات – حسب تعبير معلِّمنا القديس بولس (أف ٢:٦) – فرئيس الكنيسة ورأسها (أف ١:٢٢؛ ٤:١٥، كو ١:١٨) سيظل دوماً مع أعضاء جسده – أي الكنيسة (أف ١:٢٣) – ونائباً عنهم (**الإنسان** يسوع المسيح – ١تي ٢:٥)، ومُصالِحاً دائماً لهم مع الآب بذبيحة نفسه التي صنع بها فداءً أبدياً (عب ٩:١٢) إلى أن يدخلوا مجده في مجيئه الثاني كما عاد هو إلى مجده بعد الصليب.

ويُلخِّص القديسان بولس ويوحنا في رسائلهما عمل الابن الخلاصي منذ صعوده وإرساله الروح القدس في دوره **كوسيط** Mediator **وشفيع** Advocate بين الله الآب والبشر كما تعرضه الآيات المختارة التالية:

"لأنه يوجد إلهٌ واحد ووسيطٌ واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح" (١تي ٢:٥)؛

"وسيط عهد أفضل" (عب ٧:٢٢؛ ٨:٦)؛

"وسيط عهد جديد" (عب ٩:١٥)؛

"بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحيّ، أورشليم السماوية... وإلى الله ديَّان الجميع... وإلى **وسيط العهد الجديد يسوع...**" (عب ١٢:٢٢-٢٤)؛

"يا أولادي، أكتب إليكم هذا لكي لا تُخطئوا، وإن أخطأ أحدٌ فلنا **شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البار**. وهو كفَّارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً" (١يو ٢:١و٢).

وبالطبع فإن هذا كان عمل الابن منذ تجسُّده وحتى صعوده، وسيطاً وشفيعاً عن البشر ونائباً عنهم، إذ صار كفَّارة لخطاياهم، وكما يذكر سفر إشعياء إنه

"سَكَبَ للموت نفسه... **وهو حَمَلَ خطية كثيرين، وشفع في المذنبين**" (إش ٥٣:١٢).

أما وساطته منذ صعوده إلى السماء فهي، من ناحية، استمرار لعمله كمصالِح لنا مع الله الآب فيرانا في شخص ابنه ويقبل فيه طلباتنا وتوسُّلاتنا؛ ومن ناحية أخرى، تكفُل ذبيحته الكاملة، التي استبقى آثارها في جسده الذي دخل به إلى السموات، غفران خطايانا التي نتوب عنها إذ قد دفع الثمن مُسْبقاً بدمه الكريم (١بط ١:١٩)، وصنع به لنا فداءً أبدياً (عب ٩:١٢).

وسيطٌ فريد

لا وجه للمقارنة بين وساطة المسيح الكفَّارية الفريدة وهؤلاء الذين وقفوا كوسطاء في العهد القديم يتوسَّلون من أجل الخطاة مثل: **إبراهيم** الذي توسَّط من أجل سدوم وعمورة (تك ١٩)، **وموسى** من أجل بني إسرائيل (خر ٣٢:١١-١٣و٣١و٣٢؛ ١٧:٤؛ ١٥:٢٥؛ عد ١٢:١٣-١٧؛٢١:٧)، أو شفاعة **الملائكة** أو **قديسي الكنيسة** وصلواتهم من أجل المؤمنين. فهذه كلها وساطة التوسُّل Intercession التي يقف فيها الشفيع يسأل من أجل إخوته كواحد منهم: "فخررتُ أمام رجليه لأسجد له، فقال لي: انظر! لا تفعل! **أنا عبدٌ معك ومع إخوتك** الذين عندهم شهادة يسوع. اسجد لله. فإن **شهادة يسوع هي روح النبوَّة**" (رؤ ١٩:١٠) .

نعم، إن وساطة المسيح الفريدة تجعله **الوسيط الفريد والشفيع الكامل الذي ليس مثله شفيع، والذي ليس بأحد غيره الخلاص** (أع ٤:١٢)، وهذه هي الأسباب:

(**١**) لأنه ابن الله الوحيد والمساوي للآب في الجوهر، فهو كفء للشفاعة الكفَّارية أمام الله الآب.

(**٢**) لأنه اتحد بنا، مشارِكاً لنا في اللحم والدم (عب ٢:١٤)، وصار إنساناً كسائر مَن يتوسَّط عنهم، فهو – إذاً – كفء في ذات الوقت للنيابة عن البشر وتقديم الكفَّارة Propitiation عن خطاياهم.

(**٣**) لأنه مولود بالروح القدس من عذراء فلم يرث الخطية. ومن هنا فهو يختلف عن كل البشر الذين يتوسَّط عنهم في أنه بريء من الخطية: "... **ليكون باراً ويُبرِّر مَن هو مِن الإيمان**" (رو ٣:٢٦)، "**قدوسٌ بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة**" (عب ٧:٢٦)، "**يسوع المسيح البار**" (١يو ٢:١)، ومِن ثمَّ يقدر أن يحمل **خطاياهم** في جسده (١بط ٢:٢٤)، "أُسلم من أجل **خطايانا**" (رو ٤:٢٥).

(**٤**) لأنه تمَّم فداءً كاملاً وأجرى صُلحاً وصنع سلاماً وقَبِـلَ الآب ذبيحة ابنه وارتضاها فأقامه من بين الأموات: "**وأجلسه عن يمينه في السماويَّات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم... وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده**" (أف ١:٢٠-٢٣)، "**لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل رُكبة مِمَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب**" (في ٢:٩-١١).

(**٥**) لأن ذبيحته فريدة كاملة لا تتكرر ودمها يطهِّر من كل خطية وإلى التمام (١يو ١:٧)، "وليس بدم تيوس وعجول، بل **بدم نفسه**، دخل **مرة**

واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً" (عب ٩:١٢).

(٦) ولأنه "مجرَّب في كل شيء مثلنا" - ولكن بلا خطية – "رجل أوجاع ومختبر الحزن" (إش ٥٣:٣)، لذا يقدر أن "يرثي لضعفاتنا" و"يعين المجرَّبين" (عب ٢:١٨).

(٧) ولأنه يقدر أن يشفع فينا إلى التمام **"إذ هو حيٌّ في كل حين"** (عب ٧:٢٥)، أي في الحاضر والمستقبل وإلى يوم الدينونة عندما يأتي **ليدين** الأحياء والأموات (مت ٢٥:٣١-٤٦). وهو قد صار الديَّان لأنه قد سبق وقدَّم نفسه على الصليب مُخلِّصاً لكل العالم وشفيعاً حتى اليوم الأخير: "**مَن هو الذي يدين**؟ المسيح هو الذي **مات**، بل بالحري **قام** أيضاً، الذي هو أيضاً **عن يمين الله**، الذي أيضاً **يشفع فينا**" (رو ٨:٣٤).

بين شفاعة الابن وشفاعة القديسين

هكذا فكما أن الرب هو الابن الوحيد، والمخلِّص الوحيد، والديَّان الوحيد؛ فهو يظل **الوسيط الوحيد والأبدي بين الله والناس** بالمعنى الذي عرضناه.

فالمعنى المباشر والخاص للشفيع ينصرف رأساً إلى شخص الرب يسوع المسيح **الشفيع الكامل الوحيد**.

أما المعنى غير المباشر والعام فيتَّجه إلى الملائكة والآباء والأنبياء والقديسين وأعضاء الكنيسة في السماء وعلى الأرض الذين تستمد شفاعتهم التوسلية وجودها وجدواها من شفاعة المسيح الكفَّارية الفريدة التي هي الأساس والأصل.

وفي حضور رأس الكنيسة، **الشفيع الكامل**، صار لأعضاء الكنيسة (الذين

كملوا في الإيمان – كما يُذكَر في صلاة مجمع القديسين في القداس الباسيلي) في السماء وعلى الأرض، أن يُساندوا جهاد المؤمنين، وأن يُرسَلوا لتقديم المعونة والمشورة أو عمل المعجزة، وأن يطلبوا مراحم الله لغفران خطايا التائبين إخوتهم المتوسِّلين إليهم، وأن يصلُّوا من أجل خلاص العالم الذي كفله دم الابن الوحيد يسوع المسيح شفيعنا الكامل والفريد.

فإذا كان المسيح قد دُعِيَ **"ملك الملوك ورب الأرباب"** (١تي ٦:١٥، رؤ ١٧:١٤؛ ١٩:١٦)، فهو أيضاً بنفس القياس **شفيع الشفعاء**.

* * *

وبعد ...

فإن إلهنا المصلوب الذي انتصر على الموت قد قام وصعد إلى السموات وجلس في يمين عرش الله، وسيطاً وشفيعاً – لا مثيل له – لمن أحبهم ومات من أجلهم. وهو يبقى حيًّا إلى أبد الآبدين ليغفر لنا خطايانا ويسند جهادنا ويُتمم خلاصنا ويحفظنا مقدَّسين حتى يوم مجيئه لنتمجَّد في ملكوته الأبدي.

"لذلك يجب أن نتنبَّه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته" (عب ٢:١)، وندرك حقنا في شفاعة الرب الذي أحبنا محبة أبدية فأدام لنا الرحمة (إر ٣١:٣)، **"فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه"** (عب ٤:١٦).

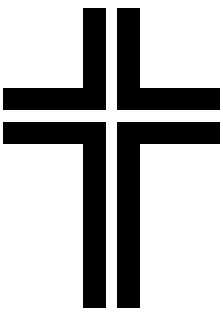

"المسيح كلي القدرة" (ص ١٧٠)

٦

شمـس البـــر

+ المسيح نور العالم

+ المسيح كلي الوجود

+ المسيح كلي المعرفة

+ المسيح كلي القدرة

المسيح نور العالم

عندما رأى الرب – وهو مجتاز – إنساناً أعمى منذ ولادته، وسأله تلاميذه عن سبب ولادته أعمى: أهي خطيته أم خطية والديه؟ أجاب الرب: إنها ليست السبب، وإنما "**لتظهر أعمال الله فيه**" (يو٩:٣)، **ولكي يُظهِر الرب مجده**، مُقدِّماً نفسه أنه "**نور العالم**" (يو ٩:٥)، فبَدَت المفارقة ساطعة بين الظلام الذي يسبح فيه الأعمى منذ ولادته، والنور الذي سينتقل إليه بواسطة "**نور العالم**".

الله مصدر النور

+ إذا رجعنا إلى البدايات الأولى للخليقة كما جاءت في الأصحاح الأول من سفر التكوين، نعرف أن الله هو **خالق النور**، وهو الذي فصله عن الظلمة:

"وقال الله: ليكن **نور** فكان **نور**... وفصل الله بين **النور والظلمة**... ودعا الله **النور نهاراً**، **والظلمة** دعاها **ليلاً**" (تك ١: ٣و٤).

+ ولكن الكتاب يكشف لنا أن الله هو **النور الحقيقي**، وكما أنه **الحياة**

المطلقة وأصل الحياة التي وهبها للخليقة وتـــاجها الإنسان: «ونفخ في أنفه **نسمة حياة**، فصار آدم **نفساً حيـــة**» (تـــك ٢: ٧)، فهو أيضاً **مصدر النور** وواهبه، وهو منفصل عن الظلمة (التي هي في حقيقتها غياب النور):

"**الله نور وليس فيه ظلمة البتة**" (١يو ١: ٥)؛

"... **ساكناً في نور لا يُدنى منه**" (١تي ٦: ١٦)؛

"**بنورك نرى نوراً**" (مز ٣٦: ٩)؛

"**الرب نوري وخلاصي**" (مز ٢٧: ١)؛

"**اللابس النور كثوب**" (مز ١٠٤: ٢).

وإنه هو الذي يُنير الأبدية حيث لا توجد ظلمة، كما يذكر الوحي في سفر الرؤيا عن المتمتعين بقيامة الحياة:

"وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم. **ولا يكون ليل هناك**، ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأن **الرب الإله يُنير عليهم**" (رؤ ٢٢: ٤و٥).

عن النور والظلمة

وفي الكتاب اتسع معنى النور والظلمة:

+ فصار "**النور**" (**والنهار**) رمزاً واضحاً إلى الله وبرِّه، وإلى الحياة النشطة مع الله:

"جميعكم **أبناء نور وأبناء نهار**... أما نحـــن **الـــذين مـــن نهـــار** فلْنَـــصْحُ" (١تس ٥: ٥و٨)؛

"فيه كانت الحياة، **والحياة كانت نور الناس**" (يو ١: ٤)؛

"نلبس أسلحة **النور**" (رو ١٣: ١٢)؛

كما يرمز أيضاً إلى مجيء الرب: "تقارَب **النهار**" (رو ١٣: ١٢).

+ وصارت "**الظلمة**" (**والليل**) رمزاً للخطية وعالم الشر والحياة في الإثم أو الحياة الحاضرة البعيدة عن الله:

"والنور يُضيء في **الظلمة، والظلمة** لم تُدركه" (يو ١: ٥)؛

"لا تشتركوا في **أعمال الظلمة** غير المثمرة بل بالحري وبِّخوها" (أف ٥: ١١).

+ ويرتبط بالظلمة **النوم** الذي يرمز إلى الغفلة أو الفتور أو النسيان، وبالمقابل فإن الاستيقاظ رمز للنهوض من حياة الخطية والعودة إلى الله:

"هذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة **لنستيقظ من النوم**. فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد **تناهى الليل وتقارَب النهار**، فلنخلع أعمال **الظلمة** ونلبس أسلحة **النور**" (رو ١٣: ١١و١٢).

كما قد يعني "الليل" **الموت ونهاية الحياة**: "يأتي **ليل** حين لا يستطيع أحد أن يعمل" (يو ٩: ٤).

+ ولم يَعُد "الأعمى" ذلك الذي لا يرى النور فحسب، وإنما هو رمز لحياة الخاطئ بعيداً عن الله تائهاً متخبِّطاً في ظلام الخطية، لاهياً عن مصيره الأبدي.

والرب أدان ملاك كنيسة اللاودكيين لفتوره واكتفائه واستعلائه وجهله بما صار إليه قائلاً له: "ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير **وأعمى** وعريان"، وأشار عليه كي تنفتح عيناه الداخليتان أنْ: "**كحِّل عينيك بكحل لكي تبصر**" (رؤ ٣: ١٧و١٨). فالتوبة والحياة في النور هي الكفيلة بمنح

البصيرة الروحية التي تحفظ الإنسان في طريق الحياة.

المسيح النور الحقيقي

في قانون الإيمان نعترف أن المسيح ابن الله الوحيد هو "**النور الحقيقي**"، وأنه "**نور من نور**"، "إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ".

وعندما تجسَّد الابن استتر لاهوته وراء ناسوته كي يستطيع أن يتعامل معه الإنسان. ويختلط الرب بالجموع – وهو الله – كواحد منهم جاء لخلاصهم، وبالتالي فقد أخفى نوره الطبيعي، وقدَّم **وجه النور الآخر، وهو بره الكامل الذي يكتسح ظلمة الخطية والموت، ويهب مؤمنيه الخلاص والحياة في النور**:

"شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين في **النور**، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته" (كو ١: ١٢و١٣).

"الذي دعاكم من الظلمة إلى **نوره العجيب**" (١بط ٢: ٩)؛

"**نور أشرق في الظلمة**" (مز ١١٢: ٤)؛

"**نور إعلان للأمم**" (لو ٢: ٣٢) (من كلمات سمعان الشيخ وهو يحمل يسوع الطفل)؛

"الشعب الجالس في ظلمة، **أبصر نوراً عظيماً**" (إش ٩: ٢، مت ٤: ١٦)؛

"**والنور يُضيء في الظلمة، والظلمة لم تُدركه**" (يو ١: ٥).

وعندما بدأ القديس يوحنا إنجيله، كتب أن المعمدان جاء "ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور بل ليشهد **للنور**. كان **النور الحقيقي** الذي يُنير كل إنسان **آتياً إلى العالم**" (يو ١: ٧-٩).

+ والرب لم يُخْفِ أنه **النور الحقيقي**، فقال عن نفسه:

"أنا هو **نور العالم**. مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون لـه **نـور الحيـاة**" (يو ٨: ١٢)؛

"ما دمتُ في العالم، **فأنا نور العالم**" (يو ٩: ٥)؛

"أنا قد جئتُ **نوراً للعالم** حتى كل مَـن يـؤمن بي **لا يمكـث في الظلمـة**" (يو ١٢: ٤٦).

+ وعن دينونة الذين يرفضونه، قال الرب:

"وهذه هي الدينونة: **إن النور قد جاء إلى العالم**، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو ٣: ١٩).

+ على أن الرب كي يؤكِّد لاهوته وأنه **مصدر النور**، سمـح في مواقـف قليلة لنوره أن يتبدَّى للعالم في مجد لا يُخْفَى:

(**١**) فساعة عماده في الأردن من يوحنا "**انفتحت السماء** (**السموات انشقت**)، ونزل عليه **الروح القدس** بهيئة جسمية مثل حمامة، وكان صوت من السماء قائلاً: **أنت ابني الحبيب، بك** (**الذي به**) **سُررتُ**" (مت ٣: ١٦و١٧، مر ١: ١٠و١١، لو ٣: ٢١و٢٢). فهنا استعلان غير مسبوق للبشرية عن طبيعة الله، وها هو **الآب** يُمجِّد ابنه علناً ويسمع الجميع صوته، **والروح القدس** يتراءى كحمامة نازلة على **الابن**. وفي شهادته كتب يوحنا: "**ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً**" (يو ١: ١٤).

(**٢**) وكان المشهد الثاني يوم **التجلِّي** حين تغيَّرت هيئة الرب قدَّام تلاميذه: "**وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور**" (مت ١٧: ٢) ("**تلمع بيضاء جداً كالثلج**، لا يقدر قصَّار على الأرض أن يُبيِّض مثل ذلك"

- مر ٩: ٣)، ومرة أخرى يتردَّد صوت الآب ممجِّداً ابنه: "**هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ**. له اسمعوا" (مت ١٧: ٥، مر ٩: ٧، لو ٩: ٣٥).

(**٣**) وكان المشهد الثالث في لقائه المزلزل في طريق دمشق لشاول الطرسوسي الذي يقول فيه سفر الأعمال: "فبغتةً **أبرق حوله نورٌ من السماء**... وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول، لماذا تضطهدني" (أع ٩: ٣و٤). وفي قصة بولس عن هذا الحدث الذي غيَّر حياته، يقول للملك أغريباس: "رأيتُ في نصف النهار في الطريق أيها الملك **نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس أبرق حولي وحول الذاهبين معي**" (أع ٢٦: ١٣).

المسيحي نور العالم

كما ينعكس نور الشمس على كواكبها، فإن المسيحي المؤمن ينعكس عليه نور المسيح فيصير هو أيضاً نوراً للعالم، وها هو الرب يُخاطبنا قائلاً: "**أنتم نور العالم**... **فليُضئ نوركم** هكذا قدَّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات" (مت ٥: ١٤و١٦)، "**ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور**" (يو ١٢: ٣٦).

وتُجسِّد الأيقونات هذه الحقيقة، فترسم هالات النور حول رؤوس القديسين. كما أن الرب وصف يوحنا المعمدان بأنه: "كان هو **السراج الموقد المنير**، وأنتم أردتم أن تبتهجوا **بنوره** ساعة" (يو ٥: ٣٥). وفي شرحه لمَثَل زوان الحقل، أعلن الرب عن تمجيد قديسيه في اليوم الأخير قائلاً: "حينئذ يُضيء الأبرار **كالشمس** في ملكوت أبيهم" (مت ١٣: ٤٣). والقديس يوحنا في رسالته الأولى، مؤكِّداً هذه الحقيقة، يكتب بالروح عمَّا سيصير إليه المؤمنون: "نعلم أنه إذا أُظهِر **نكون مثله**، لأننا سنراه كما هو" (١يو ٣: ٢).

وفي أعماق الزمن يذكر العهد القديم عن **موسى** لما نزل من سيناء، بعد لقائه بالرب، ومعه لوحا الشريعة، أن **جلد وجهه صار يلمع حتى أنه جعل على وجهه برقعاً** (خر ٣٤: ٢٩-٣٥).

+ **ومعمودية العهد الجديد هي سرُّ إنارة المؤمن**، ومن هنا فهي تُسمَّى **سرَّ الاستنارة** التي ينعم بها الروح على الإنسان الذي يصير هيكلاً له (١كو ٣: ١٦؛ ٦: ١٩).

+ **وتصير التوبة تجديداً لفعل المعمودية** واهبة النور بالروح. فهي انتقال وعودة من جديد من الظلمة إلى النور:

"كنتم قبلاً ظلمة، أما الآن فنور في الرب" (أف ٥: ٨)؛

"لتفتح عيونهم **كي يرجعوا من ظلمات إلى نور**، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدَّسين" (أع ٢٦: ١٨).

+ كما أن **كلمة الله** هي واسطة لا يُستغنى عنها للحياة في النور:

"سراجٌ لرجلي كلامك، ونورٌ لسبيلي" (مز ١١٩: ١٠٥)؛

"الوصية مصباح والشريعة نور" (أم ٦: ٢٣)؛

"وصية الرب مُضيئة تنير العينين عن بُعْد" (مز ١٩: ٨ - الترجمة السبعينية).

ولعلاقة الكلمة بالنور يقف الشمامسة عند قراءة الإنجيل حوله حاملين الشموع إشارة إلى نور كلمة الله.

+ وفي شركة **الصلاة** نحن نلتقي مع مصدر النور، وبقدر صدق الصلاة وعمقها وحبها وانسحاقها، بقدر النور الذي يغمر الحياة ويُطهِّر القلب من أركانه المظلمة.

+ ولأن **شركة الجسد والدم** هي اتحاد بالمخلِّص وثبوت فيه، فهي للنفس

المؤمنة التائبة التحام حقيقي برئيس الحياة يهب غفراناً للخطايا، أي إزالة بقع الظلام من ثوب النور، واتصالاً حاضراً بالنور الأبدي.

+ ويبقى أن **الكنيسة** هي أيضاً نبع للنور، فهي بيت الصلاة والأسرار والتعليم والتعزية، وسُمِّي برجها بالمنارة، فهي للمؤمنين كالفنار للسفن وسط أمواج البحر.

النور أو الظلمة

+ التزام المسيحي أن يكون نوراً للعالم، ينثر حوله السلام والفرح، ويدين بسلوكه النقي أعمال الظلمة والانحراف من حوله، ويُبشِّر الهائمين في ظلمة الخطية بالنور الحقيقي؛ يقتضي أن يعيش حياته كلها في النور وحتى الساعة الأخيرة.

+ وطبيعة النور أنه لا يجتمع مع الظلمة، فتُستبعد أية شركة بينهما. **فالحياة المسيحية – كالله – هي نور وليس فيها ظلمة البتة** (١يو ١: ٥). والمتدينون الشكليون الذين يُمارسون حياة مزدوجة هم في الحقيقة يُنكرون الإيمان، ولن يتمتعوا بشركة الحياة الأبدية إلاَّ إذا توقفوا عن ريائهم وتجدَّدت قلوبهم بتوبة حقيقية شاملة تصحح مسار الحياة:

"لا يقدر أحد أن يخدم سيدين" (مت ٦: ٢٤)؛

"لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه **أية خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة، وأي اتفاق للمسيح مع بليعال، وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن، وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان"** (٢كو ٦: ١٤-١٦).

+ والحياة في النور تتضمن **طهارة الحواس**، فهي الأبواب والنوافذ التي إذا ضُبطت حراستها لن تجد الظلمة لها سبيلاً إلى القلب:

"سراج الجسد هو العين. فمتى كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نيِّراً. ومتى كانت شريرة فجسدك (كله) يكون مظلماً. انظر لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة" (مت ٦: ٢٢و٢٣، لو ١١: ٣٤و٣٥).

+ والحياة في النور تستدعي السهر والانتباه والتدقيق والاستعداد الدائم للقاء الرب:

"وأما أنتم أيها الإخوة **فلستم في ظلمة** حتى يُدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم **أبناء نور وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا ظلمة**. فلا نَنَمْ إذاً كالباقين، بل **لنسهر ونَصْحُ... وأما نحن الذين من نهار فلْنَصْحُ لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص**" (١تس ٥: ٤-٦و٨).

وعلى العكس، فأبناء الظلمة يتستَّرون بالظلام، ولا يعرفون السهر والاستعداد؛ بل هم نائمون خاملون، أو هاربون من واقعهم إلى الخمور والمخدرات، أو غارقون في الشهوات. وهم يضيقون بأبناء النور، لأن نورهم يُبكِّتهم، فهم دوماً موضع سخطهم وانتقادهم بل واضطهادهم.

❄ ❄ ❄

كانت البداية أن الرب وهب البصر للأعمى وأعطاه أن ينظر النور الذي في العالم، وكانت الخطوة التالية أن يدعوه إلى "**النور الحقيقي**" الذي ينقل من ظلمة الخطية إلى الحياة الجديدة. فلما آمن وسجد له، انفتحت عيناه الداخليتان على النور الأبدي، وصار هو بالتالي نوراً للسائرين في الظلمة وظلال الموت.

ودعوة الرب لنا للخروج من الظلمة إلى نوره العجيب، لم تكن مجرد كلمات، لكنها كلَّفته دمه وحياته كلها التي بذلها على صليب الجلجثة، فعبرنا بموته وقيامته من موت الخطية إلى الحياة الجديدة وملكوته الأبدي.

هناك سبيل وحيد للحياة في النور، دون أن يُدركنا الظلام، هو أن نلتصق

بالنور الحقيقي، و"**مَن له الابن فله الحياة**" (١يو ٥: ١٢).

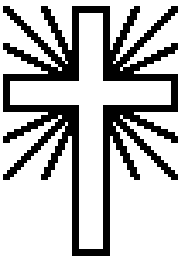

المسيح كلي الوجود

لأن المسيح هو الله الابن الذي ظهر في الجسد؛ فهو بلاهوته **كلي الوجود وكلي القدرة وكلي المعرفة.**

والمقصود بتعبير "**كلي الوجود**" Omnipresent أن المسيح، ابن الله المتجسِّد الذي عاش على أرضنا ثُلث قرن، **موجود في كل مكان؛** ومن جهة الزمن، **فإن وجوده يمتد من الأزل وإلى الأبد.** وها هي كلمة الله الهادية تكشف لنا هذه الحقيقة عن الله الابن.

عن وجود المسيح في كل مكان

لقد عاش الرب وسط البشر إنساناً مثلهم بلا خطية (عب ٤: ١٥)، وذاق الموت من أجل كل واحد (عب ٢: ٩)، ولكنه مع هذا أتاح لهم، بما كشفه من سلطانه المتعدد الوجوه وأقواله الكثيرة، أن يلمسوا جوانب من لاهوته

ومجده، أدركها الذين انفتحت عيونهم الروحية بينما عميت عنها القلوب التي غطَّتها ظلمة الخطية ومحبة مجد العالم والناس. وعندما يقول الرب لتلاميذه ولكل الكنيسة معهم: **"حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم"** (مت ١٨: ٢٠)، فهذا إعلان عن حضور المسيح الإلهي في كل مكان وفي كل زمان إلى آخر الأيام.

عن أزلية المسيح

+ في حوار الرب مع الكتبة والفريسيين واليهود في الهيكل، قال لهم عن نفسه: "أنتم من أسفل، أما **أنا فمن فوق**. أنتم من هذا العالم، **أما أنا فلست من هذا العالم**". فلما تحيَّروا سألوه: "مَن أنت؟ فقال لهم يسوع: **أنا من البدء** ما أُكلِّمكم أيضاً به" (يو ٨: ٢٣-٢٥).

+ ولما واصل الرب كلماته مُبيِّناً أن **مَن يؤمن به ويحفظ كلامه، فلن يرى الموت إلى الأبد**؛ لم يَرُق لليهود قوله هذا وعارضوه مستندين إلى أن إبراهيم والأنبياء كلهم قد ماتوا، فمَن يكون هو؟! هل هو أعظم من إبراهيم أبيهم؟ وكانت إجابة الرب التي كشفت عن وجوده الممتد قبل تجسُّده وقبل إبراهيم: **"الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن"** (يو ٨: ٥١-٥٣ و٥٨).

+ وعندما كان الرب يشير إلى وحدته مع الآب، فهو ضمناً يعني وحدته معه في أزليته وأبديته وحضوره الدائم في كل مكان: **"أنا والآب واحد... أنا في الآب والآب فيَّ... كل ما هو للآب هو لي"** (يو ١٠: ٣٠؛ ١٤: ١٠و١١؛ ١٦: ١٥).

+ وفي حديث الرب إلى نيقوديموس عن الولادة الجديدة من فوق، قدَّم نفسه كصانع الخلاص الآتي من السماء، الذي ينجو كل مَن يؤمن به من الهلاك وينال الحياة الأبدية: **"ليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء"** (يو ٣: ١٣). فهو هنا يشير إلى السماء كرسيه الدائم كابن الله، ومن هنا فهو نزل من السماء وتجسَّد، وسوف يصعد من جديد إلى مجده. ولكن الآية تشير أيضاً إلى **وجوده في كل مكان**. فهو بالجسد على الأرض، ولكنه أيضاً في السماء: **"ابن الإنسان الذي هو (الآن) في السماء"**. فتجسُّد الابن لم يحدَّ وجوده في أي مكان ولا حضوره الإلهي في السماء.

+ وفي صلاة الرب الأخيرة إلى الآب ليلة آلامه، يؤكِّد أيضاً بكلمات صريحة على حقيقة أزليته: "مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك **بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم**... مجدي الذي أعطيتني، **لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم**" (يو ١٧: ٥و٢٤).

+ كما أن المسيح وهو من نسل داود حسب الجسد يشير في سفر الرؤيا إلى أنه **أصل وذرية داود** معاً (رؤ ٥:٥؛ ٢٢: ١٦)، أي أنه الذي أَوجَدَ داود. فهو، من ناحية، ابنه بالجسد؛ ومن ناحية أخرى، هو إلهه وأصله.

+ وفي مقدمة إنجيل القديس يوحنا، يشير الوحي الإلهي إلى هذه الحقيقة

عن أزلية ابن الله الظاهر في الجسد: "**في البدء كان الكلمة**، والكلمة كان عند الله، **وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله... كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان**" (يو ١: ١-٤). وهذا ما سجَّله أيضاً القديس يوحنا في أول أعداد رسالته الأولى عن المسيح: "الذي كان **من البدء**" (١يو ١: ١).

+ وفي رسائل القديس بولس إشارات كثيرة عن أزلية المسيح وأنه سابق على كل الوجود وأن به وله وفيه خُلِق الكل: "الذي هو **صورة الله غير المنظور، بِكْر كل خليقة. فإنه فيه خُلِق الكل** ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواءٌ كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. **الكل به وله قد خُلِق**. الذي هو **قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل**" (كو ١: ١٥-١٧).

+ كما يشير القديس بولس إلى أن اختيارنا للتبنِّي لله قد تمَّ في المسيح يسوع وبه **قبل تأسيس العالم**: "كما اختارنا فيه **قبل تأسيس العالم**، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، **إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه**، حسب مسرَّة مشيئته" (أف ١: ٤و٥).

+ كما شهد يوحنا المعمدان، وهو يُعلن عن مجيء المخلِّص، عن أن الرب وإن كان قد وُلِدَ بالجسد بعده، ولكنه في الحقيقة قديم الأيام، فيقول: "هذا هو الذي قلتُ عنه: إن الذي يأتي بعدي **صار قدَّامي، لأنه**

كـــان قبـــلي" (يو ١: ١٥و٢٧و٣٠).

عن أزلية المسيح وأبديته

في رؤيا القديس يوحنا، سجَّل لنا الوحي الإلهي كلمات الرب الصريحة عن أزليته وأبديته، تأتينا من موقعه الممجَّد بعد صعوده وجلوسه عن يمين العظمة في الأعالي (أع ٧: ٥٦، عب ١: ٣):

"**أنا هو الأول والآخِر، والحي، وكنتُ ميتاً، وها أنا حي إلى أبـــد الآبدين**" (رؤ ١: ١٧و١٨)؛

"**أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية... يقول الرب، الكائن والذي كان والذي يأتي**" (رؤ ١: ٨؛ ٤: ٨؛ ٢١: ٦)؛

"**أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخِر**" (رؤ ١: ١١؛ ٢٢: ١٣).

كما أن الرب في وداعه لتلاميذه قبل صعوده وعدهم، كإله حي إلى أبد الآبدين، بأن يكون معهم بلا نهاية: "**وها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر**" (مت ٢٨: ٢٠). وهذه الآية تشير أيضاً إلى **حضور المسيح في كل مكان**. فهو في السماء عن يمين الآب، وهو مع تلاميذه وخدَّامه **إلى آخر الأيام في كل مكان** يمضون إليه للكرازة باسمه. فهو **مع الجميع** في كل **مكان** وإلى **آخر الزمان** .

وكاتب "**الرسالة إلى العبرانيين**" يُسجِّل عن يسوع المسيح أنه "**هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" (عب ١٣: ٨). كما يشير القديس بولس إلى أبدية الرب على أنه "**مَلِك الدهور الذي لا يَفْنَى ولا يُرى، الإله**

الحكيم وحده" (١تي ١: ١٧).

وقد شهد **العهد القديم** عن أزلية الرب وأبديته، وهذه هي نبوءة **ميخا النبي** عن أزلية الرب، إذ يُخاطب المدينة التي وُلد فيها المسيح: "أما أنتِ **يا بيت لحم** أفراتة، وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف **يهوذا**، فمنكِ يخرج لي الذي يكون **مُتسلِّطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل"** (ميخا ٥: ٢).

كما أن **إشعياء** في نبوءته عن ميلاد الابن يشير إلى لاهوته ورئاسته وقدرته وأبديته ودوام ملكوته: "لأنه يُولد لنا ولد، ونُعطَى ابناً، وتكون الرياسة على كَتِفِه، ويُدعى اسمه: عجيباً مشيراً، **إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام**. لنموِّ رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته ليُثبِّتها ويَعْضُدَها بالحق والبر **من الآن إلى الأبد"** (إش ٩: ٦و٧).

وهذه هي نبوءة **دانيال** في رؤياه عن أبدية ابن الإنسان: "كنتُ أرى في رؤى الليل، وإذا مع سُحُب السماء، مثل **ابن إنسان**، أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرَّبوه قدَّامه. **فأُعطِيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض"** (دا ٧: ١٣و١٤).

المسيح هو الله كلِّي الوجود في كل مكان وفي كل زمان من الأزل وإلى الأبد. وإذا كنا لا ننتسب إلى الماضي بل إلى الحاضر والمستقبل، فإن يقيننا من حضور المسيح في كل مكان نجتمع فيه باسمه، وفي وجوده الدائم معنا الآن وإلى آخر أيام حياتنا، وفي مجيئه الثاني لكي يأخذنا لنكون معه في

ملكوته إلى الأبد؛ ينتزع من قلوبنا خوف الموت، ويسندنا في الضيق، ويُبدِّد مؤامرات الأشرار، ويغلب كل آلام الزمان الحاضر، ويُشدِّدنا في جهادنا إلى النَّفَس الأخير، وإلى أن نلتقي معه على السحاب.

فلنسبِّح الرب مع داود، إذن، قائلين:

"**الرب نوري وخلاصي**، مِمَّن أخاف! الرب حصن حياتي، مِمَّن أرتعب!... إن نزل عليَّ جيش، لن يخاف قلبي. إن قامت عليَّ حرب، ففي ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧: ١و٣)؛

"إذا سرتُ في وادي ظل الموت، لا أخاف شرًّا، لأنك **أنت معي**" (مز ٢٣: ٤)؛

"من قبل أن تولَد الجبال، أو أَبدَأْتَ الأرض والمسكونة، **منذ الأزل إلى الأبد أنت الله**" (مز ٩٠: ٢) .؛

ولنهتف مع بولس الرسول:

"**يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" (عب ١٣: ٨)؛

"**لِيَ الحياة هي المسيح**، والموت هو ربحٌ" (في ١: ٢١)؛

"**إن كان الله معنا، فمَن علينا**" (رو ٨: ٣١)؛

"لكنني لستُ أخجل، **لأنني عالمٌ بمن آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم**" (٢تي ١: ١٢).

ولنردِّد مع يوحنا الحبيب:

"والآن، أيها الأولاد، **اثبتوا فيه، حتى إذا أُظهِرَ يكون لنا ثقة، ولا نخجل منه في مجيئه**" (١يو ٢: ٢٨).

ولنصدِّق كلمات الرب:

"**ها أنا آتي سريعاً وأُجرتي معي لأُجازي كل واحد كما يكون عمله. أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخِر**" (رؤ ٢٢: ١٢و١٣).

المسيح كلّي المعرفة

لاهوت المسيح ساطع في أنه كُلّي المعرفة Omniscient. وفي الحديث عن معرفة المسيح الكلّية Omniscience ، فإن الزمن بالنسبة له هو حاضر دائماً. فالماضي لا يغيب، والمستقبل هو الآن.

وكلمة الله تكشف أن الابن المتجسِّد يعرف رسالته حق المعرفة: يعرف أبعادها، وزمانها، ومكانها. وهو يقصد مجد الذي أرسله، ويُدرك أن مجده هو يمر ببستان جثسيماني، وجبل الجلجثة، وخشبة الصليب، وقبر جديد لم يُدفن فيه أحد، ونزول إلى الجحيم، وقيامة بعد موتٍ لثلاثة أيام، وعودة إلى الآب بعد إتمام الفداء.

وفي هذا كله لم يكن الرب مُرغماً مغلوباً على أمره، وإنما هو وضع نفسه بكامل إرادته وسلطانه. ونراه – **ككلّي القـــدرة أيضاً** Omnipotent – مسيطراً على الأحداث، ويضمن مســـارها حسب التدبـــــير، ولم يسمح لهـــــا أن تتم قبل ملء الزمان المرسوم. فكثيراً ما تصاعدت الأحداث، سواء تكريمه، أو لحصاره

وقتله قبل الأوان، ولكنه – بحسب علمه بما يجري – كان دائماً يُحيط هذه التدابير في الوقت المناسب بكل الوسائل. والأمثلة كثيرة:

أولاً: المسيح يمسك بالأحداث

(١) فبعد كلامه في مجمع الناصرة: "فامتلأ غضباً جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا، **فقاموا وأخرجوه خارج المدينة، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل. أما هو فجاز في وسطهم ومضى**" (لو ٤: ٢٨-٣٠).

(٢) ولما تصاعد الاضطهاد والطغيان وطال يوحنا المعمدان، يذكر الكتاب: "**ولما سمع يسوع أن يوحنا أُسلم، انصرف إلى الجليل. وترك الناصرة وأتى فسكن في كفرناحوم**" (مت ٤: ١٢و١٣). فالوقت بالنسبة للرب لم يكن قد حان بعد.

(٣) وبعد قطع رأس المعمدان: "**أتوا وأخبروا يسوع. فلما سمع يسوع انصرف من هناك في سفينة إلى موضع خلاء مُنفرداً**" (مت ١٤: ١٢و١٣).

(٤) وبعد شفاء ذي اليد اليابسة: "**فلما خرج الفرِّيسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه. فعَلِمَ يسوع وانصرف من هناك**" (مت ١٢: ١٤و١٥).

(٥) وعقب معجزة إشباع الجموع نرى يسوع: "**إذ عَلِمَ أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً، انصرف أيضاً إلى الجبل وحده**" (يو ٦: ١٥)، فمملكته ليست من هذا العالم (يو ١٨: ٣٦)، وهو لم يأتِ طالباً مجد الناس (يو ٥: ٤١)، وإنما جاء ليخدمهم ويبذل نفسه فداءً عنهم (مت ٢٠: ٢٨،

مر ١٠: ٤٢).

(٦) مع اقتراب عيد المظال قال له إخوته: "انتقل من هنا (الجليل) واذهب إلى اليهودية، لكي يرى تلاميذك أيضاً أعمالك التي تعمل، لأنه ليس أحد يعمل شيئاً في الخفاء وهو يريد أن يكون علانية. إن كنت تعمل هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم. لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به. **فقال لهم يسوع: إن وقتي لم يحضر بعد، وأما وقتكم ففي كل حين حاضر.** لا يقدر العالم أن يُبغضكم، ولكنه يُبغضني أنا، لأني أشهد عليه أن أعماله شريرة. اصعدوا أنتم إلى هذا العيد. **أنا لستُ أصعد بعد إلى هذا العيد، لأن وقتي لم يُكْمَل بعد"** (يو ٧: ٣-٨).

على أن الرب صعد إلى الهيكل في منتصف أيام العيد ليُعلِّم، وبعده **"طلبوا أن يُمسكوه، ولم يُلْقِ أحد يداً عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد"** (يو ٧: ٣٠).

وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وإيمان كثيرين به، حدث انشقاق في الجمع بسببه: **"وكان قوم منهم يريدون أن يُمسِكوه، ولكن لم يُلقِ أحدٌ عليه الأيادي"** (يو ٧: ٤٤).

(٧) وتكرر الموقف بعد قبول الرب للزانية، وقوله إنه نور العالم، وأن الآب يشهد له: **"هذا الكلام قاله يسوع في الخزانة وهو يُعلِّم في الهيكل ولم يُمسكه أحد، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد"** (يو ٨: ٢٠).

ولكنه بعد ذلك بدأ حديثاً طويلاً في الهيكل ينتقد فيه اليهود ختمه بقوله: "الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائنٌ. **فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مُجتازاً في وسطهم ومضى**

هكذا" (يو ٨: ٥٨و٥٩).

(**٨**) وأيضاً، بعد حديثه في الهيكل في عيد التجديد، وبعد قوله: "أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٣٠)، "**تناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه**" (يو ١٠: ٣١)، "**فطلبوا أيضاً أن يمسكوه، فخرج من أيديهم**" (يو ١٠: ٣٩).

(**٩**) ومع تصاعد الكراهية والتآمر، بعد إقامة لعازر، خاصة مع إيمان الكثيرين: "فمن ذلك اليوم **تشاوروا ليقتلوه. فلم يكن يسوع أيضاً يمشي بين اليهود علانية، بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية، إلى مدينة يُقال لها أفرايم، ومكث هناك مع تلاميذه**" (يو ١١: ٥٣و٥٤)، رغم أنه لم يكن قد بقي الكثير على الفصح والصليب (حسب التدبير الإلهي)، ولكن الرب كان يضبط الأحداث كي يتم الصليب في الوقت المعيَّن دون أن يتفاداه أو يهرب من مواجهته. والدليل أنه ذهب إلى بيت عنيا قبل الفصح بستة أيام ليحضر عشاءً ابتهاجاً بإقامة لعازر الذي كان أحد المتكئين (يو ١٢: ١-٨)، وعلَّق على دهن مريم قدميه بالطِّيب **أنها سبقت إلى تكفين جسده قبل موته القريب** (يو ١٢: ٧).

هكذا كان الرب بحسب علمه يسمح أو يمنع الأحداث أن تتم، بحيث تتوافق مع خطة الخلاص. ولا ننسى كيف أحبط الرب تجارب إبليس الثلاث – الذي كان يهدف إلى تعطيل رسالته إن لم يكن إجهاضها – فتركه مدحوراً إلى حين (لو ٤: ١٣).

ثانياً: المسيح يعرف ما يجري للآخرين

تؤكِّد كلمة الله علم السيد بما يجري للآخرين، وهذه بعض المواقف

الشاهدة:

(**١**) فبعد أن تبع فيلبُّس الرب، دعا نثنائيل ليرى يسوع الذي قال له: "**قبل أن دعاك فيلبُّس وأنت** (تجلس) **تحت التينة، رأيتك**" (يو ١: ٤٨).

(**٢**) جاء قائد المائة يطلب من أجل غلامه واستكثر أن المسيح يأتي بنفسه لشفاء غلامه وسأله أن يقول كلمة واحدة. فقال له يسوع: "**اذهب، وكما آمنتَ ليكن لك. فبرأ غلامه في تلك الساعة**" (مت ٨: ١٣). فالرب لم يَرَ الغلام ولكنه أكَّد لقائد المائة شفاء غلامه.

(**٣**) في حواره مع السامرية يكشف الرب معرفته بأسرار حياتها الخاصة: "...حسناً قلتِ ليس لي زوج، لأنه كان لكِ خمسة أزواج، والذي لكِ الآن ليس هو زوجكِ. هذا قلتِ بالصدق. **قالت له المرأة: يا سيد، أرى أنك نبي**" (يو ٤: ١٦-١٩)، **فكل شيء عريان ومكشوف لعينيْ ذلك الذي معه أَمْرُنا** (عب ٤: ١٣).

(**٤**) والرب يُحذر تلاميذه، ويكشف لهم – بحسب علمه وكشفه للمستقبل – عمَّا سوف يلاقونه من عناء بسبب تبعيتهم له: "ها أنا أُرسلكم كغنم في وسط ذئاب... ولكن احذروا من الناس، لأنهم **سيُسْلمونكم إلى مجالس، وفي مجامعهم يجلدونكم. وتُساقون أمام ولاة وملوك** من أجلي شهادة لهم وللأمم... **وتكونون مُبغضين من الجميع من أجل اسمي**" (مت ١٠: ١٦-٢٢، لو ١٠: ٣). هذا قاله الرب في بداية خدمتهم وأكَّده لهم قبل الصليب: "**حينئذ يُسلِّمونكم إلى ضيق ويقتلونكم، وتكونون مُبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي**" (مت ٢٤: ٩، مر ١٣: ٩). وأثبتت الأحداث فيما بعد كمال علم الرب وصدقه، فعدا يوحنا – الذي نال وعداً خاصاً به – لم ينجَ واحد من تلاميذ الرب من الموت من أجل اسمه.

(**٥**) عندما تقدَّم الذين يجمعون جزية الدرهَمَيْن من بطرس في كفرناحوم قائلين: "أَمَا يُوفِي مُعلِّمكم الدرهَمَيْن"؟ فبالرغم من التحفُّظ الذي أبداه الرب على الطلب

باعتبار أنه وبطرس يتمتعان بالمواطنة، إلاَّ أنه قال لبطرس: "ولكن لئلا نُعثرهم، **اذهب إلى البحر وألقِ صنَّارة، والسمكة التي تطلع أولاً خذها، ومتى فتحت فاها تجد إستاراً، فخذه وأعطِهم عني وعنك**" (مت ١٧: ٢٤- ٢٧).

والأمر مذهل! فالرب، الذي لم يكن يحمل كيساً - كما أوصى تلاميذه أيضاً - يعرف أن سمكة معينة وسط جموع الأسماك في الماء، تحوي في فمها ما يكفي لسداد الضريبة المطلوبة، وأن هذه السمكة هي التي ستلتقطها الصنَّارة أولاً. فيا لكمال معرفة الرب!

(٦) والمرأة الكنعانية التي جاءت تطلب من أجل ابنتها التي دخلها روح نجس، يمتدح الرب إيمانها ويقول لها بحسب علمه مُبشِّراً: "... قد خرج الشيطان من ابنتكِ. فذهبت إلى بيتها ووجدت الشيطان قد خرج، والابنة مطروحة على الفراش" (مر ٧: ٢٤-٣٠).

(٧) وعندما استُدعيَ الرب لإنقاذ لعازر، يقول الرب لتلاميذه: "**لعازر حبيبنا قد نام، لكني أذهب لأُوقظه... وكان يسوع يقول عن موته**... فقال لهم يسوع حينئذ علانية: لعازر مات"، وذلك قبل أيام من بلوغه بيت عنيا (يو ١١: ١١و١٣و١٤). وأمام مرثا الجاثية الباكية يقول لها يسوع: "**سيقوم أخوك**" (يو ١١: ٢٣). فالرب يُعلن مسبقاً عن قيامة لعازر من الموت بكلمة الرب.

(٨) في الإعداد لدخول أورشليم، يقول الرب لتلميذيه: "**اذهبا إلى القرية التي أمامكما، فللوقت تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معها (لم يجلس عليه أحد من الناس قط)، فحلاَّهما وأتياني بهما... فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع**" (مت ٢١: ١-٧، مر ١١: ٢-٤، لو ١٩: ٣٠-٣٢).

وفي الإعداد للفصح بالمثل أرسل الرب اثنين من تلاميذه وقال لهما: "...**اذهبا إلى المدينة، فيلاقيكما إنسان حامل جرَّة ماء، اتبعاه.** وحيثما يدخل فقولا لرب البيت: إن المعلِّم يقول: أين المترل حيث آكل الفصح مع تلاميذي؟ **فهو يُريكما علِّية كبيرة مفروشة مُعدَّة. هناك أعِدَّا لنا. فخرج تلميذاه وأتيا إلى المدينة، ووجدا كما قال لهما**" (مت ٢٦: ١٧-١٩، مر ١٤: ١٢-١٦).

نعم، فعينا الرب تخترقان الحُجُب، وترى أدق التفاصيل، وتعرف مجرى الأحداث قبل أن تقع.

(**٩**) مُسبقاً أشار الرب إلى الرفض الإلهي للأمة اليهودية وانتهاء دورها وخراب أورشليم الذي تم بعد عقود قليلة من صعوده إلى السماء:

"**لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُترع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره**" (مت ٢١: ٤٣)، "يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المُرسلين إليها، كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا. **هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً**" (مت ٢٣: ٣٧و٣٨، لو ١٣: ٣٤و٣٥)؛

"ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل، فتقدَّم تلاميذه لكي يُروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع: أَمَا تنظرون جميع هذه؟ الحق أقول لكم: إنه لا يُترك ههنا حجرٌ على حجر لا يُنقض!" (مت ٢٤: ١و٢، مر ١٣: ١و٢، لو ١٩: ٤٤؛ ٢١: ٦).

(**١٠**) الرب عرف مسلِّمه مبكراً، الأمر الذي لم يُدركه سائر التلاميذ: "لأن يسوع من البدء **عَلِمَ مَن هم الذين لا يؤمنون، ومَن هو الذي يُسلِّمه**" (يو ٦: ٦٤).

فهو يقول لبطرس عقب غسل أرجل تلاميذه: "وأنتم طاهرون ولكن ليس

كلكم. **لأنه عرف مُسلِّمه**، لذلك قال: لستم كُلُّكم طاهرين" (يو ١٣: ١٠و١١)، ثم يقول ليهوذا الإسخريوطي: **"ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة. وأما هذا فلم يفهم أحد من المتَّكئين لماذا كلَّمه به"** (يو ١٣: ٢٧و٢٨).

(**١١**) وبالمثل فقد عرف الرب أن بطرس سيُنكره ثلاث مرات، بل إنه صارحه مُسبقاً بما سوف يسقط فيه رغم نواياه الطيبة: **"قبل أن يصيح ديك، تنكرني ثلاث مرات"** (مت ٢٦: ٣٤، مر ١٤: ٣٠، لو ٢٢: ٣٤، يو ١٣: ٣٨).

(**١٢**) كما صارح الرب تلاميذه أنهم سوف يفرُّون خوفاً ويتخلون عنه ويتركونه وحده يواجه المحاكمات والآلام والموت: **"هوذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، تتفرَّقون فيها كل واحد إلى خاصته، وتتركونني وحدي"** (يو ١٦: ٣٢).

ورغم التحذير في إعلان الرب المُسبق لتلاميذه، فقد صدقت كلمات الرب وتحقَّق علمه السابق، فالجميع غلبهم الرعب وتركوا السيد وحده، وعند الصليب لم يبقَ من الاثني عشر غير واحد مع المريمات!

ثالثاً: المسيح يعرف ما يدور في فكر الآخرين

كثيراً ما تورد كلمة الله ما يشير إلى أن فكر الرب يخترق خفايا القلوب (مز ٤٤: ٢١)، ويكشف المستور في عقل الإنسان (مز ٩٤: ١١):

(**١**) ففي معجزة شفاء المفلوج، ومع احتجاج الكتبة على قول الرب له: "مغفورة لك خطاياك"، يقول الكتاب: "**فعلم (فشعر) يسوع (بروحه) بأفكارهم (في أنفسهم)، وأجاب وقال لهم: ماذا تفكِّرون (لماذا تفكِّرون بالشر) في قلوبكم**" (مت ٩: ٤، مر ٢: ٨، لو ٥: ٢٢).

(**٢**) ولما نَسِيَ التلاميذ أن يأخذوا معهم في السفينة خبزاً (وكان ذلك بعد

معجزتي إشباع الجموع): "**ففكَّروا في أنفسهم** قائلين: إننا لم نأخذ خبزاً. **فعَلِمَ يسوع وقال لهم: لماذا تُفكِّرون في أنفسكم** يا قليلي الإيمان أنكم لم تأخذوا خبزاً؟ أحتى الآن لا تفهمون، ولا تذكرون خمس خبزات الخمسة الآلاف وكم قفة أخذتم..." (مت ١٦: ٨و٩، مر ٨: ١٦-١٩، لو ٩: ١٦و١٧). فالرب يُعاتبهم على ما دار في ذهنهم و لم يفصحوا عنه.

(**٣**) وبعد شفاء ذي اليد اليابسة في السبت وأدرك الرب مشاعر الكتبة والفرِّيسين المناوئة، يذكر الكتاب: "**أما هو فعَلِمَ أفكارهم**" (لو ٦: ٨).

(**٤**) وفي واقعة عن التلاميذ يُسجِّل الكتاب: "**وداخَلَهُم فكر** مَن عسى أن يكون أعظم فيهم؟ **فعَلِمَ يسوع فِكْر قلبهم**، وأخذ ولداً وأقامه عنده" (لو ٩: ٤٦و٤٧). فالمسيح يعرف ما دار في فكرهم، وهو ما لم يستطيعوا المجاهرة به أمامه.

(**٥**) وفي أعقاب معجزة إشباع الجموع، ورَفْع المسيح ذهنهم إلى شخصه كخبز الحياة النازل من السماء؛ يُسجِّل مُعلِّمنا يوحنا في إنجيله: "**فعَلِمَ يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا**" (يو ٦: ٦١).

رابعاً: المسيح يعرف ما سوف يأتي عليه

يذكر الكتاب عن يسوع، وقد أقبل عليه الجنود في صحبة يهوذا للقبض عليه: "فخرج يسوع، **وهو عالم بكل ما يأتي عليه**" (يو ١٨: ٤).

ولكـــن معرفة الرب بما سوف يجوز فيه لم تبدأ هـــذه الساعة، وإنما تكلَّم الرب مبكِّراً كثيراً وتفصيلاً عمَّا سوف يأتي عليه من اضطهادات وآلام وخيانات وخضوع لموت الصليب، وعن قيامته المنتصرة في اليوم الثالث لموته، وعن عودته إلى السماء بعد قيامته (وأيضاً عن مجيئه الثاني المملوء مجداً)؛ **من ناحية** ليؤكِّد هدف

مجيئه وحقيقة إرساليته واتجاهه بقلب ثابت نحو تحقيق خلاص الإنسان بحسب التدبير؛ **ومن ناحية أخرى** ليكشف، كابن الله المتجسِّد، عن علمه السابق ورؤيته للمستقبل.

(أ) أحاديث الرب المبكِّرة عن الآلام والصليب والموت والقيامة

وقد تناولنا الإشارات عن علم الرب السابق بهذه الأحداث معاً، لأن الرب في أكثر الأحيان يُقرن الموت بالقيامة، باعتبار أن عار الصليب وضعف الموت يكشف أعماقهما ويكملهما مجدُ القيامة وانتصارُها، فالجانبان هما وجها الخلاص ولا يقوم أحدهما بدون الآخر:

(**١**) في ختام حديثه لنيقوديموس يقول الرب: "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا **ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان**... لأنه **هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد**، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يُرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل لِيَخْلُص به العالم" (يو ٣: ١٤و١٦و١٧).

(**٢**) وبعد قبوله زكًا العشَّار، أكَّد الرب أن: **"ابن الإنسان قد جاء (لكي يطلب و يُخلِّص ما قد هلك"** (مت ١٨: ١١، لو ١٩: ١٠).

(**٣**) وفي ردِّه على الكتبة والفرِّيسيين الذين يطلبون منه آية، قال الرب: "لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، **هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ**" (مت ١٢: ٤٠)، فهو هنا يشير إلى موته وبقائه في القبر ثلاثة أيام.

(**٤**) ومع بدايات خدمة الرب يُسجِّل الكتاب: "من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهِر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم **ويتألَّم كثيراً** (ويرفض) من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، **ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم**"

(مت ١٦: ٢١، مر ٨: ٣١، لو ٩: ٢٢).

وأكَّد الرب ذلك بصورة أخرى قائلاً: "ضعوا أنتم هذا الكلام في آذانكم. أن ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى أيدي الناس" (لو ٩: ٤٤).

(٥) وبعد التجلِّي ومشاهد المجد: وفيما هم نازلون من الجبل، أوصاهم يسوع قائلاً: لا تُعلِموا أحداً بما رأيتم **حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات**" (مت ١٧: ٩، مر ٩: ٩)، مؤكِّداً أن ابن الإنسان - كما جرى للمعمدان - سوف يتألَّم هو أيضاً من اليهود (مت ١٧: ١٢)، فرغم أنه لم يكن هناك في هذه المرحلة المبكِّرة تهديد صريح لحياة الرب، فإنه يشير هنا إلى الآلام الآتية وقيامته بعد موته. وربما عبرت هذه الكلمات على التلاميذ دون استيعابها.

(٦) وكرَّر الرب تلك المعاني كثيراً - صراحةً أو ضمناً - في مناسبات مختلفة تالية تصاعدت قبل أحداث الصليب:

"امضوا وقولوا لهذا الثعلب (هيرودس): ها أنا أُخرج شياطين، وأشفي اليوم وغداً، **وفي اليوم الثالث أُكَمَّل**" (لو ١٣: ٣٢)؛

"وفيما هم يتردَّدون في الجليل، قال لهم يسوع: **ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى أيدي الناس فيقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم**" (مت ١٧: ٢٢و٢٣، مر ٩: ٣١).

"ولكن ينبغي **أن يتألم كثيراً** ويُرفض من هذا الجيل" (لو ١٧: ٢٥)؛

"فقال لهم يسوع: **متى رفعتم ابن الإنسان**، فحينئذ تفهمون أني أنا هو!" (يو ٨: ٢٨)؛

"**انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أُقيمه... وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده.** فلما قام من الأموات، تذكَّر تلاميذه أنه قال هذا" (يو ٢: ١٩و٢١و٢٢)؛

"لهذا يحبني الآب، **لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضاً**" (يو ١٠: ١٧و١٨)؛

"ها نحن صاعدون إلى أورشليم، **وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويُسلِّمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه، وفي اليوم الثالث يقوم**" (مت ٢٠: ١٨و١٩، مر ١٠: ٣٣و٣٤، لو ١٨: ٣١و٣٢).

وفي حديثه إلى ابني زبدي اللذين طلبت أمهما من الرب أن يجلسا إلى جانبيه في ملكوته، يشير الرب إلى كأس الآلام المقبلة عليه بعد أيام:

"أتستطيعان أن تشربا **الكأس التي سوف أشربها أنا**، وأن تصطبغا **بالصبغة التي أصطبغ بها أنا**" (مت ٢٠: ٢٢، مر ١٠: ٣٨)، مضيفاً،

"أن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم **وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**" (مت ٢٠: ٢٨، مر ١٠: ٤٥).

وبعد أن دهنت مريم بالطيب قدمي الرب، وانتقاد البعض هذا الإهدار للمال في غير موضعه، وأن الفقراء كانوا أحقّ به؛ أشار الرب إلى علاقة ما أقدمت عليه مريم بتكفين جسده الذي سيُسلِّمه للموت عن خلاص العالم، قائلاً:

"لماذا تُزعجون المرأة؟ فإنها قد عَمِلَت بي عملاً حسناً... **فإنها إذ سكبت هذا الطِّيب على جسدي إنما فعلت ذلك لأجل تكفيني**" (مت ٢٦: ١٠و١٢، مر ١٤: ٨، يو ١٢: ٧).

وبعد دخوله أورشليم قال الرب لتلاميذه:

"قد أتت الساعة ليتمجَّد ابن الإنسان. الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة

الحنطة في الأرض وتَمُت فهي تبقى وحدها. **ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير**... ولكن لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة... **وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع**. قال هذا مُشيراً إلى **أية ميتة كان مُزمعاً أن يموت**... **النور معكم زماناً قليلاً بعد**" (يو١٢: ٢٣و٢٤و٢٧و٣٢و٣٣و٣٥).

(**٧**) وقبل أيام قليلة من الصليب كانت أحاديث الرب صريحة تماماً وتحدد الوقت بالضبط:

"تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، **وابن الإنسان يُسلَّم ليُصلب**" (مت ٢٦: ٢)؛

"شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم **قبل أن أتألم**" (لو ٢٢: ١٥).

وعلى مائدة العشاء الأخير تتابعت كلمات الرب وهي تذكر التسليم وسفك الدم والقيامة كأنها حاضرة بالفعل:

"الحق أقول لكم: إن واحداً منكم **يُسلِّمني**... الذي يغمس يده معي في الصحفة هو **يُسلِّمني**" (مت ٢٦: ٢١و٢٣، مر ١٤: ١٨، لو ٢٢: ٢١)؛

"وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد **الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا**" (مت ٢٦: ٢٧و٢٨، مر ١٤. ٢٤، لو ٢٢: ٢٠)؛

"ولكن **بعد قيامي** أسبقكم إلى الجليل" (مت ٢٦: ٣٢).

(**٨**) وفي حديثه الأخير إلى تلاميذه قال الرب: "بعد قليل لا يراني العالم أيضاً، **وأما أنتم فترونني. إني أنا حي فأنتم ستحيون**" (يو ١٤: ١٩)؛ مشيراً هنا إلى موته وقيامته. كما يشير إلى لقائه بهم بعد قيامته في قوله: "فأنتم كذلك عندكم الآن حزن. ولكني **سأراكم أيضاً** فتفرح قلوبكم ولا يترع أحد فرحكم منكم" (يو ١٦: ٢٢).

(ب) أحاديث الرب المبكِّرة عن صعوده

(١) مـــــن المؤشرات المبكرة جداً عـــن أن الرب سوف يترك العالم يوماً ويعود إلى الآب ما قاله ردًّا على ســـــؤال لتلاميذ يـــوحنا المعمدان عـــــن لمـــــاذا يصومون هم والفرِّيسيون كثيراً، ولكـــن تـــــلاميذه لا يصومون: "أتقدرون أنتم أن تجعلوا بني العُرس يصومون (ينوحون) ما دام العريس معهم. **ولكن ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم، فحينئذ يصومون**" (مت ٩: ١٥، مر ٢: ١٩، لو ٥: ٣٤و٣٥).

(٢) والرب يشير إلى هذه الحقيقة أيضاً في حديثه إلى نيقوديموس: "**وليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء**" (يو ٣: ١٣)، ويعود إليها في حديثه المطوَّل بعد معجزة إشباع الجموع ردًّا على تلاميذه الذين هالهم أكل جسده وشُرب دمه بقوله: "أهذا يُعثركم. **فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً** (فماذا يكون موقفكم ساعتها؟)" (يو ٦: ٦٠-٦٢).

(٣) وفي الهيكل خلال عيد المظال، والتهديدات بالقبض عليه تتصاعد؛ نرى الرب يقول للفرِّيسيين: "أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم **أمضي إلى الذي أرسلني**. ستطلبونني ولا تجدونني، **وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا**" (يو ٧: ٣٣و٣٤).

وفي تعليمه في الهيكل بعد قبوله المرأة التي أُمسِكَت في زنا، يؤكِّد الرب لليهود مرة أخرى: "**أنا أمضي** وستطلبونني وتموتون في خطيتكم. **حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا**... أنتم من أسفل، **أما أنا فمن فوق**. أنتم من هذا العالم، **أما أنا فلست من هذا العالم**" (يو ٨: ٢١و٢٣).

(٤) ويشير الكتاب مع إقبال عيد الفصح عن معرفة الرب السابقة برجوعه إلى الآب، إذ يقول: "أما يسوع قبل عيد الفصح، **وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب**... يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه، **وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي**..." (يو ١٣: ١و٣).

(٥) وفي حديث الرب الأخير إلى تلاميذه بعد العشاء، وفي صلاته إلى الآب، يؤكِّد الرب أمر صعوده في أكثر من موضع: "يا أولادي، أنا معكم زماناً قليلاً بعد. ستطلبونني، وكما قلت لليهود: **حيث أذهب أنا** لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن... أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً... لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت **أمضي إلى الآب**... وأما الآن **فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني**... لكني أقول لكم: إنه **خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق** لا يأتيكم المعزِّي. **ولكن إن ذهبت** أُرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يُبكِّت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة... وأما على بر **فلأني ذاهب إلى أبي** ولا ترونني أيضاً... بعد قليل لا تبصرونني، ثم بعد قليل أيضاً ترونني، **لأني ذاهب إلى الآب**... خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم، وأيضاً **أترك العالم وأذهب إلى الآب**... ولست أنا بعد في العالم، وأما هؤلاء فهم في العالم، **وأنا آتي إليك**" (يو ١٣: ٣٣؛ ١٤: ٢و٢٨؛ ١٦: ٥و٧و٨و١٠و١٦و٢٨؛ ١٧: ١١و١٣).

(٦) ويوم قيامته قال الرب المنتصر لمريم المجدلية: "لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: **إني أصعد إلى أبي**" (يو ٢٠: ١٧)، الأمر الذي تمَّ بعد أربعين يوماً.

* * *

نحن هنا لم نذكر كل إشارات الكتاب المتعلقة بمعرفة الابن المتجسِّد غير المحدودة، وإحاطته على البُعد بما كان يجري من أحداث في الطبيعة أو في حياة

الآخرين؛ بل وما كان يدور في ذهن الناس من أفكار أو ما يحويه القلب من أسرار، فضلاً عن درايته بما كان سوف يلاقيه من أهوال خلال حياته على الأرض، توَّجتها قيامته المجيدة وصعوده إلى السماء، وإنبائه عمَّا سوف يقع في المستقبل القريب أو البعيد.

وكشفت لنا أقوال الرب إنه كان يعرف غايته، وقد اتجه إليها بقلب ثابت، بملء إرادته وسلطانه، وأقبل طائعاً مُستسلماً على الصليب والموت، وجاز آلاماً ساحقة سانده على تجرُّعها رؤية القيامة الباهرة قبل أن تأتي، تدفعه مسرة أبيه ومحبته للبشر إخوته، وفي النهاية عاد إلى مجده كما أشار إلى ذلك منذ بداية خدمته.

لا مجال، إذاً، للادِّعاء أن المسيح نجا من موت الصليب بالتدخُّل الإلهي، لأن هذا مناقض لخطَّة الخلاص الإلهية، ولمسيرة العهد القديم كلها، ونبوَّات الأسفار على مدى القرون، ويناوئ أحداث الإنجيل وأقوال الرب قبل الصليب وبعده. واستناداً إلى ما رآه وسمعه تلاميذ الرب كانت بشارتهم وكتاباتهم، وكانت شهادتهم بالدم، حباً لمن أحبهم أولاً وفداهم بدمه حتى الموت.

❋ ❋ ❋

ولنضع في قلوبنا عندما نصلِّي أو نتقدَّم تائبين، **أن المسيح هو الله كلِّي المعرفة، فاحص القلوب والكلى** (رؤ ٢: ٢٣)، وعيناه تخترقان أستار الظلام؛ فلا يليق أن نخاطبه كأنه لا يعرف أو نسعى لتبرير أنفسنا؛ بل: "**لنطرح كل ثِقْلٍ، والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مُستهيناً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله**"

(عب ١٢: ١و٢).

المسيح كليّ القدرة

تكلَّمنا عن المسيح، الابن المتجسِّد، **كلِّي المعرفة** Omniscient، المُمسك بالأحداث والزمن، والمُدرك لما يجتازه الناس من ظروف وتجارب وهموم، والكاشف أسرار قلوبهم وما يدور في فكرهم، إن كان خيراً، وإن كان شرًّا: **"أنا هو الفاحص الكُلى والقلوب"** (رؤ ٢: ٢٣)، **"وليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمْرُنا"** (عب ٤: ١٣). وبالنسبة له هو فقد كشف مُسبقاً عن كل ما سوف يأتي عليه من آلام وموت لثلاثة أيام تعقبه قيامته وصعوده عائداً إلى مجده.

ونعرض هنا لِمَا كشفته لنا كلمة الله، وأحداث حياة الرب على الأرض، عن لاهوت ابن الله **كلِّي القدرة** Omnipotent، أي كلِّي الرياسة والسلطان والقوة والسيادة (أف ١: ٢١). ولن يتسع المجال بالطبع للإحاطة بكل ما يشير إليه الكتاب في هذا الصدد، فهذا يتجاوز القدرة، وإنما سنقتصر على بعض الاقتباسات

على قدر ما تتسع له الصفحات:

أولا: سلطان المسيح هو سلطان الآب

ربما لا يفصح **العهد القديم** كثيراً عن سلطان الابن المساوي للآب في الجوهر، ولكن هناك مع ذلك إشارات لا تخطئها العين ويُدركها العقل، مثل هذه الآية من المزامير، والتي استخدمها الرب في حواره مع الفرِّيسيين ليكشف لهم عن لاهوته (مت ٢٢: ٤٤، مر ١٢: ٣٦، لو ٢٠: ٤٢)، وكيف وهو ابن داود بالجسد، يدعوه داود بالروح ربًّا: "قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك" (مز ١١٠: ١). فالابن هنا عن يمين الآب وله سلطان أن يسحق "رئيس هذا العالم" (يو ١٦: ١١). وهذه الآية بعينها استخدمها القديس بطرس في كرازته لليهود بالعهد الجديد الذي دشَّنه الابن بدم الصليب، ومُفسِّراً إيَّاها قائلاً: "فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل **أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًّا ومسيحاً**" (أع ٢: ٣٤-٣٦).

ولكن آيات **العهد الجديد** تحفل بما يؤكِّد وحدة القدرة للآب والابن، وكمال سلطان الابن **القادر على كل شيء** (رؤ ١: ٨؛ ٤: ٨؛ ١١: ١٧؛ ١٥: ٣؛ ١٦: ٧؛ ١٩: ٦):

"كل شيء قد دُفع إليَّ من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن، ومن أراد الابن أن يُعلن له" (مت ١١: ٢٧)؛

"دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض" (مت ٢٨: ١٨)؛

"الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع... الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع" (يو ٣: ٣١)؛

"لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل، **لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك**" (يو ٥: ١٩)؛

"كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي" (يو ١٧: ١٠)؛

"وأما هو (استفانوس) فشَخَصَ إلى السماء، وهو ممتلئ من الروح القدس، **فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله"** (أع ٧: ٥٥)؛

"هذا رفَّعه الله بيمينه رئيساً ومخلِّصاً" (أع ٥: ٣١)؛

"حسب عمل شدَّة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات **وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. وأخضع كل شيء تحت قدميه وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة"** (أف ١: ١٩-٢٢)؛

"لذلك **رفَّعه الله** أيضاً **وأعطاه اسماً فوق كل اسم**، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مِمَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان **أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب"** (في ٢: ٩-١١)؛

"اطلبوا **ما فوق** حيث **المسيح جالسٌ عن يمين الله"** (كو ٣: ١)؛

"... بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، **جلس في يمين العظمة في الأعالي"** (عب ١: ٣)؛

"**القدوس الحق**... الذي يفتح ولا أحد يُغلق، ويُغلق ولا أحد يفتح" (رؤ ٣: ٧)؛

"وسمعتُ صوت ملائكة كثيرين... قائلين: ... مستحقٌّ هو الخروف المذبوح أن **يأخذ القدرة** والغِنَى والحكمة **والقوة والكرامة والمجد** والبركة" (رؤ ٥: ١١و١٢؛ ٧: ١٢)؛

"قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه، **فسيملك إلى أبد الآبدين"** (رؤ ١١: ١٥)؛

"... الرب الإله **القادر على كل شيء**... لأنك **أخذت قدرتك العظيمة وملكتَ"** (رؤ ١١: ١٧)؛

"الخلاص والمجد والكرامة **والقدرة** للرب إلهنا" (رؤ ١٩: ١).

وهكذا ندرك أن تجسُّد الابن لم ينتقص من قدرته الإلهية، بل هو أتاح للإنسان، من ناحية، أن يُدرك جانباً من لاهوت المسيح؛ ومن ناحية أخرى، أن يتيقن من خلاصه لأن الذي مات لأجلنا وقام هو الله المتجسِّد وليس مجرد إنسان: "فمِن ثمَّ يقدر **أن يُخلِّص إلى التمام** الذين يتقدَّمون به إلى الله، **إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم**" (عب ٧: ٢٥). والرب يؤكِّد أنه لا سبيل لنا إلى الآب إلاَّ من خلاله: **"ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي"** (يو ١٤: ٦)، كما أنه **"بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً"** (يو ١٥: ٥)، وأن **"قوتي في الضعف تُكمَل"** (٢كو ١٢: ٩). وقد أدرك معلِّمنا القديس بولس هذه الحقيقة، فهتف باسم كل مؤمن: **"أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني"** (في ٤: ١٣).

ثانياً: سلطان المسيح على المرض

سجَّل الكتاب عدداً من الحالات التي أظهر فيها الرب سلطانه لشفاء الأمراض المستعصية (مثل الشلل، العَمَى، الصمم، البَكَم، العرج، البَرَص، الحُمَّى والاقتراب من الموت، وغيرها - مت ١٥: ٣٠)، ولكنه بالتأكيد لم يحصر كل حالات الشفاء. فكثيراً ما يذكر الكتاب معجزات شفاء بصورة جماعية حيث يقع على الرب المرضى المتزاحمون أو فقط يلمسون هُدب ثوبه:

"وجميع المرضى شفاهم" (مت ٨: ١٦)؛

"فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة" (مر ١: ٣٤)، وأنه: "كان **قد شفى كثيرين حتى وقع عليه ليلمسه كل مَن فيه داء**" (مر ٣: ١٠) (ولهذا طلب من تلاميذه أن تُلازمه سفينة صغيرة بسبب الجمع لكي لا يزحموه)؛

"وأحضروا إليه جميع المرضى، وطلبوا إليه أن يلمسوا هُدب ثوبه فقط. **فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء**" (مت ١٤: ٣٥و٣٦، مر ٦: ٥٦، لو ٦:

١٩)؛

كما يذكر الكتاب أنه بعد إخراج الباعة والصيارفة، **شفى الرب عُمي وعُرج في الهيكل** (مت ٢١: ١٤).

وفيما يلي نذكر بعض حالات الشفاء التي سجلتها البشائر، ومنها ما تم فيها الشفاء من على البُعْد، أي لم يكن المريض حاضراً، وإنما جاء آخرون يطلبون من أجله:

+ **الأبرص**، الذي مدَّ الرب يده إليه ولمسه (مت ٨: ٢-٤، مر ١: ٤٠-٤٥، لو ٥: ١٢-١٤).

+ **غلام قائد المئة** (على البُعْد)، حيث امتدح الرب إيمان قائد المئة قائلاً: "لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا" (مت ٨: ٥-١٣، لو ٧: ٢-١٠).

+ **ابن خادم الملك** (على البُعد)، الذي شُفي في نفس الساعة (السابعة) التي نطق فيها الرب لخادم الملك: "ابنك حي" (يو ٤: ٤٦-٥٣).

+ **حماة بطرس**، التي شفاها الرب من الحُمَّى (مت ٨: ١٤و١٥، مر ١: ٢٩-٣١، لو ٤: ٣٨و٣٩).

+ **المفلوج**، الذي نظر الرب إلى إيمان مَن حملوه إليه (مت ٩: ٢-٨، مر ٢: ١-١٢، لو ٥: ١٨-٢٦).

+ **نازفة الدم**، التي مسَّت هُدب ثوبه فتوقف نزف دمها في الحال (مت ٩: ٢٠-٢٢، مر ٥: ٢٥-٣٤، لو ٨: ٤٣-٤٨).

+ **أصمّ أعقد**، وضع الرب أصابعه في أُذنيه وتفل ولمس لسانه (مر ٧: ٣٢-٣٥).

+ **المرأة المنحنية** ١٨ سنة (لو ١٣: ١٠-١٧).

+ **أعميان**، لمس الرب أعينهما (مت ٩: ٢٧-٣١)، و**أعميان** آخران جالسان على طريق أريحا (مت ٢٠: ٢٩-٣٤) أيضاً لمس الرب أعينهما. وإنجيل مرقس (مر ١٠: ٤٦-٥٢) يذكر أن أحدهما بارتيماوس ابن تيماوس الذي تبع يسوع بعد أن أبصر (لو ١٨: ٣٥-٤٣).

+ **البرص العشرة**، وبينهم سامري هو وحده الذي جاء ليُعطي مجداً لله (لو ١٧: ١١-١٩).
+ **مريض بـــرْكة بيت حسدا**، المفلوج ٣٨ سنة (يو ٥: ٥-٩).
+ **الأعمى منذ ولادته**، والذي وضع الرب طيناً على عينيه ومضى واغتسل في بـــرْكة سلوام فعاد بصيراً (يو ٩: ١-٣٨).
+ **أعمى بيت صيدا**، الذي شُفي على مرحلتين (مر ٨: ٢٢-٢٦).
+ **ملخُس عبد رئيس الكهنة**، الذي قطع بطرس أُذنه اليُمنى ليلة الصَّلْب (لو ٢٢: ٥١، يو ١٨: ١٠و١١)

بل إن الرب وهب تلاميذه سلطانه على المرضى (والأرواح النجسة) (مت ١٠: ١، مر ٣: ١٥). وها هو بطرس عندما شفى الأعرج على باب هيكل الجميل، هتف: "**باسم يسوع الناصري** قُم وامشِ" (أع ٣: ٦). كما "جَرَت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب... **حتى إنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً في الشوارع ويضعونهم على فُرُش وأسِرَّة حتى إذا جاء بطرس يخيِّم ولو ظله على أحد منهم**" (أع ٥: ١٢-١٦؛ ٨: ٧)، "وكان الله يصنع على يدي **بولس** قوات غير المعتادة، حتى كان يؤتَى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض" (أع ١٩: ١١و١٢).

ثالثاً: سلطان المسيح على الأرواح الشريرة

إضافة إلى الحالات المعينة التي ذكرتها الأناجيل وظهر فيها سلطان الرب على الشياطين "**لأنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه**" (مر ١: ٢٧)، فهناك إشارات على حالات مماثلة لأعداد كبيرة تم شفاؤها بصورة جماعية: "ولما صار المساء قدَّموا إليه **مجانين كثيرين**، فأخرج الأرواح **بكلمة**" (مت ٨: ١٦):

+ **رجل به روح نجس** (مر ١: ٢٣-٢٨، لو ٤: ٣٣-٣٦).

+ **مجنون أخرس** (مت ٩: ٣٢و٣٣، لو ١١: ١٤).

+ **مجنون أعمى وأخرس** (مت ١٢: ٢٢).

+ **الابن الوحيد المصروع** الذي به روح أخرس أصم، ولم يقدر التلاميذ أن يشفوه (مت ١٧: ١٤-١٨، مر ٩: ١٤-٢٩، لو ٩: ٣٨-٤٢).

+ "**وبعض النساء** كُنَّ قد شُفينَ من أرواح شريرة وأمراض: **مريم التي تُدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين، ويُونَّا امرأة خوزي** وكيل هيرودس، **وسوسنَّة، وأُخَر كثيرات** كُنَّ (امتناناً) يخدمنه من أموالهن" (مر ١٦: ٩، لو ٨: ٢و٣).

+ مجنون - أو مجنونان خارجان من القبور - من كورة الجدريين (الجرجسيين) بهما لجئون: "فطلبوا إليه أن **يأذن لهم** بالدخول فيها (الخنازير)، **فأَذِن لهم**" (مت ٨: ٢٨-٣٣، مر ٥: ١-٢٠، لو ٨: ٢٦-٣٩).

رابعاً: سلطان المسيح على الخطية والضعف

كما كان الرب يشفي المرضى ويُخرج الأرواح الشريرة بكلمة أو بلمسة، كذلك أعلن لاهوته بغفرانه الخطايا بصورة صريحة وبملء سلطانه. وقبل شفائه المفلوج جسدياً التفت إلى حياته الخاطئة قائلاً: "ثق يا بني. **مغفورة لك خطاياك**"، ولكي يُفسِّر موقفه للكتبة الحانقين الذين اتهموه بالتجديف أردف: **"لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا"** (مت ٩: ٢و٦، مر ٢: ١٠، لو ٥: ٢٤). وهذه بعض النماذج الأخرى التي سجلتها البشائر:

+ **المرأة الخاطئة** (في بيت سمعان الفرِّيسي - لو ٧: ٣٦-٥٠)، التي، وهي تائبة، بلَّت قَدَمَي يسوع بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها دون كلمة، فسمعت النُّطق الإلهي: "**مغفورة لكِ خطاياكِ**... إيمانكِ قد خلَّصكِ، اذهبي

بسلام" (لو ٧: ٤٨و٤٩).

+ **المرأة الزانية** (يو ٨: ٣-١١)، التي أحاط بها الخطاة يطلبون رجمها، وكشف الرب رياءهم وأنقذها من ظلمهم مِمَّا دانوه بها، وأطلقها مبرَّرة قائلاً: **"ولا أنا أدينكِ، اذهبي ولا تُخطئي"** (يو ٨: ١١).

+ **زكَّا** رئيس العشَّارين (لو ١٩: ١-١٠)، الذي طلب أن يرى يسوع، وإذ كان قصير القامة صعد إلى جمَّيزة، حيث كان يسوع مزمعاً أن يمر، فنال دعوة غالية لدخول بيته قابلها زكَّا بتوبة وتعهُّد بإصلاح السيرة، فسمع البُشرى: **"اليوم حصل خلاص لهذا البيت"** (لو ١٩: ٩)، وسمعنا معه: **"لأن ابن الإنسان قد جاء ليطلب ويُخلِّص ما قد هلك"** (لو ١٩: ١٠).

ويظل سلطان الرب لغفران الخطايا، والذي كفله دم الصليب (١يو ١: ٧)، رجاءنا الدائم للانتقال من ظلمة الخطية إلى الحياة في النور، والنعمة التي ننالها كلما اعترفنا بخطايانا:

"إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثم" (١يو ١: ٩)؛

"وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الله الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفَّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً" (١يو ٢: ١و٢)؛

"فمِن ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عب ٧: ٢٥)؛

"لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان

يسوع المسيح" (١تي ٢: ٥).

كما أن الرب قادر على مساندة المجرَّبين والضعفاء وتعزيتهم:

"**لأنه فيما هو قد تألَّم مُجرَّباً يقدر أن يعين المجرَّبين... لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مُجرَّب في كل شيء مثلنا، بلا خطية**" (عب ٢: ١٨؛ ٤: ١٥).

خامساً: سلطان المسيح على الموت والدينونة

بقدرة المسيح المطلقة وكلمته التي وهبت الحياة للخليقة، أقام **ابنة يايرس** وهي فاقدة الحياة **في فراشها** (مت ٩: ١٨و١٩ و٢٣-٢٥، مر ٥: ٢٢-٢٤ و٣٥-٤٣، لو ٨: ٤١و٤٢ و٤٩-٥٦). كما أقام **الابن الوحيد لأرملة نايين** وهو بعد **في نعشه** وقبل أن يُوارَى التراب، إذ لمس النعش قائلاً: "**أيها الشاب لك أقول قُمْ. فجلس الميت وابتدأ يتكلَّم**" (لو ٧: ١٢-١٥).

وقبل معركة الصليب بأيامٍ، جاء الرب إلى قبر **لعازر** الميت في قبره منذ أربعة أيام، ليؤكِّد أنه وإن كان سيموت لتحقيق الخلاص لكنه، قبل ذلك وبعده، هو الحياة ومانحها. وهكذا أعلن لكل البشر: "**أنا هو القيامة والحياة. مَن آمن بي ولو مات فسيحيا**" (يو ١١: ٢٥). وعلى مدى الأجيال يتردد نداء المسيح القوي الذي له "**مفاتيح الهاوية والموت**" (رؤ ١: ١٨) **للعازر** الميت الذي أنتن: "**لعازر هَلُمَّ خارجاً**" (يو ١١: ٤٣).

وقبل ذلك - وعقب شفائه مريض بِـرْكة بيت حسدا - أعلن الرب أنه **مثل الآب يُحيي مَن يشاء**، وإن اختُصَّ بالدينونة لأنه بذل نفسه لأجل الجميع، **فصار الديَّان الوحيد لأنه المخلِّص الوحيد** (أع ٤: ١٢): "**كما أن الآب يُقيم الأموات ويُحيي، كذلك الابن يُحيي أيضاً مَن يشاء. لأن الآب لا يدين أحداً، بل قـد**

أعطى كل الدينونة للابن... لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان" (يو ٥: ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٧).

وفي مناسبة أخرى قال الرب عن مجيئه الثاني: "فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، **وحينئذ يُجازي كل واحد حسب عمله**" (مت ١٦: ٢٧)، وذكر ذلك مُفصَّلاً ضمن أحاديثه الأخيرة (مت ٢٥: ٣١-٣٤). ويكتب القديس بولس عن الرب يسوع المسيح "**العتيد أن يدين الأحياء والأموات** عند ظهوره وملكوته"، وأنه "**الرب الديان العادل**" الذي سيهبه إكليل البر (٢تي ٤: ٨)، وأنه "**لابد أننا جميعاً نُظهَر أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيراً كان أم شراً**" (٢كو ٥: ١٠).

سادساً: سلطان المسيح كواهب للحياة الأبدية للمؤمنين

قمة هبات خلاص المسيح لكل مَن يؤمن به هي **الحياة الأبدية**. فالحياة الجديدة التي ينالها المؤمنون بالمسيح وينتقلون بها من الظلمة إلى النور هي عربون الحياة الأبدية وبدايتها على الأرض. وهذه هي كلمات الكتاب تشهد لسلطان الرب كواهب للحياة الأبدية لكل الذين يقبلونه مُخلِّصاً:

"مجِّد ابنك ليُمجِّدك ابنك أيضاً، إذ **أعطيته سلطاناً على كل جسد ليُعطي حياة أبدية لكل مَن أعطيته**" (يو ١٧: ١و٢)؛

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، **لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو ٣: ١٦، ٣٦)؛

"وهذه هي الشهادة: **أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه.**

مَن له الابن فله الحياة، ومَن ليس له ابن الله فليست له الحياة. كتبتُ هذا إليكم، **أنتم المؤمنين باسم ابن الله، لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية، ولكي تؤمنوا باسم ابن الله**" (١يو ٥: ١١-١٣)؛

"مَن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يو ٥: ٢٤)؛

"**وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به: الحياة الأبدية**" (١يو ٢: ٢٥)؛

"لأن أجرة الخطية هي موت، وأما **هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا**" (رو ٦: ٢٣)؛

"**كل مَن يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير... مَن يؤمن بي فله حياة أبدية**" (يو ٦: ٤٠و٤٧)؛

"خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني، **وأنا أُعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد**" (يو ١٠: ٢٧و٢٨)؛

"**مَن يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير**" (يو ٦: ٥٤).

سابعاً: سلطان المسيح كمعلِّم

يُسجِّل الكتاب أن الرب عندما أكمل موعظته على الجبل: "بُهتت الجموع من تعليمه، لأنه **كان يعلِّمهم كمَن له سلطان** وليس كالكتبة" (مت ٧: ٢٨و٢٩، مر ١: ٢٢، لو ٤: ٣٢). وعندما تكلَّم في مجمع الناصرة وقرأ النبوَّة عنه من سفر إشعياء يقول الكتاب: إن "**جميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه... وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه**" (لو ٤: ٢٠و٢٢).

فكلمته تحمل لاهوته وقوته ومعرفته وصدقه وفعل روحه، ولا يمكن أن ترجع فارغة (إش ٥٥: ١١). وما يؤكِّد سلطان الرب كمعلِّم أنه كان يشير إلى نفسه كمصدر للتعليم وكصاحب سلطان أن يُكمل تعليم العهد القديم (مت ٥: ١٧) بتقديم شريعة العهد الجديد (إر ٣١: ٣١، عب ١٢: ٢٤):

"قيل للقدماء... **وأما أنا فأقول لكم**..." (مت ٥: ٢١و٢٢و٢٧و٢٨ و٣١-٣٤و٣٨ و٣٩و٤٣و٤٤)؛

"وأما أنتم فلا تُدعَوْا سيدي، **لأن معلِّمكم واحد المسيح**" (مت ٢٣: ٨).

بل إن الرب وهب قوة كلمته لخدامه الطائعين المختفين خلف صليبه والمنادين للعالم بالخلاص. وها هو **استفانوس** أصغر خدَّامه (والمنتخب لخدمة الموائد!)، يقول سفر الأعمال عن محاوريه أنهم **"لم يقدروا أن يُقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلَّم به"** (أع ٦: ١٠).

ثامناً: سلطان المسيح كمُرسِل للخدمة

الأنبياء ورجال الله وخدَّامه يرسلهم الله للخدمة. وقد بدأ الرب خدمته الخلاصية بإرساله تلاميذه ورسله للمناداة بالملكوت (مت ١٠: ٥، مر ٦: ٧، لو ٩: ٢١). وبعد قيامته وانتصاره أمر تلاميذه بالكرازة للعالم وتأسيس الكنيسة مؤكِّداً حضوره في وسطها إلى آخر الأيام: **"دُفِع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلْمذوا جميع الأمم... وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"** (مت ٢٨: ١٨-٢٠).

وقد يُقال أن المسيح أعلن أنه هو أيضاً مُرسَل من الآب، ولكن إرسالية الآب للابن تختلف عن إرسالية التلاميذ. **فالابن مُرسَل لا مثيل له لخلاصٍ**

يُتمِّمه هو بموته على الصليب وقيامته. وهو ليس فقط يُنادي بعهد جديد، **وإنما هو يؤسِّسه ويُدشِّنه بدمه.** وهو ليس فقط يُقدِّم وصايا جديدة، **ولكنه يأتي ويملك على المؤمن ويحيا فيه** (غل ٢: ٢٠). وقد أخلى الابن نفسه (في ٢: ٧) ليكون ابناً للإنسان طائعاً حتى الموت (في ٢: ٨) طالباً مشيئة الآب (مت ٢٦: ٣٩، مر ١٤: ٣٦، لو ٢٢: ٤٢، يو ٤: ٣٤؛ ٦: ٣٨). ولكنه **يؤكِّد، في نفس الوقت، أن مَن يقبله ويكرمه، فهو يقبل ويُكرم الآب الذي أرسله** (مت ١٠: ٤٠، مر ٩: ٣٧، يو ٥: ٢٣؛ ١٣: ٢٠)، وأن **مَن يرذله يرذل الذي أرسله** (لو ١٠: ١٦). وفي آخر الأيام سيأتي في مجده **ديَّاناً للأحياء والأموات** (أع ١٠: ٤٢).

تاسعاً: سلطان المسيح كخالق

يُشير الوحي الإلهي بوضوح وقوة إلى سلطان المسيح الأصيل في إيجاد الخليقة من العدم. وإذا كان "قانون الإيمان" يُشير إلى **الآب كخالق السماء والأرض،** فإنه يقول أيضاً عن الابن " **الذي به كان كل شئ** "، وهذه كلمة الله تضيء فهمنا بأنه **بالابن وفيه وله خُلِق كل شيء في كل مكان:**

"فإن فيه خُلِق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى... الكل به وله قد خُلق" (كو ١: ١٦)؛

"كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة" (يو ١: ٣و٤)؛

"كان في العالم، **وكُوِّن العالم به"** (يو ١: ١٠)؛

"يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء، ونحن به" (١كو ٨: ٦).

وفي رؤيا القديس يوحنا يخرُّ الأربعة والعشرين كاهناً قدَّام الجالس على العرش ويطرحون أكاليلهم قائلين: **"أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد**

والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخُلِقت" (رؤ ٤: ١١).

ونحن نرى قدرة المسيح الخالق بصورة مُصغَّرة في معجزة تفتيح عيني المولود أعمى، حينما أخذ الرب من تراب الأرض وتفل عليه، وصنع من التفل طيناً ووضعه مكان العينين؛ فلما اغتسل الأعمى أبصر، حيث خلق له الرب عينين كاملتين من التراب. وبصورة أشمل فإن الرب عندما يهب الحياة للموتى، فهو بقدرته يُعيد الحياة إلى جثة هامدة دب فيها الفساد لتصير من جديد إنساناً حيًّا كاملاً.

عاشراً: سلطان المسيح على الملائكة والأرواح

يُشير العهد الجديد كثيراً إلى سلطان المسيح الإلهي على **الملائكة** وخضوعهم له. فالبشارة بالميلاد الإلهي حملتها الملائكة إلى مريم العذراء (الملاك جبرائيل: لو ١: ٢٦-٣٨)، وإلى يوسف (مت ١: ٢٠)، وإلى الرعاة (لو ٢: ٨-١٤). والدعوة إلى الهروب إلى مصر والعودة إلى أرض إسرائيل، حملها الملاك إلى يوسف (مت ٢: ١٣و١٩و٢٠).

وبعد تجربة المسيح على الجبل، تركه إبليس **"وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه"** (مت ٤: ١١، مر ١: ١٣). وكأرواح خادمة مُرسَلة للخدمة (عب ١: ١٤)، لا شكَّ أنها كانت دائماً حول مُرسلها حتى وإن لم يمكن رؤيتها دائماً: فها هو **ملاك إلى جانب الرب في البستان** قبل صلبه (لو ٢٢: ٤٣)، **وميخائيل رئيس الملائكة يُدحرج الحجر عن باب القبر بعد قيامة الرب ويُبشِّر بها** (مت ٢٨: ٢-٧، مر ١٦: ٥-٧، لو ٢٤: ٤-٧)، كما **بشَّرت الملائكة تلاميذه بمجيئه الثاني عند صعوده** (أع ١: ١٠و١١).

وهم **حول عرشه يخدمونه نهاراً وليلاً**: "يسوع المسيح الذي هو في يمين الله، إذ قد مضى إلى السماء، **وملائكة وسلاطين وقوات مُخضعة له**" (١بط ٣: ٢١و٢٢).

وفي مجيء الرب الثاني ستكون الملائكة في مقدمة موكب الرب المنتصر الآتي لتمجيد قديسيه ودينونة المخالفين: "ويُبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، **فيُرسل ملائكته** ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه" (مت ٢٤: ٣٠و٣١)، "هكذا يكون في انقضاء هذا العالم، **يُرسل ابن الإنسان ملائكته**، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم" (في ختام تفسير الرب لمثل زوان الحقل – مت ١٣: ٤٠و٤١).

وقد امتد سلطان الرب إلى **أنبياء العهد القديم**. وها هو يشير إلى أن **إبراهيم** أبا الإيمان **تهلَّل بأن يرى يومه** (أي مجيء الرب للخلاص)، **فرأى وفرح** (يو ٨: ٥٦). كما أن **موسى** الذي لم يعرف إنسان قبره (تث ٣٤: ٦)، **وإيليا** الذي صعد في عاصفة إلى السماء في مركبة نارية (٢مل ٢: ١١)؛ جاءا ليشهدا تجلِّي الرب على الجبل المقدس، في حضور بطرس ويعقوب ويوحنا "**وتكلَّما عن خروجه العتيد أن يُكمله في أورشليم**" (مت ١٧: ٣، مر ٩: ٤، لو ٩: ٣٠و٣١، ٢بط ١: ١٦: ١٨).

حادي عشر: سلطان المسيح على الطبيعة

(أ) على الرياح والبحر

سجَّل الإنجيليون عدداً من الأحداث أظهر الرب خلالها سلطانه على الرياح والبحر بكلمته، فبينما كان الرب نائماً في السفينة هاج البحر وغطَّت الأمواج السفينة، وساد الاضطراب والخوف تلاميذه: "**فقام وانتهر الرياح والبحر، فصار**

هدوٌّ عظيم. فتعجَّب الناس قائلين: أيُّ إنسان هذا، **فإن الرياح والبحر جميعاً تُطيعه**" (مت ٨: ٢٦و٢٧، مر ٤: ٤١، لو ٨: ٢٥).

ومرة أخرى والسفينة تتقاذفها الأمواج بسبب الريح المضادة، **أتى يسوع إلى تلاميذه في الهزيع الرابع من الليل ماشياً على البحر**: "فلما أبصره التلاميذ... اضطربوا قائلين: إنه خيال... فأجابه بطرس وقال: يا سيد، إن كنت أنت هو، فَمُرني أن آتي إليك على الماء. فقال: تعالَ. فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع. ولكن لما رأى الريح شديدة خاف. وإذ ابتدأ يغرق، صرخ قائلاً: يا رب نجِّني... **ولما دخلا السفينة سكنت الريح**. والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين: **بالحقيقة أنت ابن الله**" (مت ١٤: ٢٦-٣٣، مر ٦: ٤٧-٥١، يو ٦: ١٦-٢١).

(ب) على الأرض والأفلاك

نذكر هنا اضطراب الطبيعة أثناء الصلب، **فكانت ظلمة على الأرض في نصف النهار: من الساعة السادسة حتى التاسعة** (أي من الظهر حتى الثالثة عصراً)، وما يتضمنه ذلك من اضطراب دوران الأرض وسائر كواكب الشمس (مت ٢٧: ٤٥، مر ١٥: ٣٣، لو ٢٣: ٤٤). وبعد أن أسلم يسوعُ الروحَ، **انشقَّ حجاب الهيكل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت**، وقام كثير من الراقدين، حتى أن قائد المئة والحُرَّاس لما رأوا ما يجري خافوا خوفوا عظيماً وقالوا : "**حقاً كان هذا ابن الله**" (مت ٢٧: ٥١-٥٤، مر ١٥: ٣٨و٣٩، لو ٢٣: ٤٧).

(ج) على المادة

تبدَّى سلطان الرب على المادة في أولى معجزاته **عندما حوَّل الماء خمراً**، فأضاف إلى تركيب الماء عنصراً لم يكن يحويه (يو ٢: ١-١١)، كما أنه أجرى معجزة إكثار الخبز والسمك مرتين، فأشبع الآلاف (مت ١٤: ١٤-٢١؛

١٥: ٣٢-٣٨، مر ٦: ٣٠-٤٤؛ ٨: ١-٩، لو ٩: ١٠-١٧، يو ٦: ٥-١٣).

(د) على النبات والحيوان

أظهر الرب سلطانه على **النبات** عندما مرَّ بشجرة تين وهو في طريقه من بيت عنيا إلى أورشليم، فلما لم يجد فيها إلاَّ ورقاً فقط، **قال للشجرة "لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد، فيبست التينة في الحال"** (مت ٢١: ١٨-٢٠، مر ١١: ١١-١٤).

كما أظهر سلطانه على **الحيوان** في أكثر من مناسبة، فأتاح لتلاميذه أن يصطادوا سمكاً كثيراً مرتين: الأولى في بداية خدمته (لو ٥: ٤-٩)، والثانية بعد قيامته (يو ٢١: ٦-١١). وعندما كان الرب يُخرج الشياطين من مجنوني كورة الجرجسيين (الجدريين)، طلبوا إليه أن يأذن لهم أن يدخلوا في قطيع الخنازير (نحو ألفين)، فاندفع كل القطيع من على الجُرف وغرق في البحر (مت ٨: ٣١و٣٢، مر ٥: ١٢و١٣، لو ٨: ٣٢و٣٣).

بل إن الرب وهب خدَّامه السلطان أن يدوسوا هم أيضاً الحيَّات والعقارب ولا يضرهم شيء (لو ١٠: ١٩)؛ وفي قصص الآباء النُّسَّاك الذين عاشوا في البراري وسلطانهم على الوحوش والزواحف، حتى أنها تتجرَّد من طبيعتها لتصير أليفة طائعة لهم، لَمِمَّا لا يتسع له المجال.

❋ ❋ ❋

كما خبَّر ابن الله الوحيد عن محبة الله ونعمته وحكمته غير المحدودة، هكذا خبَّر أيضاً عن قدرته ومجده وسلطانه غير المحدود (يو ١: ١٨). وهذه كلها إن

كانت قد كشفت عن لاهوته، فهي قد صارت أيضاً مصدر عطايا غير محدودة للمؤمنين، سواء للتحرُّر من الخطية وخوف الموت، وللسلوك كبنين ممسكين بالحياة الأبدية، أو للشفاء من أمراض الجسد والنفس والروح، أو لمغالبة الآلام والتجارب وحروب العالم ورئيسه، أو لنوال قوة الكرازة للعالم المتغرِّب.

ولإلهنا القادر على كل شيء، نقدِّم التسبيح مع الملائكة قائلين: "**مستحقٌّ هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغِنَى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة**" (رؤ ٥: ١٢).

قضية المسيح

+ شهادة صحفي على صدق كلمة الله

شهادة صحفى على صدق كلمة الله

الصحفى **لى ستروبل** Lee Strobel كان يعمل محرراً بصحيفة "**شيكاجو تريبون**" الأمريكية وأخذ على عاتقه كصحفى محترف أن يتحقق مما جاء فى الأناجيل عن حياة المسيح وأعماله من النواحى التاريخية والوثائقية والأثرية والطبية والسيكولوجية.

وفى سبيل ذلك ناقش، بشكل محايد، كل ما يثيره المنتقدون للإنجيل وشخص المسيح، مع مجموعة مختارة من أبرز العلماء المتخصصين فى هذه المجالات وعديد من أساتذة الكتاب المقدس فى أوروبا وأمريكا. وجمع ما توصل إليه فى كتاب

بعنوان "**قضية المسيح** The Case for Christ".

وفى كل فصل من فصول الكتاب كان ستروبل يحاور متخصصاً فى أحد المجالات السابق ذكرها. وسجل حواراته فى شكل أسئلة وأجوبة.

وقد صدر الكتاب سنة ١٩٩٨ عن دار زوندرفان Zondervan .بميشيجن.

وفى هذا المقال نقتبس جانباً مما جاء فى الكتاب شاهداً على صدق الإنجيل فيما سجّله عن الرب وقد ترجمناه بتصرف.

❋ ❋ ❋

س١ : هل من الممكن أن الذين كتبوا الأناجيل زيّفوا تفاصيل الأحداث بحيث يبدو المسيح هو الذى تحققت فيه النبوات؟

مثلاً : ما ذكره يوحنا (١٩ : ٢٣) عن عدم كسر أرجل المسيح (على عكس ما جرى للصّين) تحقيقاً لنبوة أن عظم المسيا لا يُكسر (خر ١٢ : ٤٦، مز ٣٤: ٢٠)، أو.. لأن النبوات تتكلم عن خيانة مقابل ثلاثين من الفضة فإن متى (٢٦ : ١٥) يذكر بيع يهوذا للمسيح بنفس المبلغ؟

جـــ ١ : (**١**) إن كتابة الأناجيل ونشرها لم تتم فى الظلام وإنما كان هناك أناس يعيشون فى أماكن الأحداث، وبالتالى فإن المؤمنين أنفسهم كانوا سيدينون كتّاب الأناجيل بأن الأحداث لم تقع كما ذكروها، وأن حياة البر والحق التى يجاهدون فى ممارستها لا تتفق مع ذكر الأكاذيب.

(**٢**) أنه مما يُنافى العقل والمنطق أن يلجأ متى ومرقس إلى تزييف تحقيق النبوات وفى نفس الوقت يسلّمان نفسيهما للموت من أجل شخص يعرفان فى قرارة نفسيهما أنه ليس المسيا.

(**٣**) إذا كان هذا التزييف قد جرى بالفعل فلم يكن ليَسْلم من تشهير الجماعات اليهودية التى كانت سوف تؤكد أن عظام المسيح قد كسرت فعلاً

بواسطة الجنود الرومان، و لم يُشر التلمود اليهودى مرة أن أحداث حياة المسيح قد زُيِّفت لتتفق مع النبوات.

س ٢ : إذا كان الكتاب المقدس صادقاً خالياً من أى تحريف، فهل أورد كاتبو الأناجيل مثلاً مواد مثيرة لحرجهم كتلاميذ للمسيح؟ أو هل ذكروا أشياء يعسر فهمها أو تفسيرها بدل إخفائها حتى يبدو المسيح ويبدون هم بلا شائبة؟

جـ ٢ : (**١**) نعم .. هذا حدث كثيراً.. فمرقس (٦ : ٥) يذكر أن يسوع أجرى معجزات قليلة فى الناصرة لقلة إيمان أهلها، كما يذكر (١٣ : ٣٢) أن يسوع قال إنه لا يعرف اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان مما قد يطعن فى معرفة المسيح الكلية غير المحدودة كالله الظاهر فى الجسد.

(**٢**) كما كان الأسهل حذف واقعة معمودية المسيح من يوحنا كأنه خاطئ فى حاجة إلى توبة، أو قول المسيح "إلهى.. إلهى.. لماذا تركتنى.." لأنها تثير أسئلة كثيرة.

(**٣**) رغم أن بطرس كان من أعمدة الكنيسة والمتقدم بين التلاميذ، لكن مرقس مثلاً فى كتابته لإنجيله لم يتملّقه وذكر قول الرب عنه إنه يطلب مجد الناس (٨: ٣٣)، كما ذكر الكتاب عن التلاميذ كثيراً أنهم لم يفهموا كلام المسيح، وأن يعقوب ويوحنا طلبا الجلوس عن يمين المسيح ويساره فى ملكوته (مر ١٠ : ٣٧) مما جعله يلقنهما درساً لا ينسى (مر ١٠ : ٣٨ – ٤٥)،

(**٤**) يذكر الكتاب أن شهود القبر الفارغ وأول من التقى بالمسيح القائم من الموت كانوا من النساء، و لم يجعلهم بطرس أو يوحنا أو غيرهما من التلاميذ.

إن هذه النماذج تؤكد صدق كتّاب الأناجيل.

... ولو كان كتّاب الأناجيل يتلاعبون بالحقائق لكان الأولى أن يتخلوا عن

هذه الأجزاء ويُعفون الكنيسة من بعدهم بحث شرحها وتفسيرها. فالكتاب لم يذكر كل شئ عن المسيح ولكن فقط البعض.. ومن هنا فلم يكن يُكلّف من كتبوا الأناجيل شيئاً أن يعبروا على الأجزاء التى تثير التساؤل وتصنع الحيرة. ولكن ذِكْر هذه الوقائع يجعلنا نصدق أنهم لم يَعْمَدوا إلى تزييف الحقائق فى أى جزء من أجزاء الكتاب، وأنهم كانوا أدوات طائعة لعمل الروح القدس روح الحق.

س ٣ : يقول بعض منتقدى الكتاب المقدس "لِمَ لا يكون المسيح (باعتباره عندهم شخصاً عادياً وليس الله الظاهر فى الجسد) قد شكّل حياته لكى تتلاءم مع النبوات، فلعلّه قرأ مثلاً نبوة زكريا (٩: ٩) أن المسيا قد يمتطى أتاناً عند دخوله أورشليم فعَمدَ إلى ترتيب الأمر لكى يتم بالضبط فهل من ردّ؟

جـ ٣ : حتى ولو كان ذلك وارداً فى البعض القليل من النبوات إلا أنه مستحيل فى أكثرها. فمثلاً كيف كان ممكناً أن يتحكم المسيح فى حقيقة أن السنهدريم Sanhedrin قدم ثلاثين من الفضة ليهوذا لتسليمه، كيف يمكنه أن يرتب تاريخ أسلافه، ومكان وتاريخ ميلاده ووسيلة قتله، أو اقتراع الجنود على ثيابه، أو عدم كسر عظامه وهو على الصليب، أو قيامته من الأموات، وغيرها وغيرها.

❋ ❋ ❋

"**ليكن الله صادقاً..**" (رو ٣ : ٤).

"**صادقة هى الكلمة..**" (١تى ١ : ١٥، ٣ : ١، ٤ : ٩، ٢تى ٢ : ١١، تى ٣ : ٨)

"**كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم**

والتأديب الذى فى البر" (٢تى ٣ : ١٦).

"**لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس** " (٢ بط ١ : ٢١).

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتـــاب الأول : في السلوك المسيحي

التدين المضاد...ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثانـــي : عـــن المسيـــح

يسوع المسيح الشفيع الكامل...ومقالات أخري

(طبعتان)

الكتاب الثالـــث : المسيح في حياة الكنيسة والخدمة

عثرة الصليب ... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الرابـــع : شخصيات كتـــابيـــة

١- القديس بطرس .. أول التلاميذ

٢- القديس بولس .. آخر الرسل (طبعتان)

الكتاب الخامس : قضـــايـــا إيمـــانيـــة

المسيح يعرفنا عن ذاته ... ومقالات أخري

الكتاب السادس : في السلوك المسيحي (٢)

نحن والصليب والخلاص ...ومقالات أخري

الكتاب السابـــع : قضايـــا إيمانيـــة (٢)

قضية الشفاعة ...ومقالات أخري

الكتاب الثامـــن : في السلوك المسيحي (٣)

ضبط النفس ... ومقالات أخري